baseera.net

# الإلحاد

## أسبابه ووسائله ومظاهره وعلاجه


الشيخ الدكتور

عبد الله بن سعيد بن خلفان المعمري

# الإلحاد

أسبابه ووسائله ومظاهره وعلاجه

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م

نشر وتوزيع:
مكتبة خزائن الآثار
سلطنة عُمان - بركاء
نقال: ٠٠٩٦٨٩٥٥١٠٠٢٥

الراعي الإعلامي:
موقع بصيرة الإلكتروني
موسوعة إلكترونية في العلوم الإسلامية
لسماحة الشيخ العلّامة أحمد بن حمد الخليلي
المفتي العام لسلطنة عُمان
للتواصل: www.baseera.net

تصميم وطباعة:
مجموعة مسقط للأعمال التجارية

# الإلحاد

## أسبابه ووسائله ومظاهره وعلاجه

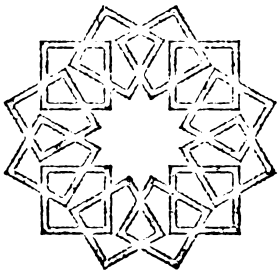


الشيخ الدكتور

عبد الله بن سعيد بن خلفان المعمري

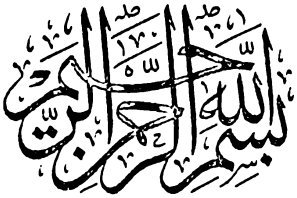
بسم الله الرحمن الرحيم

## ملحوظة

أصلُ هذا الكتاب: ثلاث مجالس علميَّة، بُثَّت عن بُعدٍ، تناولت موضوع: قمع الإلحاد؛ وأسبابه ووسائله ومظاهره وعلاجه:

المجلس الأول: ليلة الأحد ٢٨ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ.

المجلس الثاني: ليلة الاثنين ٢٩ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ.

المجلس الثالث: ليلة الثلاثاء ٣٠ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ.

وقد روعيَ في طباعة نصِّ الحلقات: المحافظة على أصل اللقاءات كما هي، إلَّا في مواضع يسيرة يقتضيها التحرير، وقد أُضيفت عناوين فرعيَّة؛ لتسهيل القراءة.

اللجنة العلمية بموقع بصيرة

اللَّجنة العِلميَّة بموقع بصيرة

# مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أنْ لا إله الله وليُّ الصالحين، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين، وخاتم النبيين والمرسلين، ﷺ وعلى آله وصحبه، وعلى كل مَنْ سار على نهجه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد؛ فنحمد الله تعالى على توفيقه لنا للحديث عن هذا الموضوع الخطير، ألا وهو موضوع قمع الإلحاد.

وأُحِبُّ أن أُنبِّهَ إلى أنَّ القصد من تناول هذا الموضوع هو الإصلاح ـ إن شاء الله تعالى ـ ما استطعنا، وأُوجِّهُهُ إلى نفسي، وإلى إخواني جميعًا؛ وذلك لأجل أنْ نتعاون جميعًا للقيام بالدعوة إلى الله ﷻ، ولتحصين أنفسنا، وأولادنا، وإخواننا، ولأجل دفع هذا الخطر المحدق بنا، ومحاولة دعوة المتأثِّرين به إلى الحق، والهداية من الله ﷻ.

وسنتناول هذا الموضوع من خلال أربعة محاور، وهي كما يلي:

المحور الأول: أسباب الوقوع في الإلحاد.

المحور الثاني: وسائل نشر الإلحاد.

المحور الثالث: مظاهر الإلحاد.

المحور الرابع: علاج الإلحاد.

ومن خلالها سنسعى ـ بإذن الله تعالى ـ إلى بحث جذور هذه القضية، والظروف المحيطة بها، وسبل ووسائل علاجها.

وليس الغرض من طرح وتناول هذا الموضوع، هو مناظرة أحد فيما يتعلق بالأفكار الإلحادية؛ لأنَّ كلَّ واحد له مجاله، ولا أتصور أنَّ مجرد المناظرة ستؤدِّي إلى نتيجة، وإن كان الحق أبلج، ولله الحمد.

وقد طلب البعض منِّي أنْ أُوَسِّعَ المجال أكثر؛ لعل الله تعالى يهدي بعض المتأثرين بالإلحاد، وذلك بعرض شبههم، والرد عليها؛ لعل الله تعالى يهديهم، وهذا ممكن إن شاء الله.

إلَّا أنَّ الخطرَ أكبرُ من أنْ يتعلَّق بشخص واحد يعرض شبهته؛ فالخطر يحدق بالعالم كله، ويتطلب جهودًا جبَّارَةً

مجتمعة بعد أنْ تُكَلَّل بتوفيق الله تعالى؛ للقضاء على هذا الخطر الجاثمِ المهلك.

ونسأل الله أنْ يوفقنا لسديد القول، وصالح العمل، كما نسأله تعالى التوفيق، والتيسير، والتسديد، والفوز، والنجاح، ألهمني الله وإياكم العلم النافع، وأعاننا على العمل به.

## مدخل

• **تعريفُ الإلحادِ:**

الإلحاد **لغة**: الميل؛ كما هو استعمال اللغة العربية، ذكر ذلك شيخنا العلامة الحجة الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ، وأما في **الاصطلاح الشرعي**: فهو الميل عن الحق اعتقادًا، أو قولًا، أو فعلًا.

ولذلك يجب أنْ يكون إدراكنا لمعنى الإلحاد أوسع عمَّا هو متداول عند البعض؛ من حصره بمعنى التكذيبِ بالله تعالى، أو رسوله ﷺ، أو باليوم الآخر، أو إنكار أيِّ أمر معلوم في الدِّينِ بالضرورة، فمعنى الإلحاد أوسع من ذلك.

ويدلُ على ذلك كتاب الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، فكلُّ معصية لله ﷻ هي نوعٌ من الإلحاد، حتى أنَّ بعضهم قال: إنَّ الباء مُقحمةٌ؛ وعلى هذا فهو أخطر من ذلك بكثير.

لكن بما أنَّ الإلحاد شاع اليوم بما ينافي الإسلام من إنكارٍ لما هو معلوم من الدين بالضرورة؛ فإنَّنَا سنُركِّز عليه إن شاء الله تعالى.

والمقصود بالإنكار هنا هــو ذلك الإنكار الذي يكون دون تأويل؛ لأنَّ مَنْ أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة فإنْ كان فَعَلَ ذلك تأويلًا، وكان هذا التأويل شــبهةً يصلح أنْ يتمسَّــك بها؛ فإنَّها تَدْرَأُ عنه حكم الشرك، أو الردة عن الإسلام، وأما إنْ كانت الشبهة واهية، أو لم يعتمد على شبهة مطلقًا؛ فإنه يُحْكَمُ عليه بالشرك.

واعتماده على تلك الشبهة التي يجعلها تأويلًا لا يعني ذلك بأنَّه محق؛ بل هو مبطل، ولكن ينتقل من حكم الشرك إلى الفسق والعياذ بالله، فهو فاسق وإن كان مسلمًا.

فهو ينتقل من الإسلام إلى الفســق، ويُحْكَمُ عليه بذلك؛ لأنَّ الله تعالى يقــول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]؛ لأنَّ المســائل القطعية، أو العِلْمِيَّة، أو الإيمانيــة، أو اليقينية ـ حسب كلام أهل العلم في تســميتها ـ لا تحتمل الخلاف، ولا يجوز فيها الاجتهــاد، والحقُّ هو ما دلَّ عليــه دليله من الكتاب، أو الســنة، بشــرط أنْ يكون قطعــي الثبوت قطعي الدلالة.

وعلى هذا؛ فالحق ما دلَّ عليه الدليل، ومَنْ خَالَفَ بلا تأويلٍ فهو مشــركٌ، وإنْ كان مع تأويل فهو فاســق، وحَكَى بعض أهل العلم الإجماع على ذلك.

**• جهودُ سماحةِ شيخنَا الخليليِّ فِي دفعِ الإلحادِ:**

هذه الظاهــرة التي نتناولها، والتي نســعى إلى تشــخيصها وعلاجها قد سبقنا إلى تناولها وعلاجها شيخنا العلامة أحمد بن حمد الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ المفتي العام للسلطنة، وقد قام بجهد كبير في هذا الموضوع.

وليس هذا الجهد وليد اليوم، بل هو جهدُ أكثرَ من خمسين عامًا بفضل الله تعالى؛ فقد قام بمحاربة الفكر الشيوعي، وكان يُنَسِّــقُ الجهود مع الســلطات القائمة؛ لأجل القضاء على هذا الفكر معنويًا وماديًا؛ كما ذكر هذا الأمر في كتابه **مصرع الإلحاد**، وبين أن القضاء على هذا الفكر يكون بيدين: يد من ذهب، ويد من حديد، أي: بالترغيب والترهيــب، أو بالفكر والقوة، فهما يسيران معًا؛ لأنَّ الواجب عرض الحق على الناس ليكون ذلك حجة عليهم، فإنْ قَبِلُوا ذلك أصبحوا مسلمين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن أصرُّوا على الباطل فقد جَنَوْا على أنفسهم، ويجب حسم مادة الشر.

**• تأريخُ ظهورِ الإلحادِ عمومًا:**

وبالنســبة لتأريخ الإلحاد فهو قديم جديــد؛ فمنذ أنْ عصى إبليس ربه تعالى ظهر الإلحاد؛ لأنَّه أبى، واســتكبر، كما قال الله تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقــرة: ٣٤]، ثم دعا إلى

الشـــرك بالله ﷻ، ومضى هذا الأمـــر القرون تلـــوا القرون مما لا يعلم مـــداه إلا المولى ﷻ، وانتشـــرَ في أممٍ كثيرة أشـــركتْ بالله ﷻ، أو جحدتْ وجوده جَلَّ وَعَلَا.

لكنَّ هذه الصـــورة، والتي عُرِفَتْ في هـــذا العصر بـــالإلحاد إنما تركَّزتْ في القرون المتأخِّـــرةِ، بل في القرن الماضي والذي قبله؛ فقد ظهر الإلحاد في أوروبا منذ بدايات الثورة الفرنســـية؛ لأنَّ أوروبا كانت تدين بالنصرانيـــة، أو اليهودية في أغلبها، وإنْ كانت سابقًا على الفكر اليوناني، ولا شك أنَّهُ كانت فيه الوثنية، وكان يوجد فيه بعض الموحِّدين أيضًا.

ثم جاءت الدولة الرومانية، وكانت علـــى الفكر الوثني، وعندما ظهر المســـيح عليه السلام، وظهـــرتْ دعوته فـــي أوروبا، وانتشـــرتْ، ودخل فيهـــا قســـطنطين، العاهـــل الرومي إلى النصرانيـــة، وأَدْخَـــلَ فيهـــا بدعـــة التثليث، وتأليه المســـيح عيسى عليه السلام، وانتشـــر هذا الفكر في غالب أوروبا، وفي أتباع النصرانية بشكل عام إلَّا قليلًا.

وظلَّ هذا الأمر مســـتمرًا قرونًا إلى أنْ جاءت الثورة الفكرية الفرنسية، وهناك بدأ التَّنَكُّرُ للدِّينِ، وإنكار الحقائق الدِّينيَّةِ، التي يدعو إليها الكتاب المقدَّس؛ سواء العهد القديم أو العهد الجديد، أي: الشق اليهودي، أو النصراني.

فَظَهَرَ التَّنَكُّرُ لحقائق الغيب وللدِّينِ، ثمَّ تطور هذا الأمر إلى أنْ ظهرت الثورة البلشفية عام ١٩١٧م، وهُنا أُعلِنَ عن قيام دولة تدين بالإلحاد، وهي الاتحاد السوفيتي، وكان من قبل قائمًا على الرأسمالية، وعلى العِلمانيَّة التي فيها نوع من التزاوج بين التَّنَكُّرِ للدِّينِ، والاعتراف به على مضض؛ بحيث يُحْصَرُ في زاويةٍ ضَيِّقَةٍ من الحياة، أو بين جدران المعبد، أو الكنيسة، أو الدير، أو الكنيس كما يقولون، وبجعله علاقة خاصة بين العبد وربه، وبعزله عن الحياة كلها.

لكن بقيام الاتحاد السوفيتي أُعلِنَ عن الإلحاد رسميًا، وأصبحت هذه الدولة تتوسَّع بنفوذها، وقوتها، وقهرها، وجبروتها.

وانتشر هذا الأمر في الصين الشعبية كذلك، وأُسِّسَتْ هنالك دولة تَتَبَنَّى هذا الفكر، وكان أوج قوتها وبطشها أيام حكم ماو تسي تونغ، أمَّا في الاتحاد السوفيتي فقد حَكَمَهَا لينين، ثم ستالين، ثم ميخائيل غورباتشوف، ثم غيرهم.

وهكذا توالوا على نشر هذا الفكر، وانتشر هذا الأمر في طائفة من بلدان العالم ولكن بصور مختلفة؛ تارة بالفكر الإلحادي الظاهر، وتارة بالفكر الاشتراكي فيما يتعلق بالسياسة المالية، ولكن كان كله من منطلق الإلحاد.

وظهر هذا الأمر أكثر في بعض الدول؛ مثل فرنسا، وغيرِها.

ووصل الأمر إلى بعض البلاد العربية التي تأثَّرتْ به، وحَكَمَتْ هذه الأحزاب التي تنتمي إلى هذا الفكر البلاد العربية من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق؛ فقد مرَّ على الجزائر، وتونس، وليبيا، وفترات في مصر أيضًا أيام عبد الناصر، وكذلك وصل الأمر إلى سوريا عن طريق ما يُعْرَفُ بحزب البعث، وكذلك العراق، وفي بعض الفترات في السودان أيضًا، وفي اليمن، وهكذا، وإنْ كان على قَدْرٍ من التفاوت في بعض الأفكار السياسية بين هذه الأنظمة.

وقد قارب هذا الأمر أنْ ينحسر بعد سقوط الاتحاد السوفيتي أيام ميخائيل غورباتشوف، وسقوط سور برلين في سنة ١٩٨٩م، وتفكك الاتحاد السوفيتي، وسيطرة الفكر الرأسمالي، أو العلماني الغربي الذي تقوده أمريكا.

وتخلَّتْ كثيرٌ من الأنظمة عن هذا الفكر إلَّا بقايا هنا وهناك؛ كما في أمريكا اللاتينية، وخاصة في كوبا أيام فيلد كاسترو، وكذلك في فنزويلا، وفي الصين إلى الآن، وإن كانتْ تُحَاوِلُ الصين المزج بين النظامين، وكذلك روسيا الاتحادية، التي هي وريثة الاتحاد السوفيتي، وبقي الأمر على هذا النحو، ولا ننسى كذلك كوريا الشمالية؛ فقد انحسر الأمر فيها إلَّا في نطاق ضيِّقٍ.

ولكن في الآونة الأخيرة بـدأ الأمر بالمعاودة، والعجيب أنْ تقوم بنشره بعض الدول الغربيَّة التي كانت تحارب هذا الفكر من قبل، ومنها: أمريكا مثلًا، وبعض المؤسسـات التـي تدَّعِي أنها دينية، خاصة في بلاد الإسـلام؛ فهناك منظمـات دينية عالمية، كبعض مؤسسات التنصير، لكنَّها وراء بعض الحركات الإلحادية في البلاد الإسلامية الآن؛ لأنَّها تُريدُ قطع صلة المسلمين بدينهم الإسـلام، ولو تخلوا عن الدِّينِ كله، وارتموا في أحضان الكفر والإلحـاد والعياذ بالله تعالـى؛ وذلك تمهيدًا للسـيطرة عليهم، وهناك مطامع سياسية، واقتصادية، وغيرها؛ مما يتطلَّب منَّا الآن الحديث عن هذا الموضوع بكلِّ قوةٍ.

وبدأ الأمر ينتشـر فـي الجزيـرة العربية، التـي هي مهد الإسـلام، وكان هذا الفكر قبل سـنين على ضعف وخَوَرِ أيام ظهور الحداثة مـن فكر أدونيـس، ومَنْ معه نهاية السـتينات والسبعينات من القرن المنصرم.

**• تأريخُ ظهورِ الإلحادِ فِي عمانَ خصوصًا:**

بدأ ينتشـر هذا الأمر في عمان، وتأثَّر به بعض الشـباب تأثرًا بالآخرين؛ نتيجة البعثات التي كانت تُرسـل من عمان، سـواء أكانت البعثات التي تُرسـلُ إلى العراق حينها، أو إلى سـوريا، أو إلى مصر في بعض الأحيان، أو كانت عن طريق

الاحتكاك باليمن، الـذي كان متأثِّرًا بهذا الفكـر، وأثَّرَ على بعض الشباب.

ونظرًا إلـى الشـعارات التي كانـت تُنَادِي بهـا الحركات الشُّـيوعيَّة كانت شـعارات مؤثرة جذابة؛ فهي تدعو إلى العدالة الاجتماعية، وإلى التَّخلص من الاسـتعمار، وتُزَيِّنُ للشـباب أنَّ الفردوس المنشـود إنما يكون بتطبيق الشُّـيوعيَّة، أو في شـقها الاقتصادي المعروف بضد الرأسـمالية، وهو الفكر الاشتراكي، وكذلك فيما يتعلَّق بالأدب؛ انتشر لذلك الفكر الحَدَاثِي.

ولكنَّ هـذا الفكر سـرعان ما قُضِيَ عليه، وكان لشـيخنا العلامة الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ مع مَـنْ أعانه بتوفيق الله تعالى دورٌ كبيرٌ فـي القضاء على هذا الفكـر؛ حتى أنَّ هؤلاء كانت لهم مجلة تُسمَّى الغدير، وقد وصفها الشيخ ـ حفظه الله تعالى ـ بالغدير الجاف بعد أنْ قَطَـعَ الله دابرها، وكان أتباعها ينشرون مقالاتهم فيها.

ثم جاء فكرٌ بعد ذلك يُحَاوِلُ إحياء هذا الفكر المطموس؛ وذلك عن طريق ما يُعرفُ بالعقلانيَّة، وبدأتْ تنتشر الآن، وأدَّى هذا الأمر إلى وقوع بعض أتباعه المسـلمين، أو ممَّن ينتسـب للمسلمين في الجزيرة العربية، وفي الخليج العربي إلى الوقوع في الإلحاد والعياذ بالله، شيئًا فشيئًا؛ وذلك نتيجة التشكيك في

الحقائق الغيبية، والدِّينية بشكل عام، أو إنكار ما هو معلوم من الدِّينِ بالضرورة، وخاصة نتيجة البعثات التي يُبتعثُ إليها هؤلاء، خاصة إلى أمريكا؛ فهناك مَنْ يقوم باحتضانهم، ومحاولة التأثير عليهم.

• **مِنْ جهودِ الغربِ فِي نشرِ الإلحادِ:**

وَأَذْكُرُ أنِّي في زيارة إلى أمريكا التقيتُ في مركز إسلامي بأحد الإخوة المسلمين العرب من أصل شامي، فلما رآني قال: مِن الخليج؟

قلت: نعم.

قال: أريدك في كلمة لو سمحت.

قلت له: تفضل.

فقال: رجاءً لا ترسلوا أحدًا من الطلبة للدراسة هنا، فتعجَّبْتُ!!

فقلت له: لماذا؟

فأخبرني ـ وذلك عن خبرةٍ منه ـ بأنَّه لاحظ أنَّ الطلبة الذين يُبْتَعَثُونَ خاصة من الخليج العربي أو الجزيرة العربية تُوَجَّهُ إليهم جهود خاصة لتنصيرهم في بداية الأمر؛ وذلك عن طريق مصاحبتهم بدعوى تعليمهم الإنجليزية، وتبادل الثقافات،

وتعريفهم بالثقافة الغربية الأمريكية؛ فيصطحبونهم إلى الملاهي، والملاعب، وصالات الخمار والقمار، ونحو ذلك، فإن يئسوا من تحويلهم إلى النصرانية شـكَّكُوهم في الإسلام؛ حتى يُجَرِّدُوهم من الدِّينِ، والأخلاق.

وقد لاحظ تأثُّرَ طائفةٍ من الشـباب، من ذكـور وإناث بهذا الأمر، ولذلك أَسَـرَّ إليَّ بهذه النصيحة؛ فهذا كلُّه يدعونا إلى أنْ نَنْتَبِهَ إلى هذا الأمر.

وَأَذْكُرُ أنَّه في البلد عندنا قبل سـنوات، حينما كنت أُلقِي درسًا في جامع السلطان قابوس بإبرا، أتاني بعد الدرس أحدُ الشباب.

قال: أريدك في كلمة خاصة، كما يقول العمانيون: كلمة راس.

فإذا به يُخبرني عن أحد أقاربه، ولعلـه كان من إخوانه، من الطلبة الذين ذهبوا إلى أمريكا، ورجع مُلحدًا، والعياذ بالله.

وفي الأسبوع التالي، أو بعد أسـبوعين، وبعد الدرس أيضًا أتاني غيره، وأخبرني نفس الأمر.

وكما نُلاحظ الآن أيضًا فيما يُكْتَبُ في التويتر، أو في وسـائل التواصل الاجتماعي بشكل عام من مواضيع تكشف لنا هذا الأمر.

فهذا كلُّه يدفعنا للتركيـز على هذا الموضـوع؛ لأنَّ الأمر خطير جدًّا.

## عِظَمُ خطرِ الإلحادِ:

هؤلاء الذين يتساهلون مع الإلحاد لا يعرفون أثره كما ذكر شيخنا الخليلي، وغيره؛ فقد نَقَلَ سماحته عن الشيخ محمد الغزالي من كتابه **الإسلام في وجه الزحف الأحمر** الكثيرَ من الفضائح التي ارتكبها الشيوعيون حين تسلطوا في الأرض من مجازر.

وكذا نَقَلَ عن الأستاذ عبد الرحمن بن حسن حبنَّكة الميداني في كتابه **الكيد الأحمر** الكثيرَ من المواقف التي سجَّلَها التأريخ، وما أُسيلَ فيها من الدماء، وما هُتِكَ من الأعراض، وما انتُهِكَ من المقدسات.

## مجزرةُ شعبِ الإيجورِ المسلمِ:

ومن جملة ذلك ما حَدَثَ في الصين أيام حكم الطاغية ماو تسي تونغ؛ حيث قَتَلَ ستة وعشرين مليون نسمة من شعب الإيجور المسلمين؛ بمجرد أنَّهم مسلمون، واعتبرهم أعداء للثورة، وأنَّهم لا يستحقون الحياة، وهذا الأمر مُقَنَّنٌ في هذه الأنظمة، كما هو مذكور في أحد قرارات الاتحاد السوفيتي منذ أيام لينين، ثم أيام ستالين.

وأظن كما في المادة سبعة وخمسين، والمادة مئة واثنتين وعشرين؛ حيث يُجَرَّمُ الانتماء لأيِّ دِينٍ، ويُعْتَبَرُ اقتناءُ أيِّ كتابٍ

مقدَّسٍ جريمةٌ؛ وقُتِلَ بسبب ذلك الكثير من أئمة المساجد، ومن المسلمين الملتزمين بعبادتهم فيها، وهُدِّمَتِ المدارس، وهُجِّرَ المسلمون بالملايين إلى سيبيريا؛ حيث القطب المتجمد الشمالي، ومات الملايين من الناس جوعًا وعطشًا وبردًا، فضلًا عن الذين قُتِلُوا وهم يدافعون عن أوطانهم؛ حتى لا تتسلَّطَ عليهم قُوَى الاتحاد السوفيتي إبَّانها، وغيرها من القُوى الظالمة، فهنالك الكثير من المآسي.

حتى أنَّ بعضهم حاول أنْ يحصر العدد الإجمالي؛ فذكر هيثم طلعت كما نَقَلَ عنه شيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ حينما تحدَّث عن التأريخ الأسود ـ كما يقال ـ للشيوعية في كتابٍ له: **الإلحاد يسمم كل شيء** بأنَّ هؤلاء الضحايا وصلوا في القرن المنصرم إلى نحو مئة مليون نسمة على مستوى العالم!!

وعندما ذَكَرَ شيخنا الخليلي هذا الرقم في **مصرع الإلحاد** قال: بأنَّ الرقم قد يكون أكبر من ذلك بكثير.

**• عاقبةُ التساهلِ معَ هذَا الفكرِ:**

ماذا سيبقى إذا تُسوهل مع مثل هذا الفكر؟!

بلا شك، لا تبقى نفوس، ولا تبقى أعراض، ولا تبقى

مقدسات، ولا يبقى شيءٌ للإنسانية، وإنما تسعى هذه الأفكار، وهذه الأنظمة التي تتبنَّاها إلى محق الإنسان مطلقًا.

ويبلغ بها الأمر أنْ تفتك بنفسها؛ فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله، هكذا أتباع الشياطين؛ فستالين أصدر قرارًا بتطهير الحزب، فقضى على أقرب مقربيه ممَّن كانوا أشدَّ منه في الإلحاد والعياذ بالله، ولكنه كان يتوجَّسُ منهم خيفة؛ حتى لا يعارضوه السلطة، فأصبح يقضي عليهم، وهكذا الأنظمة؛ كما ذكر شيخنا الخليلي، يقول: كُنَّا نُتَابِعُهَا ونشعر بهذا حين يأتي حزب، أو فئة؛ لتقضي على مَنْ تقدَّمَهَا، وهكذا كلُّ فصيلٍ يحاولُ الإطاحة بغيره، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، فنسأل الله العافية.

وللأسف هناك مَنْ يحاول التساهل مع هؤلاء بدعوى الحرية، وهذا فكرٌ خطير جدًّا؛ لأنَّه يعني: فقد الغَيرة على الدِّينِ، والانسلاخ من الحياء، والتَّهاون والتحقير لما عَظَّمَهُ الله تعالى؛ لأنَّ الله تعالى عَظَّمَ شعائره فقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

لكنَّ أنصار هذا الفكر الذين يدَّعُون الْمَدَنِيَّةَ، والتَّطور، والانفتاح، والتسامح لا يُبَالُونَ أنْ يُقْدَحَ في الذَّات العليَّة، وأنْ تُنْتَهَكَ حرمة رسول الله ﷺ، وأنْ يُدَنَّسَ القرآن، ويريدون إضفاء

الشـرعية على مَنْ يفعل ذلك بـاسـم الحريـة، وتعدد الآراء، وحرية التعبير.

ولكن هل يرضى أحدُهم إذا انتُهِكَتْ حرمته؟!

هل يرضى أن تُشْتَمَ أمُّه وأبوه؟!

هل يرضى أو يَسْكُتَ إذا اعتُدِي على وطنه؟!

هل يرضى إذا اعتُدِيَ على رأس السـلطة التي ينتمي إليها؛ من سلطان، أو ملك، أو أمير، أو رئيس، أو غير ذلك؟!

إنَّه لا يرضى بذلك.

فلماذا يرضى إذن أنْ تُنْتَهَكَ حرمة الله تعالى؟! أو يُسْخَرَ من أحكامه، ويُسْتَهْزَأَ بها؟!

فهذا الضعـف والخَوَرَ من أسـباب انتشـار هـذا الفكر، واسـتقواء أهله، وبعد ذلك لا يلومَنَّ أحدٌ إلَّا نفسه حين يطغى عليهم هذا الفكر.

وقد ذَكَرَ شـيخنا الخليلي ـ حفظـه الله تعالى ـ قصة بعض الناس ممن التقى بهم، وذَكَرَ ذلك في كتابه **مصرع الإلحاد**: أنَّ ذلك الشخص كان يُنَادِي بإشاعة هذا الفكر، وكان مُتَحمسًا جدًّا لذلك، وهذا إبَّان شـبابه، ولكن بعد أنْ حَـدَثَ ما حَدَثَ في بعض البلاد الأخرى تراجع عن هذا الأمـر، وحمد الله ﷻ أنَّ

هذا الفكر لم ينتشر، وإلا لسالت الدماء أنهارًا؛ لأنَّ هؤلاء متعطشون للدماء بشكل لا يُتَصَوَّرُ، فآلتهم القمع والإرهاب، ولا يُبَالُونَ بحرمة الإنسان.

كما نَقَلَ شيخنا الخليلي ـ عن هيثم طلعت ـ في كتابه **مصرع الإلحاد**؛ عندما تحدَّث عن شي جيفارا الذي أسَّسَ هذا الفكر، ونَشَرَهُ في أمريكا الجنوبية، وهو أرجنتيني الأصل، ولكنه قَاتَلَ مع الجيش الكوبي، وأسَّسَ الدولة الشّيوعيَّة في كوبا حتى تولَّى الأمر فليل كاسترو، وتولَّى هو بعض المناصب.

ثمَّ تولَّى ذلك كله، وأصبح ينتقل من بلد إلى بلد؛ للقتال في صفوف أتباع هذا الفكر الشيوعي، ويُقال: إنه كان في الجزائر، ووصل به الأمر إلى أوغندا، وكان بصحبة اثني عشر من أصحابه، فَقَتَلَ ستةً منهم، ثم هرب من هناك، واعترف بأنَّ الأوغنديين أفشلوا الثورة، وهرب بمَن معه.

• **أعظمُ ذنبٍ وأعظمُ معصيةٍ:**

وقد اعترف هؤلاء بتعطشهم للدماء، وعلى عدم مبالاتهم بحرمة الإنسان؛ وهذا الأمر يدفعنا إلى أنْ نُوَاجِهَ هذا الفكر بكلِّ قوة، فضلًا عن كونه معصية لله تعالى، وفضلًا عن كونه أعظم ذنب، فإنَّ أعظم ذنب هو الكفر بالله ﷻ، وتَوَعَّدَ الله تعالى أهله

بالعذاب الوبيل في الدنيا والآخرة؛ فقد قال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١]، وقال: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وحينما جعل النصارى المسيح عيسى ابن مريم ابنًا لله تعالى، واتخذوه شريكًا، وجعلوا أُمَّهُ أيضًا كذلك ردَّ الله تعالى عليهم ردًّا شديدًا؛ فقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٩ ـ ٩٥].

فَلَئِنْ كان هذا شأن مَنْ جَعَلَ لله تعالى شريكًا، أو اتَّخَذَ له ولدًا، فما شأن مَنْ يُنْكِرُ وجوده ﷻ مطلقًا؟! إنَّ هذا لشيء عظيم، ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

والله تعالى قد ذَكَرَ في كتابه أنَّه أهلك أقوامًا؛ لأنَّهم كذَّبوا برسلهم، أو كذَّبوا باليوم الآخر، أو شَكُّوا في وجود الله، أو أَنْكَرُوا شيئًا مما كانوا يُدْعَوْنَ إليه من العدل في المجتمع، أو أنهم مارسوا الرذيلة؛ فأهلكهم، ولم يبقَ لهم أثر، فماذا يَتَصَوَّرُ

هؤلاء الذي يُعلِنونَ الكفر الصريح والعياذ بالله تعالى، ويتجاوزون حدود الله؟! فهؤلاء إنما يستنزلون غضب الله تعالى وسخطه، والله تعالى يقول: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

فمِنْ هنا أُعْلِنُ براءتي مِنْ هؤلاء، وهكذا يصنع كل مسلم؛ حتّى لا يكون في ركاب الظالمين وأعوانهم، ونسأل الله تعالى أنْ يُسَلِّمَنَا من شرورهم.

## المحور الأول:
## أسباب الوقوع في الإلحاد

ذِكْرُ أسباب الوقوع في الإلحاد لا نعني بها أبدًا تسويغ الإلحاد، أي: تسويغ الوقوع فيه؛ فإنَّه لا يُعذَرُ الإنسان أبدًا في الكفر بالله تعالى؛ سواء أكان تكذيبًا، أو شكًّا، أو جهلًا بعد قيام الحجة بذلك طرفة عين، فهذا ضلالٌ كبيرٌ.

وإنما نذكر هذه الأسباب؛ لأن النفس الأمارة بالسوء تتَّخذُها مطية لإيقاع صاحبها فيه، أو أنَّ الشيطان يتَّخذُها منفذًا للولوج إلى أصحاب هذا المرض والعياذ بالله تعالى؛ فيكفرون بالله جَلَّوَعَلَا.

فكأنها ظروفٌ محيطةٌ، أو أسبابٌ داخليةٌ، أو أهدافٌ بعيدةٌ، إلَّا أنَّها كلها تدفع بعض ضعفاء النفوس للوقوع في الإلحاد والعياذ بالله تعالى.

تمامًا مثل ما يُحدِثُهُ التبرج والعياذ بالله؛ فهو يدفع بعض ضعفاء النفوس؛ للاعتداء على النساء المتبرجات، أو الزنا بهن، فهذا الزاني لا يُعذَرُ والعياذ بالله تعالى؛ لأنَّه يفعل ذلك عن إرادته، ولكن لا شك أنَّ التَّبَرُّجَ كان من ضمن أسباب التهييج، التي دفعته للقيام بجريمته.

وهكذا مثلًا الغضب، أو الرغبة في الانتقام؛ فقد يدفَعُ صاحبَهُ لقتل مَنْ أساء إليه، أو تَسَبَّبَ في غضبه، ولكن مع ذلك لا يُعْذَرُ فاعل ذلك من العقاب المادي والمعنوي.

وهكذا الشأن في المال السائب؛ فكما يُقالُ: أنَّه يُعَلِّمُ السَّرقةَ، إلَّا أنَّ ذلك لا يعني إباحة أنْ تمتد يدُ أحدٍ إلى مالِ غيره، وهو يعلم ذلك؛ لأخذه بدون إذن صاحبه، ولكن هذا المال المعروض من غير حرز قد يُهَيِّجُ بعض النفوس المريضة للقيام بجرائمهم.

ولذلك نحن هنا نذكر الأسباب التي قد تؤدِّي، ويتَّخذُها البعض مطيةً للوقوع في هذا الخطر العظيم والعياذ بالله، وهي كما يلي:

**السببُ الأولُ: الغرورُ:**

فكثيرٌ ممَّن يقعون في الإلحاد إنما يقعون فيه بسبب الغرور والإعجاب بالنفس والعياذ بالله، وهذا مرضٌ خطيرٌ يؤدِّي إلى معاصٍ كثيرة لا تكاد أنْ تقف عند حد؛ لأنَّ صاحبها يستعظم النعمة، ويدفعه ذلك إلى إنكار فضل المنعِم بها، أو نسيان حق المنعِم بها، وهو المولى ﷻ.

والغرور على أنواع كثيرة، وله أسباب كثيرة؛ فقد يكون في العبادة، وقد يكون في العلم، وقد يكون في المال، وقد يكون في

النسب، وقد يكون في الجمال، وقد يكون في قوة البدن، وقد يكون في كثرة الأتباع، وقد يكون في الْمُلْكِ، أو في الرأي، وغير ذلك من الأسباب الأخرى.

وقدْ تَوَعَّدَ الله هؤلاء بالعذاب الوبيل في كتابه العزيز، مما لا مجال لذكره الآن.

فبعض مَنْ وقع في الإعجاب بنفسه وبرأيه اعْتَبَرَ رأيَه مُقَدَّمًا على كتاب الله وعلى الوحي، أو على رسوله ﷺ؛ فيرى أنَّ هذا العصر مثلًا لا يُنَاسِبُهُ تطبيقُ الحدود الشرعية، أو أنَّ النظام المعاصر الآن لا يقبل تحريم الربا؛ لأنَّه أصبح ضرورةً يقوم عليها الاقتصاد العالمي.

ويرى أنَّ العلاقات الاجتماعية يجب أنْ يكون فيها انفتاح وحرية، فلا مانع من ممارسة العلاقات الجنسية بين غير المتزوجين؛ لأنَّ ذلك يؤدِّي إلى تهذيب الغريزة الجنسية، فيُقَدِّمُ رأيه الذي هو عبارة عن هوى ـ والعياذ بالله تعالى ـ على أحكام الله ﷻ، وعلى الأحكام التي جاء بها الرسول ﷺ مما ثبت قطعًا بالدليل؛ فهذا من الغرور.

وبعض الناس وقَعُوا في الإلحاد أيضًا بسبب اغترارهم بالدنيا، وميلهم إليها، وركونهم إلى شهواتها، وكأنهم مُخَلَّدُون فيها؛ فبسبب ذلك مضوا في شهواتهم، ودفعهم ذلك إلى إنكار حقوق الآخرين، أو الاعتداء على أعراضهم.

ليس بمجرد فعل، بل بتبنِّي فكرٍ يؤدِّي إلى إنكار ما هو معلوم من الدِّينِ بالضرورة، وليس بمجرد انتهاك ـ مع أنَّ الانتهاك عظيم، وهو كبيرة من الكبائر ـ، وإنما انتهاكٌ مع اعترافٍ بحرمة ذلك الشيء فيما يُعْرَفُ في العُرف الشرعي بالْمُحَرَّمِ.

فهؤلاء يستحلُّون ذلك دون أنْ يكون لهم تأويل، فيعتبرون الربا فائدة؛ لجمع المال، ويعتبرون الزنا حبًّا؛ لأجل تحقيق مآربهم في الشهوات الجنسية، ويعتبرون الخمر مشروبات روحية؛ لأجل الاستمتاع، والترويح عن النفس، وربما استحلُّوا المخدرات أيضًا، وهكذا، فميلهم إلى الدنيا، وحطامها دفعهم إلى الإلحاد.

وربما يغترُّ البعض بسلطته وقوته فيقع في الإلحاد؛ كما يُذْكَرُ عن بعض مَنْ آذى الدعاة والمصلحين فيما يذكرونه في مذكراتهم، حينما دوَّنُوا بعض معاناتهم في السجون إبَّانَ الأحكام الجائرة الظالمة، التي حَكَمَ بها عليهم القائمون على السلطة حينها في بلدانهم، ممن ينتمون إلى هذا الفكر الشيوعي، فكان بعضهم بسبب نشوته في السلطة، أو تسلطه، وكأنَّه بلغ حدًّا يتصور نفسه إذا أراد شيئًا أنْ يقول له: كن فيكون!! وليس هناك مَنْ يمنعُه.

فأدَّى به الأمر إلى أنْ يقول للسجين من الدعاة، أو العلماء: ائتِ بالله الذي تعبده، أو تحتمي إليه أضعه في السجن، أو الزنزانة هنا!!

إلى هذا الحد بلغ ببعضهم الوقاحة، وهم في الأصل بأسماء إسلامية، ولكن السلطة والغرور دفعتهم إلى ذلك؛ حتى يتمرَّدُوا على كتاب الله تعالى، وينتهِكوا المقدسات؛ فالغرور من أكبر أسباب الوقوع في الإلحاد بأيِّ صورة كانت.

**السببُ الثَّاني: الجهلُ:**

سواء كان جهلًا بحقيقة الدِّين الذي أنزله الله تعالى، أو كان جهلًا بمآلات الفكر الشيوعي نفسِهِ؛ فربما بسبب تشويه صورة الدِّينِ من قبل بعض وسائل الإعلام، أو بسبب المتزينين بالدِّين ـ وهم ليسوا كذلك في الحقيقة ـ يتأثَّر بهم بعض الناس الذين لا علم لهم بشرع الله تعالى، أي: بحقيقة الدِّينِ، فيقولون: إنْ كان الدِّينُ بهذه الصورة فنحن لا نريد شيئًا من هذا الدِّينِ، أو يُعْلِنُوا الكفر بالله ﷻ.

وفعلًا هذا واقع؛ فلقد التقيتُ ببعض الشباب من سوريا، وبعضهم من العراق، وكان ذلك في تركيا في إحدى الزيارات، وكلُّ واحدٍ منهم منفردًا أخبرني بهذه التجربة؛ وذلك بسبب ما يقع لديهم منذ سنين، من تظاهر بعض الناس بالتَّدَيُّنِ، وهم يُفَجِّرُون المساجد، أو الناس في المجتمع، ويعتبرون ذلك قُرْبَةً إلى الله تعالى؛ لأنَّهم يُكَفِّرُون المجتمع بسبب أنَّه لم يتَّبِعْ الفكر الذي هم عليه، فَشَوَّهُوا الدِّينَ بتصرفاتهم، وهم مع ذلك ربما يخطبون في المساجد، ويأمُّون الناس في الصلاة؛ فيقع الناس العوام في اضطراب شديد.

فهم من جهةٍ يتصوَّرُون الدِّينَ على غير هذا النحو، ولكن ليس لديهم علمٌ حقيقي بالدِّينِ، وأولئك الذين يمسكون بزمام الأمر خطباء، وأئمةٌ، ويقومون بنشر هذه الأفكار، وتسويغها؛ فأصيبوا بانفصام شديد، فاندفعوا إلى إنكار الدِّينِ، أو الكفر بالله تعالى، ولكن أُتُوا أيضًا من قبل جهلهم، وقد يكون الأمر ـ كما قلت ـ بسبب الجهل بمآلات الفكر الشيوعي هذا.

والإلحاد كما ذكر شيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ عن بعض الناس الذين كانوا يؤَيِّدُون الفكر الشيوعي الإلحادي، أو الحركة الشُّيوعيَّة: أنَّهم كانوا يتصوَّرُونه الفردوس المفقود قبل أنْ تنكشف لهم الحقيقة، ثم حمدوا الله تعالى بعد ذلك أن لم تنتشر هذه الأفكار، خاصة بعدما رأوا ما حَدَثَ في بلدان كثيرة؛ من سيلان الدماء، وانتهاك الأعراض، وظهور الفتن، والحروب الأهلية، وانتشار الفقر، على خلاف ما كان يُدَّعَى.

وقد يكون الجهل أيضًا بآيات الله تعالى؛ فالبعض من الناس لا يفتح عينيه على آيات الله تعالى في نفسه، وفي الآفاق، فلا يُبْصِرُ هذه الآيات كي تدخل إلى قلبه؛ فيؤمن بالله تعالى، ويعظِّمه، ويوحِّده، ويحبه، ويشكره على نعمائه، ويندفع إلى عبادته ﷻ، فهو للأسف الشديد يجهل هذه الآيات، أو يتجاهلها

مع وضوحها، مع أنَّ الله تعالى قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس: ١٠١].

وقال سبحانه: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

لكن ماذا تصنع بأُناسٍ صُمٍّ بكمٍ عمي فهم لا يعقلون، أو صمٍّ بُكمٍ عمي فهم لا يرجعون، ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فهؤلاء الذين غفلوا عن هذه الآيات وقعوا في هذا الأمر والعياذ بالله، ونَتَأَسَّفُ لبعض الناس الذين لديهم العقول الكبيرة الواسعة فيما يتعلق بالعلوم التجريبية، ولكنهم مع ذلك يرتضون أن يقعوا في براثن الإلحاد والعياذ بالله، ويكرعوا من مستنقعاته، أما كان لهم آية في تخصصاتهم؛ فيدفعهم علمهم إلى الإيمان بالله تعالى كما صنع غيرهم؟!

وقد نَقَلَ شيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ من كتاب الله يتجلَّى في عصر العلم، وشمس الإسلام تشرق من الغرب من جديد في كتابه برهان الحق الكثير من الشهادات العلمية لأصحاب التخصصات المختلفة، ومن خلال تخصصاتهم يُثْبِتُونَ وجود الله تعالى، وعظمته، ويعلن طائفة منهم إيمانهم بالله ﷻ، عن تذلل وانكسار لله الخالق العظيم.

وكذلك أيضًا البعض بسبب جهله بالتأريخ وعِبَرِهِ يقع في مثل هذا المحذور، ويقع في الإلحاد والعياذ بالله حين يغتر، أو لا يَقْدِرُ الأمور قدرها، أو يتصوَّرُ أنَّ الله تعالى لا يُعَذِّبُهُ، أو لا يهلكه؛ فيغتر بحلم الله ﷻ مع أنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

فيرتكب المعاصي التي هي بريد الكفر، وربما يرتكب الإلحاد نفسه، وكأنَّه ينتظر أنْ تنزل عليه صاعقة، وهو أحمق، ولو نزلتْ عليه صاعقة لما قام بعدها، ولكنه يغتر بحلم الله تعالى، مع أنَّ الله تعالى يريد بالعباد خيرًا؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

وقد يُنْزِلُ عليهم عذابًا من عنده يتألمون بسببه، ولكن هذا العذاب منطوٍ على نعمة وخير، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فيؤمن الناس العقلاء بالله ﷻ، ويرجعون

عن غيهم، ويثوبون إلى رشدهم، ومن نجى منهم يعتبر بمصير الهالكين.

ولكن البعض للأسف لا يزالون يُصِرُّونَ على باطلهم وظلمهم، فينزل عليه عقاب الله تعالى بعد ذلك، وربما يندموا ولات ساعة مندم؛ كما صنع فرعون حيث قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩٢].

**السببُ الثالثُ: كفرُ النعمةِ:**

فبعض الناس لا يشكرون نعمة الله تعالى، وحين يُبتَلُون لا يصبرون على الابتلاء، وقد يُبْتَلَوْنَ بأشياء كثيرة؛ منها الفقر، ومنها المرض، ومنها فقد الأحبة بأي وجهٍ من الوجوه، فلا يصبرون، ويبلغ بهم الأمر إلى الوقوع في الإلحاد والعياذ بالله تعالى.

وقد ذَكَرَ شيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ عن بعض الكُتَّاب الغربيين، وهو بول فيتز، حينما تكلَّم عن الأسباب النفسية التي تدعو إلى الإلحاد: أنَّهُ أثبت بالدراسات أنَّ كثيرًا من رموز الإلحاد كانوا منطوين على أمراض نفسية، وأنَّ حياتهم

الاجتماعية التي عاشوها كانت من ضمن المؤثِّرات الكبيرة لتحولهم إلى هذا الفكر الإلحادي، وإن كانوا من قبل نشأوا على الديانة اليهودية، أو النصرانية، أو على الأقل كانوا يعترفون بوجود إله وخالق لهذا الكون.

ولكن بسبب الحرمان، وبسبب سوء المعاملة من قبل الوالدين، أو أحدهما، أو بسبب الفقر، أو بسبب المرض، أو العاهة التي أصيبَ بها بعضهم وقعوا والعياذ بالله في القنوط، وكأنهم يريدون ـ وأستغفر الله ـ معاقبة هذا الإله بإنكار وجوده، أو التَّمرد عليه، وإعلان مخالفته، أو أنَّهم ينضمُّون إلى أعدائه من الشياطين، وهم رضوا لأنفسهم هذه المنزلة، ولم يتحمَّلُوا شدة البلاء الذي أنزله الله تعالى؛ لحكمة يعلمها ﷻ؛ ليميز الخبيث من الطيب.

وَذَكَرَ طائفةً من الأسماء، ورموز هذا الفكر الذين كانوا على هذا النحو؛ من أمثال: بول سارتر، وبرنتات رسل، وبلوتير، وغيرهم.

**السببُ الرابعُ: كيدُ الأعداءِ:**

وهذا الأمر ليس وليد الساعة، وإنما يسعى إليه الأعداء، خاصة في الأمة الإسلامية؛ فمنذ ظهور الإسلام هم يكيدون لهم، فقد كَادَ له الوثنيون من عرب قريش، وكَادَ له اليهود، وكَادَ له النصارى، واستمر هذا الأمر إلى يومنا هذا، ولا يزال.

وهذه سُـنَّةُ الله تعالى في خلقه؛ أنْ جعل الصراع بين الحق والباطل مستمرًا إلى أن تقوم الساعة، وفي هذا ما يدفع المؤمنين إلى التَّمسُّـك بدينهم، وإلى مُنَاوَاةِ هؤلاء المجرمين؛ فَوَرَاءَ هذا الكيد دُوَلٌ، وليس الأمر سـرًّا؛ فهناك أنظمةٌ تقوم بذلك، وهناك جمعياتٌ تقوم بذلك، وهناك أفـرادٌ معروفة أيضًا من الدول التي تقوم بذلك، من نحو: الاتحاد السـوفيتي، وكانت تمد المتأثِّرين بـالفكر الشيوعي بالمال، والسلاح، والخبرة.

وقد ذَكَرَ شـيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالـى ـ لقاءه لبعض الإخوة من اليمن، حين زار اليمن عـام ١٤٢٣هـ، ذكر أنَّ هؤلاء أخبروه كثيرًا عن تأريخ الشُّيوعيَّة، أو الماركسية في اليمن، وعن دورها في اضطهـاد النـاس، وأنَّ الناس كانوا يُؤخـذُون بعدما يخرجون من المساجد، بعد أنْ يُصَلُّوا لله تعالى؛ ليربطوا بالحبال إلى سـيارات، ثمَّ يُجَرُّون في تلك الوديان؛ ليرتطموا بالحجارة، والصخور، والأتربة!!

هكذا رؤوسـهم تتدحرج يمنة ويسرة، تسـحبها السيارات، ويتبعهم الجنود؛ ليضربوهم على رؤوسهم بأعقاب بنادقهم؛ حتى يلفظوا أنفاسهم الأخيرة، لمجرد أنَّهم أدوا الصلاة في المسجد.

ويذكرون أنَّ وراء هؤلاء مستشـارين من الاتحاد السوفيتي، ومن كوبا، ومن غيرها يمدونهـم بآرائهم في عدن، وفي غيرها، وكانوا يتولَّون تنظيم شؤون الدولة، وتنظيم الجيش، ولا يصدرون

في أمرٍ إلَّا عن رأيهم، ومشورتهم، وإذنهم؛ بسبب التبعية المطلقة لهم، والولاء الأعمى.

وهذا ليس سرًّا؛ لأنَّهم كانوا يمدون الثورة في الجزائر أيضًا، وفي غيرها من البلاد العربية والإسلامية، وما زالوا ينشرون الإلحاد إلى يومنا هذا، وذلك بصورٍ كثيرة، وإن انطوت حقبة الاتحاد السوفيتي.

والبلاد الغربية تتولَّى هذا الأمر الآن، ولكن ليس باسم الإلحاد، وإنما باسم العِلمانيَّة، وبأسماء أخرى برَّاقة؛ كالحرية، ونحوها، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

وكذلك هناك المنظمات الماسونية العالمية، والصهيونية، التي وراء هذا الشر؛ وذلك لأجل قطع صلة المسلمين بالإسلام، ولأجل تدمير أخلاق المسلمين، ولأجل تفريق شملهم، ولأجل إضعافهم سياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا، وعلميًا، وثقافيًا، وحضاريًا بشكل عام؛ تمهيدًا للاستيلاء على فلسطين كلها، وبناء دولتهم، وإقامة هيكلهم المزعوم، ونحو ذلك من الأمور.

كما يُعْلَمُ ذلك ممَّا نُشِرَ فيما يُعْرَفُ ببروتوكولات حكماء صهيون، وكما صرَّحُوا ببعض هذه الأهداف في مؤتمر بال بسويسرا، الذي عُقِدَ سنة ١٨٩٧م بقيادة تيودور هرتزل اليهودي النمساوي، وهناك اتفقوا على إقامة الدولة الصهيونية في فلسطين بعد ٥٠ خمسين عامًا، فأسَّسُوهَا سنة ١٩٤٧م، فهؤلاء يمضون على مخططهم، ولم يتوقفوا؛ ولذلك تَوَلَّوْا نشر الفكر الدارويني.

وقد صرَّح غير واحد من الباحثين بأنَّ الماسونية العالمية تَوَلَّتْ نشر فكر داروين في قضية النشوء والارتقاء؛ باعتبار أصل الإنسان قردًا، أي: حيوانًا؛ لأنَّ الحيوان غير محاسب، ولأنَّ الحيوان يغلب عليه طبع الشهوة الجنسية، وشهوة الغضب، والاستمتاع بهذه الحياة الدنيا دون قيود.

فيريدون أنْ يغرسوا هذه الفكرة في الناس؛ ليفعل الإنسان ما يريد، ولأجل التمييز، ونشر فكر الطبقية بين شعوب العالم؛ لسد ما يُعْرَفُ بالانتخاب الطبعي أو التطور، أي: الفكرة التي يقول بها داروين؛ ليعتبروا أنفسهم هم الأرقى.

وهذا ما اعتمد عليه موسوليني في الفكر الفاشي في إيطاليا، وكذلك أدولف هتلر في الفكر النازي في ألمانيا، وغير هؤلاء اعتمدوا على هذه النظرية كذلك؛ للقضاء على غيرهم من بني البشر، وأنهم لا يستحقُّون الحياة.

فإذن هؤلاء يفعلون، ويتحرَّكُون، وكذلك المنظمات التنصيرية تتظاهر أمام العالم بأنَّها تود المشاركة في مؤتمرات لحوار الأديان، والتسامح، وكذا، ولست أقول: بأنَّ كل النصارى يفعلون هذا، ولكن مما هو معلوم تورط طائفة من المنظمات التنصيرية على مستوى العالم بذلك، ولها جهود خطيرة جدًّا من وراء الستار؛ لأجل نشر الإلحاد في البلاد الإسلامية، ولأجل التَّشكيك في الدِّينِ.

والتركيزُ الآن حاصلٌ في الجزيرة العربية، وفي بلاد الخليج العربي؛ لأنَّها مهد الإسلام، ولأجل مصالح أخرى سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وحضارية، بشكل عام، وهذا أمرٌ معروفٌ لمن دَرَسَهُ.

وقد بحث الكاتب الدكتور سليمان الحسيني الحملات التنصيرية في كتابه **الحملات التنصيرية إلى عُمان** هذا الأمر، وأدرك بالوقائع، والوثائق جهود هؤلاء في منطقة نائية في الجزيرة العربية، وهي عمان، ومع أنَّهُم لم ينجحوا إلا أنَّهم لم يستسلموا أيضًا.

وأحد قادتهم الكبار، وهو زويمر، الذي كان يتولى رئاسة الحملات التنصيرية في القرن الميلادي المنصرم، أو القرن الهجري المنصرم كان يُصَرِّحُ بهذا، بأنه: ليس من هدف المستنصرين إدخال مسلم في النصرانية؛ فإنَّ في ذلك تشريفًا له وتكريمًا، وإنما هو في إخراج المسلم من إسلامه؛ فيترتب على ذلك قطع صلته بالأخلاق، التي تقوم عليها الحضارة؛ إذ إنَّه يكون مخلوقًا لا صلة له بالله تعالى.

فهذا ما يقوله زويمر، وهذا ما يسعون إليه الآن، ولهم حَرَاكٌ كبير للأسف الشديد في الجامعات، والكليات، والمدارس، ولهم وسائل مختلفة أيضًا.

وكذلك البوذية تتحرك الآن؛ لنشر أفكارها الوثنية، وهذا إلحادٌ بلا شك؛ وذلك عن طريق نشر الفكر النَّبَاتي، ونشر الفكر الروحي والطاقي، ولكن بمسمَّيَاتٍ مختلفة.

طبعا لَسْتُ ضدَّ استعمال المرء حِمْيَةً نباتية في فترة من الفترات؛ فهذا قد يكون صحيًا تارة، ولكن مع عدم تحريم ما أحلَّ الله من أكل ذوات اللحوم من الأنعام، فهؤلاء ينشرون فكرهم الآن، ولا يقتصرون على بلاد الإسلام؛ فهذا الفكر أصبح شائعًا في أمريكا، وأوروبا، وأصبح يغزو تلك البلاد، ويشتكي منه النصارى المتديِّنُون.

وقد بدأ يسري في بلاد الإسلام تحت أسماء برَّاقة، فنحن وإنْ كُنَّا مع الفكر الروحي والطاقي من جهة معينة بِقَدَرٍ؛ لأنَّ هذه حقيقة قائمة على فكر متوازن في ذلك، فلا إفراط ولا تفريط، ولكن نقول: يجب الحذر أيضًا؛ لأنَّ هناك بعض الممارسات تنطوي على شرك بالله ﷻ، وقد تخفى على بعض مَنْ أخذ يدخل في هذه البرامج، أو الدورات دون أن يدري، وفيه تعاملٌ مع الشياطين، وعبادة للشيطان، وعبادة للشمس والعياذ بالله تعالى.

وكذلك الفكر الهندوسي حيث برز بقوة الآن، وذلك فيما يحدث من تعصُّبٍ هندوسيٍ في الهند، وظهور بعض الأحزاب

اليمينية، والتي وصلتْ إلى السلطة، ولديها أفكار متطرفة ضد الإسلام، وتقوم بممارسات قمعية ضد المسلمين، وقصة مسجد بابري، وانتهاك حرمته، والاستيلاء عليه، ومحاولة هدمه، وبعد ذلك عن طريق المحكمة.

والآن ظهرت هذه الحقائق، فضلًا عن قانون الجنسية الذي تظاهر ضده المسلمون، ورأوا أبعاده الخطيرة من تجريدهم من الجنسية المحلية في بلادهم؛ تمهيدًا لطردهم، واعتبارهم غير مواطنين؛ لتخلوَ البلاد للهندوس.

فهذه ممارسات خطيرة جدًّا، وهناك تعاونٌ بين أصحاب الأفكار الهندوسية، والماسونية والصهيونية العالمية، والمؤسسات التنصيرية، وكلُّ ذلك لمحاربة الإسلام، وإنْ كانوا يُغَطُّونَ بعض تصرفاتهم بمحاربة الإرهاب؛ فالمسألة خطيرةٌ جدًّا.

وكذلك كيد بعض الأفراد أنفسهم، فلا يلزم هؤلاء أنْ يتحرَّكُوا في مؤسسات، مع أنَّ حركتهم مؤسسية كما هو معلوم، إما عن طريق دول، أو منظمات بأشكالها المختلفة، سواء حملة الوجهة الخيرية كما يقولون، من مؤسسات للأعمال التطوعية، أو لمساعدة الفقراء، أو لأجل علاج المرضى، أو مؤسسات تأخذ الطابع العالمي الإنساني، أو غير ذلك.

لكن البعض منهم يتحرَّكُ فردًا، وليس أمره بيسير، بل هو خطير.

وَأَذْكُرُ أَنَّنِي قبل سنين ذهبت إلى دولة بوروندي، وهذه البلاد الأفريقية كان أهلي بعدما خرجوا من عُمان هاجروا إليها، وسكنوا فيها سنين طويلة، ثم رجع أكثرهم الآن إلى عمان البلد الأم، والحمد لله.

فذهبتُ لزيارة تلك البلدة ـ التي وُلدتُ فيها ـ قبل سنين طويلة، وكان ذلك برفقة الوالدين الكريمين، فَقُمْتُ في البيت، وذهبنا إلى زيارة إحدى القرى؛ ولأنَّهما زاراها قبل التحاقي بهم في تلك الرحلة، فسألتهما عمَّا شاهداه؟

فأخبراني: أنهما التقيا بالقِسِّيسِ الذي كان في تلك القرية النائية في الأدغال، وقد عرفاه، وعرفهما، وذكرهما باسمهما.

وقال لهما: فلان وفلانة؟!!

فقالا: أنت موجود إلى الآن.

قال لهم: نعم.

فقد صار له أكثر من خمس وثلاثين سنة، وهو قسيس إيطالي، ترك إيطاليا؛ حيث الْمَدَنِيَّةُ، والراحة، والمال، والأهل، والولد، وجاء يسكن في تلك الأدغال؛ لينشر النصرانية!! فانظروا إلى تلك الجهود التي يقوم بها هؤلاء.

وهؤلاء لا تقتصر دعوتهم على الوثنيين الموجودين في تلك البلاد؛ وإنما يُرَكِّزُونَ على المسلمين أيضًا، وذلك عن طريق ما يُسَمُّونَهُ بالأعمال الخيرية.

وقد رَأَيْتُ بعيني ذلك بعدما قَطَعْنَا في رحلةٍ من الرحلات ساعاتٍ في طريق الغابة، رأيتُ بعيني رأسي مؤسسةً ضخمةً بين بيوتٍ لأقوام يعيشون فيها، وهي مبنية من الطين، ومغطاة بالسعف، وبالكاد كما يُقَالُ: تتسع لبعض الأفراد، عبارة عن غرفة واحدة فقط، لكن بين تلك البيوت الضعيفة الْمُهترئة القديمة مبانٍ ضخمة، فإذا بها عليها شعار النصرانية، وعليها الصليب، وفيها مشفى راقٍ، وفيها مدرسة نظامية عصرية، وفيها مصنع للعمل.

هكذا يجمعون بين هذه الأشياء الثلاثة: يوفِّرُون المدرسة؛ للتعليم، ويوفِّرُون المشفى؛ للعلاج، ويوفِّرُون مكان العمل؛ لأجل توفير القوت لهؤلاء، ولديهم محل تجاري في بعض الأحيان؛ لإعطاء خُصوم، أو تسهيلات مادية لمن يتَّبِع فكرتهم، فيُعْطَى بطاقة خاصة إنْ كان نصرانيًا؛ وذلك حتى يُعَامَلَ معاملة خاصة، أمَّا المسلم لو دخل هذه المؤسسات فإنَّه لا يُعَامَلُ كذلك.

ولأنَّ الناس فقراء يرضون أنْ يفعلوا هذا، ولو لم يقتنعوا في الباطن، وأولئك الْمُنصِّرون يعلمون أنهم لم يقتنعوا، ولكنهم ينظرون إلى الأجيال التالية، فحينما ينشأ هؤلاء الكبار على الذهاب إلى الكنيسة، ويأتون بأطفالهم معهم، فهم يتولَّون تربية أولئك الأطفال منذ الصغر على هذه الأفكار، ثم بعد ذلك يرسلونهم إلى أوروبا؛ لمزيدٍ من التعلم، والتربية؛ ليرجعوا بعد

ليكونوا متمكنين في تلك البلاد، فينالوا المناصب دون غيرهم من المواطنين المسلمين، الذين يكونون غير مؤهلين أصلًا للقيادة، وتولي المسؤوليات العامة.

**السببُ الخامسُ: الإغراقُ في الماديةِ:**

وللأسف الشديد بعض الناس يعبدون الدنيا، ويعبدون الشهوات، وَقَصَرُوا نظرهم على هذه الحياة الدنيا، فلا يؤمنون بالآخرة، ولا يؤمنون بالغيب، فإذا بهم يُقَدِّسُون الطبيعة، ويُؤَلهونها من دون الله ﷻ؛ فحينما يعيشون في رغدٍ ينسبون ذلك إلى الطبيعة، وحين ينالهم بؤسٌ ينسبون ذلك إلى الطبيعة، فيتوجَّهون إليها بالعبادة، وهذا من أسباب الوقوع في الإلحاد والعياذ بالله تعالى.

فحين يُجَمِّدُ الإنسان عقله، ولا يؤمن إلَّا بالمحسوس؛ كما هو شأن ما يُسَمَّى بالفكر الوجودي، الذي يمثلُهُ بول سارتر، ومَنْ معه، فهؤلاء والعياذ بالله لا يؤمنون إلَّا بما يقع تحت حواسهم البشرية.

وسرى على ذلك الفكرُ الأوروبي بعد قيام الثورة الفرنسية فيما يُسمَّى بحركة التَّطور العلمية؛ لأنَّ هؤلاء حَصَرُوا أنفسهم فيما يُثْبِتُهُ لهم المختبر؛ فما رأوه بأعينهم، أو لمسوه بأيديهم، أو سمعوه بآذانهم يؤمنون به، وما عدا ذلك فلا يعترفون بوجوده، فوقعوا في الإلحاد، والعياذ بالله تعالى.

وأنكروا الجانب الروحي فيما يتعلَّق بوجود الملائكة، ووجود الجن، فضلًا عن وجود الله ﷻ، وينكرون حقائقه الروحية، من مثل الوحي، ونحو ذلك، ولذلك وقعوا في الإلحاد.

وأتباع الفكر العقلاني المعاصر، الذي يَدَّعِي العقلانية، وهو ليس من العقل في شيء؛ كما ذكر شيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ، أو كما يقول: الذين حُرِمُوا نعمة العقل، من باب تسمية الأشياء بأضدادها، ينحون هذا المنحى، وإن كانوا في البداية يبدأون بالمجادلة، ونحو ذلك، ولكنهم في النهاية يصلون إلى هذه الغاية، والعياذ بالله تعالى.

**السببُ السادسُ: اتِّباعُ الهوَى:**

وهذا له مظاهر كثيرة.

والمقصود باتباع الهوى: هو الميل عن الحق، فهم أتباعه، وينقادون له ولو كان في ذلك مضرتهم؛ لأنَّهم يرون مصلحة آنية، دون أنْ يَتَفَكَّرُوا في عاقبة الأمور، كالذي يرتكب الزنا والعياذ بالله تعالى؛ لأجل المتعة الجنسية في تلك اللحظات، التي ينتعش فيها بممارسة هذه الرذيلة مع مَنْ حرَّم الله عليه الالتقاء به جنسيًا، وكالمتعة التي يجدها مَنْ يشرب الخمر، ولكن ينسى العواقب بعد ذلك؛ حين يفقد عقله، وكرامته بين

الناس، وربما تَبَوَّلَ على نفسه، وربما هَتَكَ عِرْضَ محارمه، وربما قَتَلَ نفسه، أو قَتَلَ غيره، وربما أَتْلَفَ ماله، وربما فَعَلَ أي شيء.

وكذا مَنِ ارتكب فاحشة الزنا، أو فاحشة قوم لوط؛ حين يُصَابُ بأمراض خطيرة تؤدِّي إلى هلاكه، وتدمير أسرته، أو ينقل العدوى إلى غيره؛ نتيجة إصابته بالأمراض الخطيرة، كالإيدز، والإيبولا، والزهري، والسيلان، وغيرها.

أو كالذي يتعاطى المخدرات؛ فيشعر بالنشوة، ولكن بعد ذلك يُصَابُ بالإدمان؛ فيؤدِّي به ذلك إلى هتك عرضه، أو عرض غيره، أو إتلاف ماله، أو إتلاف مال غيره؛ لأجل الحصول على هذه المادة التي يتعاطاها، ولا يُبَالِي بفعل أيِّ شيء في أيِّ أحد كان، وكان يكفيه الذل الذي يناله بسبب ذلك.

حتى أنَّ البعض حين يرى مِنْ نفسه الرغبة في الوقوع في جرائم قد تؤدِّي إلى إهلاك بعض أحبابه يُبَادِرُ إلى الانتحار، وقتل نفسه، فَيُفَضِّلُ هذا الأمر؛ ليُنهي حياته، ويُكَبِّدُ المجتمع خسائر كثيرة، ويُحْزِنُ أهله على فقده بعد أنْ أَحْزَنَهُم على ارتكابه تلك الجريمة، وإذلالهم في المجتمع؛ حتَّى نَكَّسوا رؤوسَهم؛ لانتمائه إليهم!!

**السببُ السابعُ: التَّنكُّرُ للفطرةِ:**

فالفطْرةُ تدعو إلى توحيد الله ﷻ، والإيمان به، والإيمان بالحقائق الكونية، والحقائق الغيبية؛ واتِّبَاع الهوى والتَّنكُّرُ لهذه الفطرة يؤدِّي إلى الوقوع في الإلحاد والعياذ بالله؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، ومن دون ذلك العناد والمكابرة.

**السببُ الثامنُ: الْحَمِيَّةُ الجاهليةُ:**

الذي هو مذكورٌ في أسباب الكفر؛ كما ذَكَرَ شيخنا الإمام نور الدين السالمي رحمه الله، وَذَكَرَ ذلك المولى في أسباب كفر العرب في الجاهلية؛ كما قال الله تعالى نقلًا عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، ﴿ءَأُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨].

فمنشأ هذا الإلحاد هو الحسد، والعناد، والكبر، والمجادلة بالباطل، وهم يعترفون بهذه الحقائق، وكم اعترف هؤلاء الملاحدة ـ ولكن بعد سنين ـ بأنَّهم كانوا يجادلون مجادلات عقيمة، وهم يعلمون أنَّهم على باطل؛ وإنما فقط لإغاظة الخصم، أو لأنَّهم وجدوا آباءهم على هذا الفكر؛ فساروا عليه، وما أرادوا التغيير، كما هو الشأن في الحَمِيَّةِ الجاهلية والعياذ بالله؛ في قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وفي آية أخرى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

فاتِّباعُ الهوى هو الذي يُوقِعُ صاحبه في الإلحاد والعياذ بالله تعالى؛ فحين يُرَدُّ على شخص مثلًا، أو يُهْزَمُ في مناظرة، ويُفْضَحُ أمره فيُصِرُّ على الباطل، مع أنه يرى آيات الله البينات، لكنه يتعامى عن بوارق الحق، ويتعاظم عن قوارع النذر، والعياذ بالله.

**السبَبُ التاسعُ: التَّرَف:**

وهو وسيلة من وسائل الأعداء، والشيطان، والنَّفس الأمَّارة بالسوء في إيقاع الإنسان في الإلحاد والعياذ بالله تعالى؛ لأنَّ الترف يؤدِّي إلى انعدام الحياء والغَيْرَة؛ فغالبًا المترفون والعياذ بالله تعالى مائلين إلى الحياة الدنيا، مُخْلِدِينَ إليها؛ بحيث لا يرون إلَّا التَّمتع بهذه الحياة الدنيا الفانية، فهم يُعَظِّمُونَ شأنها؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

فَيَتَنَكَّرُ لآيات الله تعالى؛ لأجل ذلك، كما قال هؤلاء الصهاينة فيما يُسمَّى **ببروتوكولات حكماء صهيون**: «كأسٌ وغانيةٌ يصنعان في أمة محمد ما لا يصنعه ألف مدفع».

وهذا ما ذكره الإمام السالمي رحمه الله تعالى في **جوهر النظام**، فقد ذَكَرَ هذا الأمر قبل أكثر من مئة عام، بأنهم يأخذون الدار بالخدائع.

وهذا الترف أُصِيبَ به ـ والعياذ بالله ـ كثيرٌ من الأغنياء، وكثيرٌ من أهل السلطة؛ فأصبحوا يهتمون بسفاسف الأمور، ولا يعتنون بالدِّينِ، فلا يُبَالُونَ أنْ تُنْتَهَكَ حرمات الله، ولا يُبالُون

أنْ يُكفَرَ بالله ﷻ، ولا يُبالُون أن تُنتهك المقدسات، ولا يُبالون أن تُحتل الأرض، فهذا لا يهمهم، وإنما همُّهم هذا الفتات المتساقط من موائد الآخرين؛ لأنَّ هذا هو شأن المترفين.

وربما يُلْحِدُ أحدهم؛ كما وقع أنَّ امرأة شابة فُتِنَتْ برجل أجنبي نصراني؛ فارتدت عن الإسلام، وخرجت معه، وتركت أهلها.

وقد يُفتَنُ شابٌ بفتاةٍ، فيسيل لعابه لجمالها، فتستولي على عقله؛ ليتمرَّغَ في أوحال الرذيلة، فإن قيل له: بأنَّ الإسلام يُحَرِّمُ هذا دون أن تكون هناك علاقة زواج شرعية، فلا يبالي أنْ يرتدَّ عن الإسلام؛ ليعتنق الإلحاد، أو غير ذلك من الأفكار الباطلة، والأديان الضالة؛ لأجل هذه الشهوة.

أو كما يصنع بعض عبيد المال، حين يستحلُّون الربا والعياذ بالله تعالى؛ لأنَّهم لا يستطيعون كبح جماح أنفسهم بالاستكثار من المال؛ كما قال الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١ ـ ٢]، فلا تجدي معهم موعظة، ولا تنفع معهم نصيحة؛ فبسبب هذا الترف وقعوا في الإلحاد والعياذ بالله تعالى.

وكما قلتُ: الأمر خطير جدًّا؛ فبسبب وقوع الناس في الترف أدَّى بهم ذلك إلى العناية بسفاسف الأمور، فلا يبالون بموالاة أعداء الله ﷻ؛ فنرى بعض الشباب الآن يتعلَّقُون بما يُسَمَّوْنَ

بالمشاهير، فيما يُعْرَفُ بوسائل التواصل الاجتماعي، وسوشل ميديا، سواء كان هؤلاء من المغنين، أو الراقصين، أو كانوا من أصحاب الوسامة، أو الوجوه الجميلة، أو كانوا غير ذلك، وإن كانوا منطوين على كفر وإلحاد، وإن كانوا من المنحطين خُلُقيًا، وإن كانوا يُصَرِّحُونَ بمعادات الإسلام، أو بوَلائهم للصهيونية العالمية، أو غير ذلك.

فغاية ما في الأمر أنَّ كثيرًا من الشباب المسلم يتأثَّرون بهؤلاء؛ نتيجة ضحالة الفكر، والترف الذي أصابهم، فأخلدوا إلى الأرض، فبمجرد كلمة ينطق بها هؤلاء يَتَّبِعُونهم، ويُقِرُّونهم على ما هم عليه من الكفر والضلال؛ تعاطفًا معهم، ولو أُريد أنْ يُنَالَ أحدهم بالعقوبة الشرعية التي يستحقونها مانعوا من ذلك، وربما خرجوا مظاهرات في ذلك؛ انتصارًا لهؤلاء الساقطين والعياذ بالله تعالى.

ويتولَّدُ أيضًا عن هذا الترف الاستهتار وعدم المبالاة، وهذا ما يقع فيه بعض الشباب الآن للأسف الشديد؛ حيث رجعوا من أوروبا بعد البعثات الدراسية وهم لا يبالون، وهم مستهترون بكل شيء؛ مستهترون بالمقدسات، وباليوم الآخر، وبالرموز، أي: العلماء الربانيين، وبأحكام الله ﷻ، فلا يبالون بشيء؛ لأنَّهم يريدون أنْ يعيشوا حياتهم ـ كما يقولون ـ، وأنْ يستمتعوا، وأنْ لا يمنعهم مِنْ ذلك مانع.

**السببُ العاشرُ: التَّطَرُّفْ:**

سواء كان ذلك بالإفراط، وهو الغلو والإرهاب، أو كان ذلك بالتفريط، وهو الانبطاح كما أُسَمِّيهِ، وهو أحسن، وأقوى من كلمة التسامح.

فالإفراط الذي يؤدِّي إلى التَّشدُّد ـ وهذا يُشَوِّهُ صورة الدِّينِ الحق ـ قد ينتج عن ذلك ممارسة وإرهاب بتطبيق ذلك في الواقع؛ فقد تكون هناك فئة مُتَشَدِّدَةٌ، تُوصَفُ بالغلو، ولكنها تجبح جباح نفسها فيما يتعلَّق بالتصوف إلَّا قليلًا، أو في نطاق ضيق.

ولكن بعض هؤلاء المتشددين ربما يتجاوزون إلى إرهاب الآخرين، وإلى تطبيق فكرهم على الناس بالقوة، فمَنْ وافقهم أحاطوه بعنايتهم، وأغدقوا عليه المنصب والمال، ومَنْ خالفهم حكموا عليه بالعدم فقتلوه، حتى أنَّ بعضهم يصل به الأمر إلى أنْ يقتل أخاه، أو يقتل أباه، أو يقتل جاره، أو يقتل إمام المسجد الذي كان يصلِّي خلفه.

وهذا مرضٌ خطيرٌ جدًّا، وقد حَذَّرَ الله تعالى منه أهل الكتاب؛ ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، وقد نشأ هذا عند اليهود؛ بدعوى التَّدين، والتقرب إلى الله ﷻ.

وقد حذَّر الله ﷻ هذه الأمة منه أيضًا، وصرَّح بذلك رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة؛ فقد نهى عن التشدد والغلو في

الدِّينِ، وأمر بالتيسير لا التعسير، إلَّا أنَّ هذا التيسير يكون بقواعده وبضوابطه.

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة، وقد دفع هذا الأمر بعض الناس إلى الإلحاد والعياذ بالله تعالى، ومِنْ هؤلاء أنفسِهم الذين وقعوا في الغلو؛ لأنَّ الغلو معاكس للفطرة، ومضاد للدِّينِ؛ كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[1].

فقد وقعوا في اضطراب نفسي، وفي عُقَدٍ نفسية، ووصلوا إلى نتيجةٍ: أنَّهم لا يستطيعون تطبيق الدِّينِ على ذلك النحو الذي فهموه؛ فانقلبوا إلى الضِّدِّ، وهو ترك الدِّينِ بالكلية.

أو أنَّ هؤلاء: أَعْطَوْا للدِّينِ صورة غير صحيحة، أي: مشوهة، ولما رآهم بعض الناس على تلك الحال تنكَّرُوا للدِّينِ، وآثروا إنكار الدِّينِ على الإطلاق؛ فمنهم: مَنْ لم يدخل الدِّينَ أصلًا، ومنهم: مَنِ ارتدَّ عن الإسلام والعياذ بالله؛ وذلك بسبب هذه الممارسات الخاطئة.

وَأَذْكُرُ قبل سنين، وبعد حصول بعض التفجيرات في لندن ومدريد، كنتُ أتابع بعض القنوات الفضائية؛ فوجدتُ تُهَمًا مباشرة بأنَّ بعض مَنْ تورَّطَ في ذلك هم مسلمون.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، رقم: ٣٩.

وبالمناسبة أُرِيدُ أنْ أعلِّقَ على هذه النقطة: بأنْ ليس كل ما يُنْشَرُ في الإعلام صحيح، خاصة الإعلام الغربي، الذي يدَّعي الحيادية، وما يسمِّيها بالموضوعية.

وليس الأمر كذلك؛ بل هو إعلام موجَّهٌ، خاصة ضد الإسلام، وهو يدٌ للمنظَّمات والدول؛ لأجل تشويه صورة الإسلام؛ لأنَّ تلك الدول والمنظمات رأتْ أنَّ الإسلام بدأ يفتح عينيه، وأنَّ هذا العملاق بدأ يستيقظ من سباته، يفتح عينيه، ويمد رجليه، ويوشك أن يقوم على قدميه؛ فيُرِيدون الإجهاز عليه قبل أنْ يَحْدُثَ منه ذلك.

رأوا ذلك حسب الإحصاءات التي ينشرونها، وهذا شيء أيضًا ملاحظ في الواقع: أنَّ الإسلام هو أسرع الأديان انتشارًا على مستوى العالم، وأخذوا يحسبون بعمليات معينة حسب توقعهم أنَّه بعد نحو ٥٠ خمسين عامًا سيحكم الإسلام أوروبا؛ حسب ما هو واقع الآن في المجتمعات الغربية، وهدفهم من ذلك تقوية ما يُسمَّى بالحركات اليمينية، أي: المتطرفة العنصرية؛ لتكون ضد الإسلام، وتقوم بحراك شعبي إعلامي سياسي اقتصادي اجتماعي ضد الإسلام فيما يُعْرَفُ بفكرة الإسلاموفوبيا، أي: التخوف من الإسلام.

وقد ظهر ذلك في دول كثيرة؛ فهناك الحزب الوطني (Natioal party) في بريطانيا، ويتزعمه أحد هؤلاء المعادين للإسلام، وهو آدم وُوكر ومَنْ معه، وهناك حزب اليمين المتطرف

في هولندا، وفي النرويج، وفي ألمانيا، وفي فرنسا، وفي غيرها من البلاد الأوروبية.

وهذه تتعاون فيما بينها، وعندما رأتْ سرعة انتشار الإسلام في تلك البلاد أخذتْ تستعمل هذه الوسائل الإعلامية؛ لأجل بثِّ المعاداة للإسلام، وخطر الإسلام، وربما يقومون بأجهزتهم المعروفة بالمخابرات الخفية بإنشاء بعض الجماعات، التي تنتمي في ظاهرها للإسلام، أو أنَّهم اخترقوها أمنيًا أصلًا حتى وصلوا إلى أعلى درجات التأثير في قيادتها؛ لِيُوَجِّهُوها للقيام بِعَمَلٍ مثل هذه العمليات، لِتُنْسَبَ إلى المسلمين، ولِتُشَوِّه صورة الإسلام، فربما يكون بعض الشباب المسلم فَعَلَ ذلك حقيقة، ولكنهم غُرِّرَ بهم، فهم يتحمَّلُون مسؤوليته.

ولكن وراء ذلك أيضًا قد تكون الأيادي الخفية، وربما يكون عن طريق آلاتٍ مُعَيَّنَةٍ لا يُنْقَلُ فيها أشخاص؛ وذلك بسبب تطور أسلحة الفتك والدمار لدى هؤلاء، ثم يُنْشَرُ بأنَّ فلانًا قام بذلك، وهذا الشخص مَيِّتٌ للأسف الشديد مع أنَّه مسلم، ولكن لا يُعْلَمُ له أثر، فلا يستطيع الدفاع عن نفسه، ولا يستطيع أهله إنْ عرفوه أنْ يدافعوا عنه أنَّه لم يفعل، فلا يُسْمَعُ لهم صوت، وإنْ قاموا بذلك سيُسْكَتُون ربما إلى الأبد، فنسأل الله العافية.

فإذن هذه من وسائل هؤلاء، ومن أسباب انتشار الإلحاد في العالم.

وأرجع إلى القضية أنَّه بعد وقوع هذه العمليات بما عُرِفَ محطة مترو الأنفاق التي تحت الأرض، في محطة كينغز كروس في لندن، وفي مدريد أُعْلِنَ بأنَّ الذي فَعَلَ ذلك مسلمون، والله أعلم.

وَظَهَرَ في بعض القنوات العربية الإسلامية محاورةٌ مع أحد المفكرين المسلمين، فكان يتكلَّم بأنَّه يستنكر، ويشذب، ويدين هذا الفعل، وأنَّه ضد الإسلام، وضد الدعوة الإسلامية؛ لأنَّ هؤلاء إنْ كانوا يريدون الدعوة إلى الإسلام، وانتصار الإسلام فهذا خطأ، ولا يكون بمثل هذا التصرف؛ لأنَّ هذا التصرف يؤدِّي إلى تهييج الرأي العام الغربي الأوروبي ضد الإسلام، بل العالمي.

فالناس حينما يرون ذلك يمتلئون حقدًا وغيضًا على الإسلام، ولا يدخلونه، ولا يقتنعون بأفكاره، ومن أراد إقناعهم يكون قد تولَّد لديه فكرةٌ سلبية؛ فيعاني الدعاة للوصول إلى إظهار الحقيقة إليه؛ لأنَّه يلزمهم أولًا أنْ يزيلوا هذه الغشاوة عن ذهنه فيما يُعْرَفُ بالفكر المغلوط النمطي؛ كما يُسمُّونه عند هؤلاء، نسأل الله العافية، والعياذ بالله.

وكذلك من التطرف التفريطُ والتهاونُ في الدِّينِ إلى درجة الذوبان في الآخرين، مع أنَّ في الدِّينِ ثوابت لا يمكن التنازل عنها، ولكن البعض للأسف الشديد يتساهل في هذه الثوابت؛ كما قال أحمد مطر في بعض قصائده:

**والدين من فرط يسره ... قد احتوى مسيلمة**

فأصبح الآن مَنْ يكفر بالدِّينِ مِنَ الدِّيـنِ!! ولا يُخْرَجُ منه، ولا يأبَى هو الخروج منه، بل يبلغ به الأمر أنْ يتكلَّم باسم الدِّينِ مع أنَّه يحارب الدِّينَ، وهذا شأن عجيب!!

وشـيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ ذَكَرَ عن بعض هؤلاء بأنهم يحاربون مبادئ الدِّينِ والتوحيد، وينتصرون لأسيادهم من الملاحدة والكفـرة، فليتهم تركـوا التَّقَوُّلَ علـى الله بغير علم، وليتهم تركوا تفسـير القرآن، فلماذا يتشبثون بالقرآن، ويتكلَّمون باسم الإسلام، وينشـرون بين الفينة والأخرى بعض التغريدات بأنَّ الإسلام كذا، والقرآن كذا، كأنَّما يتكلَّمون باسمه، وهم أبعد ما يكونون عن الدِّينِ.

فالتَّفريطُ الـذي أدَّى إلى هذا الانبطاح أيضًـا قد يؤدِّي إلى الإلحاد والعياذ بالله؛ وذلك حينما يقول بعض الناس: الكفر بالله عادي، وكل واحد حر أنْ يعبد الله، أو أنْ يعبـد بقرة، أو أنَّ مَنْ يعبد البقرة ـ لأنَّه مجتهد اسـتعمل عقله ـ سيدخل الجنة، وربما بعض هؤلاء الكفرة لم تبلغه الدعوة، ما شاء الله!!

وربما يقول بعضهم: بأنَّ هذا فلان، الفيلسوف البريطاني، نَفَعَ الإنسانية بما لم ينفعه بعض المسلمين، الذين لا يعرفون حتى صُنْعَ إبرة، فهذا نَفَعَ الإنسـانية بما اكتشف من أشياء، وبمـا صَنَعَ من آلات، وابتَكَرَ من أشـياء، فكم لـه مِنْ أجرٍ بسبب ذلك؟!

سبحان الله!! هو لا ينظر إلى الكبيرة التي تلبَّسَ بها، وهي الشرك بالله تعالى، التي تُحْبِطُ كل عمل؛ كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥]، إلى غير ذلك من الآيات، فسبحان الله العظيمَ!!

**السببُ الحادِي عشر: تحريفُ الدِّينِ وتشويهِهِ:**

إمَّا: بالتَّعَنُّتِ، أو التَّثليث، أمَّا التَّعَنُّتُ فقد ظَهَرَ من اليهود، والتَّثليث ظَهَرَ من النصارى، والمقصود بذلك في النهاية هو تعطيل وتجميد العقل.

وينبغي هنا أن أقول كلمة فيما يتعلق بأوروبا خاصة، وذلك فيما يُعْرَفُ بالعصور المظلمة، ومَنْ أراد المزيد من ذلك فليرجع إلى كتاب **واقعنا المعاصر** لمحمد قطب، وإلى غيره مما كُتِبَ في هذا المجال:

فأوروبا في العصور المظلمة، أو القرون الوسطى، والتي تمتد تقريبًا فيما يُعْرَفُ بالقرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، نحو أربعة أو ستة قرون، كانت تعيش الفقر، والجهل، والتخلف، والمرض، والضعف في النواحي الروحية، والعلمية، والسياسية، والاجتماعية والمالية، وغيرها.

فمن الناحية الروحِيَّة كانت منقطعة الصلة بالله تعالى؛ لأنَّها

كانت تعيش على أفكار شيطانية، فكان كثيرٌ من الناس يؤمنون بالخرافات، وبالشياطين، ويلجأون إلى السِّحرة، وربما يُقَدِّسُون الأحجار والأشجار؛ وبسبب جهلهم أيضًا وقعوا في ذلك، وبسبب ضعف الكنيسة في فترة من الفترات أيضًا، وبسبب الحُكَّام الظلمة الذين ينشرون فيهم هذه الأفكار؛ لأنَّه يسهل عليهم التحكم في الشعب الجاهل، فانقطعت صلتهم الحقيقية بالله تعالى إلَّا قليلًا.

ومن الناحية الفكرية كانوا يؤمنون بالخرافات، وكانوا يُعَطِّلُون العقل، وكانت الكنيسة تقوم بذلك فيما يُعْرَفُ برجال الدين، وذلك بعدما حصل تحريفٌ في الكنيسة، وتحريفٌ في أفكار التوحيد، التي جاء بها عيسى عليه السلام؛ فانتشر التثليث، وطالب القساوسة والرهبان الناس بالإيمان بأنَّ الله واحد، وفي الوقت نفسه هو ثلاثة؛ لأنَّ أول مبادئ الوصايا العشر في العهد القديم التوحيد، وهذا معروف عند اليهود، وهم يؤمنون بالعهد القديم.

وأضافوا إليه العهد الجديد فيما يُعْرَفُ بالكتاب المقدَّس، وحتى يُقنِعُوا الناس بأنَّ الواحد ثلاثة يطالبونهم بعدم استعمال العقل، ومَنْ نَاقَشَهُمْ في ذلك اعتبروا ذلك هرطقة، أي: نوعٌ من الكفر، أو الزندقة؛ ولذلك حرَّمُوا ما يُعْرَفُ بالمنطق الأورسطي، وحرَّمُوا مطالعة كتب الفلاسفة اليونانيين، وكان ذلك إبَّانَ الدولة

الرومانيّة المادية الشهوانيّة، التي مجَّدَتِ الشهوات، والقوة والطغيان، واحْتَقَرَتِ العلم والثقافة، فَضُيِّعَ الفكر، وذهبتْ بساطة الدِّينِ، ونقاوته، ونوره.

وكذلك مُنِعَ العلم؛ لأنَّ الكنيسة في ذلك الوقت كانت تعتبر التعلم نوعًا من اكتشاف أسرار الكون، واكتشاف ذلك يؤدِّي بالإنسان إلى أنْ يُضادَّ الله ﷻ ـ وأستغفرُ الله ـ في تصريف الكون إذا اكتشفتْ أسراره؛ ولذلك انتشر في الأوروبيين إبَّانَ ذلك العصر، وتلك القرون فكرةُ انتهاء العالم بحدود أوروبا الغربية، فيما عُرِفَ بالمحيط الأطلسي، وعُرِفَ ذلك البحر بأنَّه بحر الظلمات، وَنَفَوا أنْ يكون هناك بشرٌ، أو أرضٌ بعد ذلك البحر، وكانوا ينشرون بأنَّ مَنْ ذهب بذلك الاتجاه استولتْ عليه الشياطين، وأهلكته، فَمَنَعُوا الإبحار إلى تلك الجهة.

ومن ناحية الفقر كان الناس يعيشون الفقر؛ بحيث لا يكادون يجدون لقمة العيش في الغالب، أي: غالب المجتمع، إلَّا ما عُرِفَ بالطبقة الأرستقراطية، وهي الطبقة الغنية، طبقة النبلاء؛ لأنَّ المجتمع اجتماعيًا كان يعيش على طبقات؛ فهناك الملك وحاشيته، وهؤلاء الأعلى، ثم النبلاء وأمراء الأجناد، الذين كانوا يُعْطَوْنَ الإقطاعات الواسعة؛ لإرضائهم، وتشجيعهم على توسيع المملكة، وإخضاع الناس، وهناك طبقة الأغنياء، ثم طبقة المتوسطين في المجتمع، ثم طبقة الفقراء والعبيد.

فالناس في أغلبهم كانوا يعيشون الفقر، والحاجة، والمرض، والجهل؛ لأنَّ العناية بالصحة، وبالعلم، والراحة، والثقافة كانتْ حِكْرًا لثُلَّةٍ قليلة من قبيلة الملك وأتباعه، أو مَنْ رَضِيَ عنه طبعًا، وهذا بدوره أدَّى إلى فوارق اجتماعية خطيرة.

ومن نواحي أخرى كان المجتمع يـدور في قتال، ومعارك، وطغيان؛ كما عُلِمَ عن الدولة الرومانيَّة، التي تَمَزَّقَتْ، وتشتَّتَتْ، وأصبحتْ دُويلاتٍ يُنَاوِشُ بعضهـا بعضًا، فتأريخ أوروبا دموي، واستمر هذا الحال كثيرًا.

ومِنْ ضمن القصـص التي تُذْكَرُ في هذا: أنَّ القساوسـة من النصارى كانوا يبيعون صكوك الغفـران على الناس ـ يضحكون عليهم ـ؛ لأجل أنْ ينالوا المغفـرة، ودخول الجنة، ولأجل ذلك يلزمهم أنْ يذهبـوا؛ ليعترفوا بآثامهم أمام القسـيس، ولا ينالون صك الغفران إلَّا بدفع مال، سبحان الله!!

وانتشـرتْ هذه التجارة وراجتْ، واستغنى هؤلاء القساوسة، فأراد أحدٌ مِنَ اليهود أنْ يقوم بشـيء؛ فذهب إلى أحد القسيسين الكبار، وعرض عليه أنْ يشـتري ما عنده، فَعَرَضَ عليه القسيس صكَّ الغفران، فقال: لا أريد هذا، ولا أريد شراء الجنة من عندك.

فقال القسيس: ماذا تريد أن تشتري؟

فقال: أريد أنْ أشتري من عندك النار، فسخر القسيس منه.

فقال: ما هذا الغباء!!

وهو أصلًا لا يبيع النـار، لكن رأى شـخصًا مخبولا أمامه لا يريد أن يشتري الجنة، وإنما يريد أن يشتري النار، وهو أصلًا لا يملك الجنة، ولا يملك النار.

فقال: حسنًا أبيعك النار.

فقال: كم تريد ثمنًا؟

فقال: ثمنًا، فاشترى منه النار، ووقعتْ الصفقة.

وبعد أنِ اشـترى ذلكم اليهودي النار خـرج للناس، وقال: يا أيها الناس افعلوا ما شئتم؛ فقد اشتريتُ النار، وهي ملكي من القسيس، وهذا هو يعترف أمامكم فاعترف.

فقال: افعلوا ما شئتم، لن يدخل أحدكم النار؛ لأنَّها ملكي.

فبارتْ ـ كما يقال ـ تجارة القِسِّـيسِ؛ لأنَّ الناس لم تَعُدْ بعد ذلك بحاجة لشـراء صكوك الغفران؛ لأنهـم لا يخافون دخول النار!!

فانظروا إلى هذه المهزلة التي وقعت؛ وعلى مَنْ ستضحك: على القِسِّـيسِ؟! أم على اليهودي الماكـر؟! أم على المجتمع والنـاس؟! الذيـن كانـوا يُصَدِّقُـون مثـل هـذه الخزعبلات، والخرافات.

فهذه صورة الدِّينِ التي كانت موجودة؛ ولذا لا نستغرب أن قامت على إثرها الثورة الفرنسية، مع ما فيها من الظلم، والاستعباد، والقتل، من نحو قصة غاليليو عندما قال: بكروية الأرض، أو دورانها، ومَنْ معه، فقُتِلَ مئات، بل آلاف من العلماء بسبب ذلك.

وقصة ما قام به مكتشف أمريكا الجنوبية كريستوفر كولومبوس؛ حينما أبحر بإذنٍ من الملك فرديناند وإيزابيلا سنة ١٤٩٢م، وأبحر إلى الهند في زعمه إلى جهة الغرب، فإذا به يكتشف تلك الأرض، ويقول: بأنَّ هؤلاء هم الهنود كما كان يقرأ عنهم، وهم ليسوا هنودًا، ولكنهم حُمْرٌ يختلفون عن الهنود السُّمْرِ، الذين كان يتوقع الوصول إليهم، فرجع إليهم، وأَثْبَتَ للناس بأنَّ هذا البحر وراءه أرض، وهناك عالم يعيشون، وبأنَّه لم يحدث له شيء بالإبحار فيه كما يقول القساوسة.

فبارتْ تجارة الكنيسة وأفكارها، وَفَقَدَ الناس الثقة بهم، وأنشأ كريستوفر كولومبوس بالمال الذي غَنِمَهُ بموافقة الملك - والذي أعطى جزءًا منه الملك فرديناند، ومَنْ معه - المدارس؛ لأجل تدريس المنطق، ودراسة الفلك، وهناك بدأتْ العلوم تقوى، ويطمئن إليها الناس؛ فتركوا الخزعبلات، والأفكار، ووثقوا بالعلم إلى أنْ قدَّسُوه، وتَنَكَّرُوا للدِّينِ، واعتبروا الدِّينَ سببَ التخلف، والرجعية، والانحطاط، فبذلك آمنوا بالإلحاد والكفر، والعياذ بالله تعالى.

ولذلك كان تحريف الدِّينِ من ضمن أسباب وقوع الناس في الإلحاد في أوروبا.

والإشكال في الأمر: أنَّ رجال الدِّينِ ـ أي: الدِّين المحرَّف ـ من اليهود والنصارى كانوا يتسنَّمُون ذروة هذا الأمر؛ تعاونًا فيما بينهم وبين الأباطرة؛ كما ذكر غير واحد مِمَّنْ كتب في هذا المجال.

وقد تَعَرَّضَ لهذا الأمر: سيد قطب في كتابه **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، وأيضًا الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، ومحمد قطب في كتابه **واقعنا المعاصر**، وغير هؤلاء كثير. كما ذَكَرَ هذا الأمر شيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ في كثيرٍ من دروسه، ومحاضراته، وتأليفاته.

وهذا الأمر اعترف به كثيرون، وهو الواقع: أنَّ القساوسة الفاسدين إبَّانَ ذلك العصر كانوا مُتَحَالِفِينَ مع الملوك الظلمة المستبدِّين؛ لأجل تطويع الجمهور باسم الدِّينِ، فكانوا يقومون بمظالمهم، ولا تُجِيزُ الكنيسة الاعتراض عليهم؛ لأنَّها تنشر بين الناس بأنَّ لهم صلة بالإله، وبأنَّهم خلفاء الله تعالى في أرضه، وأنَّهم ظِلُّ الله في أرضه، وأنَّه تجب لهم الطاعة المطلقة، وروَّجُوا لفكرة الجبرية، كما يقولون: «مَنْ ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر»؛ دلالة على الرضا، وأنَّ كلَّ ما يحدث للناس من

ظلم إنما هو من قضاء الله تعالى وقدره، وعليهم أنْ يرضخوا، وأنَّ النَّاس جميعًا مُسَيَّرُون، وأنَّ هؤلاء الظلمة لا يُحَاسَبُونَ على ذلك؛ لأنَّ الله تعالى قَدَّرَ عليهم هذا الأمر، فباسم الدِّينِ كانوا يظلمون الناس.

فضلًا عن منع الناس من العلم؛ كما في كلامهم، في كتاب العهد القديم في الإصحاح الثاني من سفر التكوين: أنَّ الله تعالى منع آدم وحواء من الأكل من شجرة المعرفة؛ حتى لا يعرفوا الخير والشر، فيبقوا على جهلهم، فجاءت الحية فأغرتهم بالأكل من الشجرة، فعرفوا الخير والشر.

وهذا أمرٌ انطبع في أذهان هؤلاء، وصارت المعرفة عند الإنسان في نظرهم قرينة لتحدي الله ﷻ، أو مشاركته في تسيير نظام هذا الكون؛ ولذلك منعوا المعرفة والعلم.

وكما ذكرتُ أيضًا أنَّهُم منعوا دراسة المنطق الأرسطي، ودراسة الفلسفة الإغريقية؛ لأنَّهم رأوا في ذلك استعمالًا للعقل، وبما أنَّ عقيدتهم في طبيعة المسيح عليه السلام كانت مخالفة للعقل، منعوا من استعمال العقل، واعتبروا استعمال العقل في اصطلاحهم هرطقة، وأنَّ ذلك منافٍ للإيمان، وأنَّه يجب أنْ يكون مع الإيمان الاتباع المطلق، كما يقولون: «اتَّبِعْ وأنت أعمى»، فأدَّى هذا الأمر في النهاية إلى احتقان تلك المجتمعات، ومعاناتها الشديدة.

وَأَذْكُرُ عندما كنت في بريطانيا قبل ما يقارب عشرين عامًا من الآن: أَنَّنَا ذهبنا في زيارةٍ لمدينةٍ في شمال إنجلترا، أو إنجلند، وهي مدينة يورك، وكانت بها معالم أثرية قديمة، فذهبنا لزيارة مبنى ضخم، وهو عبارة عن كنيسة أثرية، فكان المرشد السياحي يسأل مجموعة الطلبة، وكنت من ضمنهم: عن عمر بناء هذه الكنيسة، هذا المبنى الضخم؟

فقال بعضهم: عشر سنين، وبعضهم أوصلها إلى عشرين، وبعضهم بالغ؛ فقال: استغرق بناؤها أربعين عامًا، فذلك أقصى ما وصل إليه خيال هؤلاء.

فإذا بهذا المرشد يقول: بأنَّ بناء هذه الكنيسة استغرق مئتين وأربعين عامًا، والملوك الذين تعاقبوا على بنائها دُفِنُوا فيها، وقبورهم شاهدة على ذلك، يأتي أحدهم فيُعمَّرُ عشرين، أو أربعين سنة، أو أكثر؛ حتى يموت، ويتلوه الآخر، وهكذا وهم جملة.

وقد بَقِيَتْ هذه الكنيسة ببنائها شامخة بعد مضي قرون كثيرة كأنَّها جديدة، وهذا ليس بعجب حين اطَّلَعْتْ على ذلك البناء الفخم الكبير جدًّا.

ومما يدل على ذلك: أَنَّنَا حين كُنَّا نتجوَّل في فنائها إذا ببعض الألواح موضوعة على بعض الثقوب، والفراغات التي على الجدار، فقال لنا المرشد: أترون هذا؟

فقلنا: نعم.

قال: هذا غطاء لنافذة من النوافذ الموجودة في هذه الكنيسة.

يقول: هل تعلمون المدة التي استغرقها المتخصصون الفنيون لإزالة هذه النافذة الزجاجية؟

لقد استغرق هذا الأمر سنتين من العمل، وهم يُنَظِّفُون الآن هذه النافذة، وذلك بتفكيكك قطع الزجاج الصغيرة فيها؛ لأنَّها مُشَكَّلَةٌ بشكل فنِّي معينٍ، وصورة معينة، وليست مجرد صبغ يُصْبَغُ على الزجاج، وإنما قطع زجاج ملونة بذاتها من الداخل، ورُكِّبَ بعضها على بعض؛ وذلك بتقطيعها بدقة، وبإلصاق بعضها ببعض؛ حتى يتكوَّنَ منها شكل معين، فاستغرق تفكيكها سنتين، وتنظيفها تقريبًا سنتين، وسيُعَاد تركيبها بإعادتها إلى موضعها سنيتن!!

هذه نافذة واحدة يستغرق الأمر فيها مجموعة من المتخصصين مدة ست سنوات تقريبًا، فما بالكم بغيرها من النوافذ التي تملأ المكان، وذلك البنيان الهندسي الضخم الكبير؟!

وعندما رجعت إلى مركز اللغة، الذي كنت أدرسُ فيه، سألوني: عن المكان الذي زرته؟

فأخبرتهم: أنِّي زُرْتُ المكان الفلاني، فأبدوا امتعاضهم بذلك؛ لأنَّ الناس هناك ما زالوا يحملون الحقد لمثل هذه المباني والمؤسسات؛ ذلك لأنَّها تُمَثِّلُ دليلًا عَمَلِيًا على الظلم؛ حيث كان

رجال الكنيسة يعيشون في حياة البذخ والترف إبَّانَ القرون الوسطى، وبنوا هذه المباني الضخمة بالملايين من عرق أولئك الفقراء والبسطاء، الذين كانوا يدفعون الضرائب رغمًا عنهم، مع قلة دخلهم، وحين لا يفعلون ذلك يُنْشَرُ فيهم الحرمان الكنسي، أي: يوصفون بالكفر، وبحرمانهم من دخول الجنة، ويُعَامَلُون معاملةً فيها إذلالٌ، واحتقارٌ، وظلمٌ، وربما حُبِسُوا، ورُبَّمَا نُكِّلَ بهم التنكيل الكبير، فهذا مثال على ذلك.

وقد ذَهَبْنَا أيضًا إلى قبوٍ من الأقبية، وهناك خزانة كانت ملأى بالذهب خُبِّيَتْ في تلكم الأقبية، بل خزائن، بينما كان الناس يتضوَّرُونَ جوعًا!!

فهذا مثالٌ من أمثلة الظلم الاجتماعي؛ لتشويه صورة الدِّينِ، ولنتصور مدى تَمَرُّدَ الناس على الدِّينِ لأجل ذلك، حيث جَعَلُوا أنَّ تقدُّمهم ورُقِّيَهم لا يكون إلَّا بالتَّخلِّي عن الدِّينِ، ولذلك عندما قام كارل ماركس بنشر أفكاره استعمل هذا السبب؛ لتعبئة قلوب الناس حقدًا على الدِّينِ، وأنَّ الدِّينَ هو سبب الظلم، وسبب الفساد؛ وذلك لما يُمَثِّلُهُ تأريخ الكنيسة في أوروبا.

وهو نفسه عانى من الظلم الاجتماعي كما ذكر شيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ في بعض دروسه ومحاضراته؛ نقلًا عن مذكرات زوج كارل ماركس، حيث ذَكَرَتْ من ضمن ما ذَكَرَتْ: أنَّها وزوجها كانا يسكنان في شقة، وتأخَّرَا عن دفع

الإجار في ذلك الشهر، فما كان من مالكة البيت إلَّا أنْ أتتهم في ليلة شاتية قاسية ببرودتها، فَطَرَدَتْهُم من السكن، فأصبحوا في العراء، لا مأوى لهم، ولا يجدون مَنْ يأويهم، وكل هذا لأنَّهم كانوا فقراء لم يستطيعوا دفع الأجرة التي عليهم.

وَذَكَرَتْ أيضًا مثلًا آخر عن ابنتها: أنَّها مَرِضَتْ، فلم يستطع أبوها وهو كارل ماركس شراء الدواء لها؛ فماتت بين أيديهم، فاعتصر قلبها أَلَمًا، وقالت فيما قالت: وا أسفاه، لقد وَفَدَتْ ابنتنا إلى الدنيا ولم تُرزقْ مهدًا، وَغَادَرَتْهَا ولم تُرزقْ كفنًا.

فهذا الظلم الاجتماعي لا شك أنَّه كان من ضمن الأسباب التي دعتْ أولئك الناس للوقوع في الكفر والعياذ بالله تعالى.

وكما قلتُ: لست هنا بصدد التسويغ لهذا الأمر، ولكن هي أسباب يستغلُّها الشيطان والنفس الأمَّارة بالسوء؛ ليقذفا في أصحابها الشكَّ، والسخرية، والاستهزاء، والإنكار للثوابت القطعية التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام.

ولذلك لا نستغرب أنْ يُنكِرَ المولى ﷻ أشدَّ النكير على اليهود والنصارى في كتابه ـ كما هو معلوم في كثير من الآيات، وخاصة الأحبار والرهبان ـ مَا تقوَّلُوه على الله تعالى بغير علم، ونسبوه إلى الدِّينِ، وما ذلك إلَّا لأنَّ الله تعالى يعلم أنَّ هذا التشويهَ سيؤدِّي إلى تنفير الناس من اتباع الحق، وقبول الطاعة لله ﷻ.

**السببُ الثاني عشر: التشبيهُ والإرجاءُ:**

وهذا الفكر قد بدأ باليهود والنصارى أيضًا؛ فاليهود هم الذين اشتهر عنهم التشبيه، وتَبِعَهُم النصارى.

وكذلك الإرجاء أيضًا؛ فكان عند اليهود، وتَبِعَهُم النصارى، واشتُهِرَ عنهم، وسرى إلى بعض فئات هذه الأمة مِنْ بعد؛ فاعتنق بعضهم فِكْرَ تشبيه الله تعالى؛ نتيجة الاختلاط بأهل الكتاب، ودراسة كتبهم، والأخذ بالإسرائيليات، وعدم التَّحقق من صحة الأحاديث التي تُنْسَبُ إلى النبي ﷺ، فكان جُلُّ عنايتهم تتبع رجال الإسناد، وبذلوا جهدًا أقلَّ في تتبع المتون؛ فقبلوا طائفة من الأحاديث الضعيفة، بل الموضوعة، فضلًا عن الإسرائيليات، ونسبوها إلى النبي ﷺ، واعتقدوها؛ لأخذهم بالروايات الآحادية في مجال الاعتقاد.

**فأثبتوا بها أصول الدين ... مع أنها ثمرة اليقين**
**وقبلوه في خلاف القطع ... فاختلطت أصولهم بالفرع**

فهذا الأمر أدَّى والعياذ بالله إلى الوقوع في مزالق كثيرة.

والتَّشبيه بشقَّيْهِ مذموم، سواء كان تشبيها لله ﷻ بخلقه، أو كان تشبيه الخلق بالله ﷻ.

**أما الشِّقُّ الأولُ:** وهو تشبيه الله تعالى بخلقه؛ فلا شك أنَّه يؤدِّي إلى انتقاص تعظيم الله تعالى في النفس، وهذا ما ورد فيما

يُعرف بالكتاب المقدس عند النصارى في الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين، والذي فيه: أنَّ يعقوب عليه السلام كان في طريقه، فأتاه في الليل مَنْ يصارعه، فصارعه فلم يستطع هذا المصارع ليعقوب عليه السلام أنْ يفلت منه؛ لأنَّ يعقوب عليه السلام قبضه قبضة شديدة، فقال له: لا أطلقك حتى تباركني، فباركه، إلى غير ذلك مما ذكروه.

فتبيَّنَ من بعد أنَّ يعقوب عليه السلام كما يزعمون أنَّه صارع الله عز وجل، فربٌّ للأسف الشديد يُصَوَّرُ بهذه الصورة، أنَّه على صورة إنسان، وأنَّه يُهْزَمُ، ولا يملك من أمره شيئًا؛ حتى لا يُفَكُّ أسره إلَّا بتلبية مطالب خصمه، ونحو ذلك مما ذُكِرَ من الأباطيل.

إلى غير ذلك من تشبيه الله تعالى بخلقه: أنَّهُ ينزل في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا بذاته، وأخذوا بهذه الروايات؛ زعمًا منهم أنَّ الله تعالى في السماء، وهذه عقيدة نصرانية، أخذوها من أهل الكتاب.

وللأسف الشديد أنَّ هذه الفكرة انطلت على طائفةٍ من أتباع هذه الأمة، فأدَّى الأمر إلى تشويه حقيقة تنزيه المولى سبحانه وتعالى؛ لأنَّ هذا يُنافي العقل، وينافي العلم، فأنَّى للعقل الإنساني أنْ يقبل بأنَّ إلهًا ينزل في الثلث الأخير من الليل، وحين يوشك الثلث الأخير على الانتهاء يرتفع إلى السماء، مع أنَّ الليلَ مُطبقٌ على الأرض، لا يزول عنها أبدًا؛ لأنَّ قِسْمًا من الأرض فيه نهار، والقسم

المقابل فيه ليل، وهما يتتابعان، ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥]، ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١].

-فلا يغيب أحدهما عن الكرة الأرضية؛ فحين يدخل ثلث الليل الأخير في بقعةٍ فإنَّه يرتفع من أخرى، فكيف يكون هذا الارتفاع والانخفاض لهذا الإله، الذي لا يزال يتحرك جيئة وذهابًا من الأرض إلى السماء؟!

وكيف يزعمون أنَّه في جهة العلو، وهو لا يزال في الأرض؟!

وما الذي يحتاجه المولى تعالى؛ حتى ينزل إلى الأرض وهو ﷻ بكل شيء عليم؟! وبكل شيء محيط؟! ورحمته ﷻ وسعت كل شيء؟!

فلا يحتاج إلى أنْ ينزلَ؛ كي يسمع العباد، فقد انكشفت له ﷻ الأشياء انكشافًا تامًّا، لا يحتاج في علمه بها إلى واسطة، سواء كانت مسموعةً، أو مرئيةً، أو غير ذلك وهو ﷻ قادرٌ عليها، لا يحتاج إلى أنْ ينزلَ قربها بالحس؛ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

فهذا الأمرُ يؤدِّي إلى عدم تعظيم المولى ﷻ في النفوس، ولا شك أنَّ من قرأ الدِّينَ على هذا المستوى، وتصوَّرَ الإله

بهذا الفكر فإنَّه تنشأ لديه هذه التساؤلات، وهو يرى مَنْ يَتَسَمَّوْنَ برجال الدِّينِ يخطبون بها في المساجد، ويذكرونها في الكتب، وينسبونها إلى الإسلام؛ فتأتيه مثل هذه الأفكار التي تدعوه إلى التساؤل:

إنْ كان هذا الإله حالًّا في مكان، وهو السماء أو الأرض، أو فوق العرش، مع أنَّ السماوات والأرض جميعًا مخلوقة، فأين كان قبل وجود هذه المخلوقات؟!

فيضطر بعض هؤلاء المتشبِّثين بهذا الفكر إلى الادِّعاءِ بأنَّ الكون قديم ـ كما زعم بعضهم ـ وذلك منافٍ للدِّينِ نفسه، كما ذهب إلى ذلك بعض مَنْ ينتسب إلى الفلسفة من المسلمين؛ اتباعًا لفلاسفة اليونان، وبعض المتكلمين، ونُسِبَ إلى ابن تيمية القول بذلك، فهذا أمر خطير جدًّا.

فإذن الأمر يحتاج إلى يقظةٍ وأخذٍ بدلالات القرآن، وأنَّ الله تعالى لا يحويه مكان، ولا يجري عليه زمان، وأنَّه ﷻ ليس كمثله شيء، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

**أما الشِّقُّ الثاني: وهو ما يتعلَّق بفكر الإرجاء**؛ وذلك حين يُنْسَبُ هذا الفكر إلى الدِّينِ، وقد كان عند اليهود والنصارى من قبل كما تقدَّم؛ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

فكانوا يفعلون ما شاءوا بدعوى سيُغْفَرُ لنا ـ كما حكى الله تعالى عنهم ذلك ـ، ولكنَّ الله تعالى بيَّن: أنَّ هذه العقيدة هي التي أدَّت إلى تفريطهم في الدِّينِ؛ وذلك بتضييعهم حدود الله ﷻ، وانتهاكهم لمحارمه جَلَّ وَعَلَا، وهذا أمرٌ صريحٌ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]، ثمَّ ذكر المولى ﷻ سَبَبَ ذلك حين قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

فجعل ادِّعاءهم، وقولهم: بأنَّ النار لن تمسهم إلَّا أيامًا معدودات افتراءً على الله ﷻ، وهو ما صَرَّحتْ به آية البقرة، ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

ثم وضع القانون والنظام العام في هذا بقوله: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]، فقرَّرَ أنَّ الجزاء من جنس العمل؛ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

وهذا الذي أدَّى ببعض هذه الأمة للأسف الشديد إلى أنْ تَغْتَرَّ بهذا الفكر، وتأخذ ببعض الروايات المنسوبة إلى النبي ﷺ:

بأنَّ مَنْ فعل ما فعل من المعاصي فإنَّهُ سيُغْفَرُ له، وأنَّه سيدخل الجنة لمجرد أنَّه يقول: «لا إله إلا الله»، فانقلب الدِّينَ إلى معاصٍ، وتفلُّتٍ من الالتزام؛ بمجرد القول.

وهذا مخالفٌ لحقيقة الإسلام ولما كان يدعو إليه النبي ﷺ، ومنافٍ للتَّضحياتِ العظيمة التي قدَّمها الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ، فلو كان الأمر على هذا النحو لما اقتضى الأمر تلكم المعاناة الشديدة، والتَّضحياتِ البالغة؛ حيثُ قدَّموا أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله، وهاجروا من أوطانهم، بل وحاربوا أهليهم في سبيل الله تعالى.

فأنَّى يكون هذا الفكر منسوبًا إلى الدِّينِ الحق، والله تعالى ينفيه عن نفسه في كتابه، ويتوعَّدُ الوعيد الشديد لمن يفتريه عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ؟!

ولذلك حين سرى بعض هذا الفكر في هذه الأمة أفسدها، وهدم حضارتها، ولم تقم لها قائمة بعد عهد الخلفاء الراشدين، ولم تكد تقم للأمة الإسلامية قائمةٌ على المستوى العام بخلافة راشدة، يقود الأمة فيها خلفاء عدول، يُطَبِّقُون شرع الله تعالى، وإنما تحوَّلَتْ إلى ملك عضوض.

وكانت هناك طائفة ممن يتسمَّوْنَ بالفقهاء، وهم فقهاء السلاطين، يُبَرِّرُونَ أفعال أولئك الملوك الذين يتسمَّوْن باسم الخلفاء، أو غيرهم؛ لِيُثْبِتُوا لهم بأنَّهم لا يُحَاسَبُونَ؛ كما ذكر ذلك

طائفةٌ مِمَّنْ كَتَبَ في هـذا الموضوع؛ كالذهبي، وابن كثير، وابن تيمية، وغيرهم.

وأنَّ طائفةً من الناس يقولون: بأنَّ الإمام لا حساب عليه ولا عقاب، وأنَّ على الأمة أنْ تسير في ركابه، وأنَّه مهما ظلم أو جار فلا يجوز الخروج عليه، بل يجب على الأمة السمع والطاعة، ويُنْسَبُ هذا إلى هذا الدِّينِ، وأنَّ وُلاةَ الأمر فوق الدِّينِ، وفوق القانون، وفوق الشرع، ونسبوا ذلك إلى النبي ﷺ بأنَّه قال: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[1]، وهي فضلاً عن بطلان متنها ـ لأنَّها مخالفة للنصوص الكثيرة من الكتاب والسنة الثابتة عن النبي ﷺ، التي تأمر المؤمنين بالأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وتطبيق العدل على أيِّ أحد كان ـ هي بجانب ذلك فيها ضعفٌ في إسنادها كما أثبت ذلك الدارقطني، وأنَّ ذلك الراوي عن حذيفة لم يسمع منه، فكيف تُقَدَّمُ هذه الرواية الباطلة على النصوص القطعية الكثيرة، التي تُحَذِّرُ من الركون إلى الظالم؟! فضلًا عن ارتكاب الظلم نفسه؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، رقم: ١٨٧٤.

وتلكم الفتاوى التي أفتى بها بعض مَنْ يَدَّعُون الفقه: بأنَّ الحاكم يجوز له أنْ يقتل ثلث الرعية؛ لأجل استبقاء الثلثين الباقيين!!

كيف يقول مسلم بهذا؟! والله تعالى يقول: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

ويُذْكَرُ في التأريخ ـ مما هو ثابت بغير نكير ـ ما صنعه بعض حُكَّام بني أمية في معارضيهم، وكم سفكوا من الدماء؟! وهتكوا من الأعراض؟! ونهبوا من الأموال؟!

وكذلك ما صَنَعَهُ بهم مَنْ بعدهم، وهم حُكَّامُ بني العباس، وما فعلوه أيضًا بخصومهم الآخرين؛ من البرامكة، وغيرهم، فلأجل تثبيت ملكهم كانوا يسحقون مخالفيهم سحقًا، ولا يُبَالُون بشيخٍ، ولا امرأةٍ، ولا طفلٍ.

وقد ذَكَرَ بعضهم من مناقب الحكام العثمانيين: أنَّ الحاكم منهم كان إذا أراد أنْ يُوَطِّدَ لملكه أنه بعد أنْ يرث الملك من أبيه فإنه يقتل إخوانه جميعًا؛ حتى لا ينافسوه الملك، وليضمن انتقال

الملك إلى ولده من بعده، وإن كان لـه جملة من الأولاد فيقتل بعض أولاده؛ لأجل اسـتئثار بعض بنيه بولايـة العهد من بعده بسـبب قيام بعض المحضِيَّات له من أمهـات ذلك الولد؛ حتى يلبي طلبها!!

إلى هذا الحد وصل الأمر، وسـوَّغ بعض الفقهاء هذا الأمر، وكان جملةٌ مِنَ الذين يُقْتَلُونَ مِنَ الأطفال، فأي سياسـة شـرعية تُسَوِغُ لهم هذا الصنيع؟!

وهؤلاء الأطفال لم يُذْنِبُوا أصلًا، وقد رفع الله تعالى عنهم التكليف، ومظنة قيامهم من بعد، وبغيهم على ولي الأمر ـ كما يزعمون ـ إنما هي مظنة موهومة، وربما يموت ولي الأمر قبل بلوغ أولئك الأطفـال أصلًا، فضـلا عن منافاة ذلـك للأدلة القطعية من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ؛ والتي منها قوله عليه الصلاة والسلام: «**لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ**»[1]، وحرَّم الجنَّة على القاتل نفسـه، وعلى مَنْ قَتَلَ غيره بغير حق.

ويُسَوِّغون هذه التصرفات بمسـوِّغات لا قيمة لها، ويُنْسَبُ هذا إلى الدِّينِ، ويُذْكَرُ في الكتب، فتصوَّرُوا مَنْ يأتي من الناس؛

---

(١) رواه الترمذي في جامعه، أبواب: الديات عن رسـول الله ﷺ، باب: الحكم في الدماء، رقم: ١٣٩٨.

ليجد الدِّينَ على هذه الصورة، فلا شك أنَّه سيتخذ ذلك ذريعة للتَّفَلُّتِ من الدِّينِ، والوقوع في الإلحاد.

وهذا عين ما صَنَعَهُ مصطفى كمال أتاتورك في تركيا؛ فقد شوَّهَ صورة الدِّينِ، وتذرَّعَ لذلك بسيرة بعض السلاطين العثمانيين؛ لِيُثْبِتَ للناس أنَّ الدِّينَ قمعٌ، وفسادٌ، وظُلمٌ، وليرتكب بعد ذلك الضد والعياذ بالله تعالى، فينشر الإلحاد والكفر، ويُغْلِقَ المساجد ويهدمها، ويمنع من اقتناء القرآن، ويسعى إلى تغيير اللغة العربية في الخطاب، ويمنع الأذان باللغة العربية، ويمنع النساء من الحجاب، ويمنع تعليم القرآن والعلوم الشرعية، ويقوم بأشياء فضيعة جدًّا لم يفعلها الغرب نفسه.

ومع كلِّ ذلك فإنَّه لا عذر لهؤلاء ـ كما تقدَّم ـ فيما وقعوا فيه؛ وإنَّما أذكرُ ذلك لكي نعرف جذور هذا الأمر؛ حتى نَتَّقِيَهَا، ولنعلم أيضًا كيفية معالجة هذا الموضوع من أصوله، وبالطريقة التي تُنَاسِبُهُ، وحتى لا نغترَّ بمجرد المناظرة، أو المجادلة التي يدَّعيها البعض مع الملاحدة؛ فكثيرٌ من هؤلاء لا يستجيبون للحقائق، وإنَّما يُصِرُّون على الباطل، ويُرِيدُون الظهور كما هو معلوم.

وكما قيل: «خَالِفْ تُعْرَفْ».

وكما ذُكِرَ عن رجل قُبِضَ عليه وهو يبول في بئر زمزم والعياذ بالله تعالى فقيل له: ما حملك على هذا؟

فقال: أردت أنْ أُذْكَرَ ولو باللَّعنات!!

فنسأل الله العافية، وكما قيل: «حُبُّ الظهور يقصمُ الظهور».

## المحـور الثاني:
## وسائل نشر الإلحاد

هذه الأسـباب التي ذكرناها من قبل، وهناك أسـبابٌ أخرى كثيرة بلا ريب، وإنما ذكرنا أهمها فيما نحسب إن شاء الله، كيف تُسْتَغَلُّ من قبل أعداء الإسلام؛ لنشر الإلحاد؟

بلا شك أنَّ لهم وسائل كثيرة لا نستطيع حصرها؛ كما يقول القائل عن أحدهم:

**وكنـت امـرأ من جنـد إبليـس فارتقى**
**بي الدهـر حتى صار إبليـس من جندي**

**فلـو مـات قبلـي كنـت أحسـن بعده**
**طرائـق فسـق ليـس يحسـنها بعـدي**

فهؤلاء يحملون كيدًا، وفسـادًا، وحقدًا على الدِّينِ أكثر من أسـاتذتهم، ويَتَفَنَّنُون في ذلك، وما نذكره إنَّمَـا هو نماذج لهذا الأمر؛ وذلك حتى ننتبه لهذه الوسـائل، ونحاول أنْ نحافظ على أنفسـنا، وعلى أهلينا وأولادنا؛ حتى لا يقعوا في حبائل شياطين الإنس والجن.

## الوسيلةُ الأولَى: الإعلامُ:

وهو الوسيلة الأولى بلا شك، وذلك بأذرعه المختلفة؛ سواء كانت مسموعةً، أو مرئيةً، أو مقروءةً؛ من القنوات الفضائية الآن، والشبكة العالمية للمعلومات، ووسائل التواصل الاجتماعي.

ولذلك بدأ ينتشر الإلحاد مرة أخرى بشكل خطير؛ لأنَّ وسائل الإعلام في السابق ـ حسب أذرعها، وصورها ـ كانت لا تستطيع بث الفكرة بهذه السرعة التي وصلت إليها اليوم، ولا يكاد يسلم بيتٌ من ذلك، والتركيز قائمٌ على أمة الإسلام؛ لأنَّ أعداء الإسلام من الملاحدة يُرَكِّزُون على الإسلام أكثر من غيره، وهذا ما اعترف به طائفةٌ منهم؛ حيث بَيَّنُوا أنَّهم يُعادُون الأديان جميعًا، ولكن يخصُّون الإسلام من بينها.

وقد ذَكَرَ شيخنا الخليلي جملةً من الأسباب، أو المزايا التي تدفعهم لمعاداة الإسلام أكثر من غيره، منها:

### أولًا: صلابةُ عقيدةِ الإسلامِ:

فعقيدته صُلبةٌ، وتقف سدًّا منيعًا من انتشار الإلحاد؛ ولا يستطيعون التَّغلُّب عليها، بل إنَّها تتكَسَّرُ أمامها كُلُّ رياحهم العاتية، وتتهشَّمُ كلُّ حُجَجِهِم؛ لأنَّ الله ﷻ هو الذي أنزل هذا الدِّينَ الحق، منذ عهد آدم إلى خاتم النبيين محمد ﷺ، وهو

الدِّينُ الحقُّ إلى أنْ يرث الله الأرض ومَنْ عليها، فلا يستطيعون مجابهته؛ فلذلك يُعادُونَه أكثر من غيره.

**ثانيًا: الإسلامُ دينُ الفطرةِ:**

فهو ينسجم معها، وتنسجم معه؛ ولذلك يُقْبِلُ عليه كثيرٌ من الناس مِمَّنْ سلَّمَهُم الله تعالى من فساد فِطَرِهِم، أو تعفُّنِها، وهذا أخشى ما يخشاه هؤلاء الملاحدة.

**ثالثًا: الإسلامُ وحيٌ مِنَ اللهِ ﷻ:**

فقد بثَّهُ على نبيه ﷺ في مظهر القرآن العظيم، وهذا الكتاب هو المحفوظ من أي تحريفٍ، أو تبديلٍ من بين الكتب السماوية جميعًا، وهذا الشيء يُؤَرِّقُ مضاجعهم؛ لأنَّه يحفظ هذه العقيدة، ويحفظ هذا الدِّينَ جملةً وتفصيلًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فلذلك يسعون جَهْدَهُم لمحاربة هذا الدِّينِ، ولإبعاد النَّاس عن هذا القرآن؛ لأنَّهم لم يستطيعوا تحريفه، وتبديله.

**رابعًا: الدِّينُ يسعَى بعقيدتِهِ وشريعتِهِ إلَى رقيِّ أصحابِهِ:**

فالْمُتمسِّك به عقيدةً وشريعةً يكون على درجةٍ من الكمال البشري قَدْرَ اقترابه من الله ﷻ، وفيه مِنَ المحاسن الكثير ممَّا يدعو الناس ـ من أهل العقول، والعلماء، والفلاسفة ـ إلى

الدخول فيه، والحثّ على دخوله، وهذا ما أوقع بعض الملاحدة الذين كانوا يعادونه في هذا الأمر؛ فلذلك هم يَتَخَوَّفُون منه.

**خامسًا: الإسلامُ يُعَادِي الظلمَ، وينشرُ العدالةَ الاجتماعيةَ:**

وهم لا يريدون هـذا، وإنَّمَا يُريدُون أنْ يفتحـوا طوفانًا من الفساد والظلم، ويُسَوِّغون ذلك، والإسلام لا يرضى بهذا الأمر، فلذلك يحاربونه؛ لأنَّهُ ضد مصالحهـم المزعومة في هذه الحياة الدنيا؛ فهو يُوقِفُ هذا الفسـاد، ويمنع استعبادَ العباد، وإنما يُعَبِّدُ العبـادَ لله ﷻ وحده؛ فلا يركع الإنسـان، ولا يخضع إلا لمولاه الخالق ﷻ، لا إلى مخلوق مثله أيًّا كان.

**سادسًا: الدِّينُ يربطُ الإنسانَ بالقيمِ والأخلاقِ:**

فهو دين الرحمة، ودين الحياة، ودين الغَيْرَة، ودين الكرم، وهؤلاء الملاحدة تَجَرَّدُوا من إنسانيتهم، وتَجَرَّدُوا من قيمهم وأخلاقهم؛ فلا يجعلون للإنسـان قيمة، ولا يرحمون ضعيفًا، ولا طفلًا، ولا صغيرًا، وإنَّما يلهثون وراء شهواتهم، فيأبون كل ما يكبح جماح نفوسـهم الخبيثة، ويريـدون الانطلاق دون قيود، ولذلك يُؤَيِّـدُون الإباحية، وأنواع الفسـاد؛ لأنهم هم يحاربون الإسلام.

وهذا ما تمجه أفواه قادتهم؛ سواء كانوا سياسيين، أو مفكرين ـ في زعمهم ـ: أنَّهم يريـدون المحافظة مثلًا على القيم الغربية،

ولذلك يريدون إيقاف مد الإسلام؛ لأنَّه سيقضي على هذه القيم التي يتمسَّكون بها، وما هذه القيم التي يَدَّعُونها؟!

إنَّهُمْ يَعْنُونَ بذلك شرب الخمر الذي يُحَرِّمُه الإسلام، والزنا الذي يُحرِّمُه الإسلام، والتَّبَرُّجَ الذي يُحَرِّمُه الإسلام، فهم يريدون هذه الحرية المطلقة، ويريدون الاستمراء على الكذب، واحتلال الدول، ونهب ثرواتها، واستعباد شعوبها.

وحين تُشْرِقُ شمس الإسلام عليهم سينكشف عُوارُهم، وتظهرُ مسوائهم، وهم لا يريدون الفكاك عمَّا أَلِفُوه؛ لأنَّ الإنسان إذا أَلِفَ شيئًا تَطَبَّعَ به، ومن الصعوبة بمكان أنْ يتخلَّى عنه.

فإذن: الإعلام يُسَوِّغُ للإلحاد، وهذا له طُرُقٌ، ومظاهر كثيرة، سواء كان ما يتعلَّق بالفكر، أو بالفساد؛ فكل ذلك يدعو إلى الإلحاد، فينشرون الكفر بالله تعالى، والتَّشكيك في الدِّينِ، والقدح فيه، والسخرية بأحكام الدِّينِ، والاستهزاء بالعلماء الربانيين.

ومن ضمن ذلك: الاستهزاء بالله ﷻ، والاستهزاء بالقرآن الكريم، والاستهزاء بالرسول ﷺ.

ويدخل في سياق ذلك ما يُعْرَفُ بالصور المسيئة للنبي ﷺ في الدنمارك، وغيرها.

ويفعلون ذلك بدعوى حرية الإعلام، وحرية الرأي والتعبير،

ويحمون مَنْ فعل ذلك، وكل هذا الأمر بلا شك قد يؤثِّرُ في نفوس الضعفاء.

ومسألة الأفلام والمسلسلات التي يبثُّونها في هذا المجال تؤكِّدُ هذا الأمر، وللأسف الشديد يتأثَّرُ بذلك الأطفال قبل غيرهم فيما يُعْرَفُ بالرسوم المتحركة، أو الأفلام الكرتونية، وللأسف أنَّها تُبَثُّ إلى بلاد المسلمين، وفي وسائل إعلام المسلمين، وفيها عبارات تُدَسُّ دسًّا، وتارة تكون ظاهرة، فبدل كلمة الإله تذكر كلمة الآلهة، ويُصَوَّرُ الإله على أنَّه يجلس في السحاب، ويُصَوَّرُ الإله بأنَّه ظالم غاشم، وبأنَّه على صورة بشر، ويتصارع مع الناس، ويُرَسَّخُ مفهوم الشرك بالله ﷻ، وأنَّ الآلهة يتنازعون، إلى غير ذلك من السخرية بالدِّينِ، أو الجرأة على الله ﷻ بأنواع السب، والشتم.

أو يكون ذلك بتصوير بعض الشخصيات الإسلامية بصورةٍ مقززةٍ؛ لأجل تنفير الناس من الدِّينِ، أو يكون ذلك بنسبة بعض الجرائم إلى الإسلام، وإلصاقها به فيما يُعْرَفُ بالعمليات الإرهابية، وأنَّ هذا هو الإسلام.

وقد استطاع مَنْ وراء هذا الإعلام ـ وهم اليهود، وغيرهم ـ أنْ يُؤَلِّبُوا الناس في العالم بشكل كامل تقريبًا إلَّا بعض بلاد المسلمين؛ فهناك معاداةٌ للإسلام تظهر في آسيا، فضلًا عن أوروبا، وأمريكا بشمالها وجنوبها، وكذلك في أفريقيا، إلَّا قليلا من الناس ممن لديهم عقل، أو روية، أو اختلط بالمسلمين.

بل قد انطلى هذا الأمر على بعض الأنظمة الإسلامية التي تحكم بلاد المسلمين، أو أنَّ هؤلاء يعرفون الحقيقة، ويتذرَّعُون بهذا البعبع كما يقولون؛ لأجل الوصول إلى مطامحهم الشخصية؛ وذلك بضرب الدعوة الإسلامية تحت شعار محاربة الإرهاب كما يفعل الغربيون.

**الوسيلةُ الثانيةُ: الإغراءُ بالمالِ والجاهِ:**

وهذا أمرٌ معلوم منذ القدم؛ تمامًا كما صنع فرعون مع السحرة حين طلبوا منه؛ ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٣ ـ ١١٤]، فوافقهم على المال، وأعطاهم فوق ذلك الجاه؛ حتى يكونوا معه، ويوافقوا على باطله.

فهذا أسلوبٌ يفعله الطغاة والمفسدون قديمًا وحديثًا، ولا شك أنَّ دعاة الإلحاد يفعلون هذا أيضًا؛ فلا نستغرب أنْ يقوموا بذلك.

وأَذْكُرُ قبل مدة أنَّني كنت أُتَابِعُ إحدى النساء اللَّاتي يتزعمن الحركة النسوية العربية في بلاد العرب والإسلام، وقد هَرَبَتْ من وطنها بعدما أُقِيمَتْ عليها دعوى ردة عن الإسلام؛ بسبب استهزائها بالله تعالى، وبِقِيَمِ الإسلام، وإنكارها ما هو معلوم من الدِّينِ بالضرورة، فإذا بها تتحدَّثُ بأنَّها استُقْبِلَتْ في أمريكا،

وبأنَّها تُدَرِّسُ في الجامعات الأمريكية، وذهبتْ إلى جامعات أخرى أيضًا في أوروبا، وتُدَرِّسُ الفكر الإسلامي!!

فتَصَوَّرُوا ما هو الفكر الذي تُدَرِّسُهُ المرأة التي تُحارِبُ الإسلام؟!

أَلَّفَتْ عشرات الكتب، وقامتْ بالعشراتِ، وربما المئات من المقابلاتِ التي تتهجَّمُ فيها على الحجاب الشرعي!!

وتُطالبُ بتعدُّد الأزواج؛ كما أنَّ الرجل له الحق في تعدُّد الزوجات!!

وتُريدُ رفع الطلاق عن الرجل!!

وتُريدُ مساواة المرأة في الميراث!!

وغير ذلك من الأمور العظيمة، المصادمة للنصوص القطعية التي تُطالب بها!!

والشَّاهد هُنَا أنَّهَا وَجَدَتْ مأوًى عند طائفة مِمَّنْ يريدون تشجيعها على الإلحاد، وكم من المنظمات المشبوهة التي تعمل في بلاد الإسلام تحت ستارات مختلفة؛ من جمعيات، أو نقابات، أو أحزاب، وما ذلك إلا وجه سياسي؛ لتغطية التمويل الذي يأتيها من الشرق، أو الغرب من قبل أعداء الإسلام؛ لنشر الفكر الإلحادي في بلاد المسلمين، فهم يجدون الدعم لذلك.

وربما يقومون بانقلابات في بعض البلاد الإسلامية على السلطة القائمة ـ بغض النظر أيضًا إنْ كانت سلطة ظالمة غاشمة، ولكنَّهَا لم تصل إلى درجةٍ في إنكار الدِّينِ كله ومحاربته ـ، فتجد الدعم لمثل الحركات من قبل بعض الدول، أو الأنظمة التي تواليها؛ لأجل الاستيلاء على السلطة بالسلاح، وبالأجناد، وبالمال.

وهذا معلوم؛ فقد انقسم العالم قبل سنين إلى فريقين: فريقٌ يتبع الاتحاد السوفيتي، وفريقٌ يتبع الفكر الغربي، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، وإنْ كانت هناك بعض الدول التي وَقَفَتْ في الوسط فيما عُرِفَ بحركة عدم الانحياز.

فإذن هُنَاكَ دعمٌ يتلقاه أتباع هذه الأنظمة المختلفة، وبسبب حب السلطة، وحب المال لا يبالي بعض الناس أنْ يكفر بالله تعالى، وأنْ يعتنق أيَّ كُفرٍ، وأيَّ فكر، ولو لم يكن مقتنعًا به، وربما يؤدِّي ذلك إلى نشر هذا الفكر في الناس، مع أنَّ بعض هؤلاء في حياته الخاصة يلتزم ببعض القيم مع أنَّه ـ سبحان الله العظيم ـ يقوم بنشر ما هو أشد من ذلك، أو يُطَالِبُ الناس بفعل ما هو أشد من ذلك في حياتهم العامة.

**الوسيلةُ الثالثةُ: بثُّ السُّعارِ الجنسيِّ والفسادِ الخُلُقِيِّ:**

فممَّا هو معلومٌ أنَّ التَّرفَ يؤدِّي إلى التلف، وهؤلاء لا يكتفون بهذا الأمر ـ أي: بتشجيع الناس على حياة البذخ،

والدَّعة، والخمول، وحب الدنيا، وإيثارها على الآخرة ـ؛ بل يُشَجِّعُون في الناس هذه النَّعرةُ الحيوانية، ولذلك كان معتمد الملاحدة نظرية داروين؛ لأنَّ داروين يعتبر الإنسان حيوانًا، أو أنَّه تطوَّر من حيوان، ولذلك تغلب عليه النزعة الحيوانية من الغضب، والشهوة، والميل إلى الأرض، وعدم المبالاة بعواقب الأمور.

ولأنَّه يعلم أنَّ الحيوان غيرُ مكلَّفٍ ـ حتى عند أتباع الأديان المختلفة ـ يريد غرس التَّفَلُّتِ من النظام، ومن الأخلاق، وهذا الأمر لا يقف عند هذا الحد؛ فإنَّ الإنسان يكون أشد من الحيوان الأعجم إذا أُطْلِقَ له العنان، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦ ـ ٧]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فالإنسان حينما يُطْلَقُ لشهوته ولهواه السَرَاحَ ويدفعها فإنَّه لا يكاد يقف عند حد، ويفعل أشياء ينبو، ويترفَّعُ عنها الحيوان؛ لما بقي فيه من فطرة؛ ولما أودع الله تعالى فيه من غريزة.

فتجد بعض الحيوانات مع تقادم العصور، واستمرار السنين إلَّا أنَّها تحافظ على ما فَطَرَهَا الله عليه؛ فالقط أو الهر حينما يقضي حاجته فإنَّه يحاول دفنها، والشاة حينما تقضي حاجتها فإنَّها تقعد؛ حتى تكون قريبة من الأرض.

وهكذا بعض الحيوانات حينما تريد أنْ تقيم بعض العلاقات الجنسية الحميمة فإنَّها تَتَوَارَى عن الأنظار.

هكذا في بعضها على الأقل، ففيها شيء من الحياء.

ولكن هؤلاء الملاحدة حين يُطْلِقُون السُّعارَ الجنسي؛ فإنهم لا يقفون في ذلك عند حد، وإنما يفتحون الباب على مصراعيه، ولذلك اعتمدوا نظرية سيغموند فرويد فيما يتعلَّق بالغريزة الجنسية، والعلاقات بين الجنسين، ففرويد مثلًا يعتبر الغريزة الجنسية هي التي تتحكَّمُ في تصرف الإنسان، ويجعل علاقة الأب بابنته علاقة جنسية والعياذ بالله، وعلاقة رضاع الطفل الصغير وهو يولد مِنْ بطن أمه بلثم ثديها بأنَّ ذلك من الجنس والعياذ بالله.

ولذلك هو يُصَنِّفُ الحياة كلها على أنَّها جنس، وأنَّ هذا أمرٌ طبعي يجب فيه فتح الباب للإنسان، ولا يرى وضع أي حدود في العلاقة بين الجنسين، وإنَّما يسعى إلى هدم أيِّ فاصل بين الذكور والإناث؛ وأنَّ عدم القيام بذلك يؤدِّي إلى الكبت الجنسي، والكبت الجنسي يترتب عليه الوقوع في أمراض نفسية، وذلك إمَّا أنْ يؤدِّي إلى الانتحار، وإمَّا إلى نقيض هذا الكبت، وهو الانفلات.

ولذلك لا مانع عند فرويد من أنْ يجلس الشاب إلى الفتاة؛ ليتبادلا الحديث، ويتطلَّعَ كلُّ واحد منهما إلى مفاتن الآخر، وأنْ يقوما بعلاقة جنسية، ولو كان في غير إطار الزواج، ويفتحون المجال لما يعرف بالمراهقين ـ أي: دون السابعة عشرة، أو

الثامنة عشر في قوانينهم، أو عُرْفِهم، وإنْ كانوا بالغين حسب الفطرة في أغلب الأحيان بظهور علامات البلوغ فيهم ـ لممارسة الجنس، والرذيلة فيما بينهم، فلا يُحَاسَبُون على ذلك، ويعتبرون ذلك من تفريغ الشهوة؛ لأنَّها أمرٌ ضروري للإنسان، كالمأكل، والمشرب، والسكن، واللباس.

والملاحدة يَتَبَنَّوْنَ هذا الفكر؛ ولذلك يسعون لنشر الفساد الخُلُقِيِّ، لما يترتب عليه من الوقوع في الإلحاد؛ لأنَّ الذي يَتَّبِعُ شهوته في الجنس لا يقف عند حد، فيكون أسير الشهوة.

وكما ذَكَرَ شيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ عاقبة هذا الأمر في مقدمته على جواهر التفسير في الجزء الأول؛ حين ذكر الإعجاز التشريعي، والإعجاز الخُلُقِي في القرآن الكريم، وذكر: أنَّ الغرب ونتيجة اتباعهم لهذه النظريات الفاسدة البالية وقعوا فيما لا تُحْمَدُ عقباه؛ بحيث لم يقف فسادهم عند حد.

وذَكَرَ أنَّه اطَّلَعَ على خبرٍ في صحيفة: أنَّ رجلًا أمريكيًا اغتصب أكثر من ثلاثين طفلًا، ثم قتلهم، فهذا خلاف ما يدَّعيه فرويد: أنَّ هذا اللقاء بين الذكر والأنثى، وتبادل الحديث، وتَطَلُّعُ كلٍّ منهما على مفاتن الآخر يؤدِّي إلى تهذيب الغريزة الجنسية؛ إذ لم يقع ذلك، بل فَتْحُ المجال يؤدِّي إلى مجاوزة الفطرة ومعاكستها، فبعض الرجال لا يكتفون بالنساء، وإنما يعتدون على الرجال، ويقومون بممارسة الشذوذ الجنسي، وهو ما يُعْرَفُ

عندهم اليوم بكلمة ألطف، وهي المثليين، حتى أنَّهم لا يسمحون بإطلاق كلمة الشـذوذ على هؤلاء الذين يمارسون هذه الفاحشة والعياذ بالله، فلم يكتفوا بذلك؛ ليقوموا برزء الأطفال كذلك في شرفهم، وعفتهم، وكرامتهم.

وهذا أمرٌ أيضًا وقعت فيه بعض النسـاء؛ وذلك بممارسـة السحاق فيما بينهن، وأصبحت هناك عمليات جماعية؛ لممارسة الفاحشة والعياذ بالله تعالى.

فهذا الذي نَتَجَ عنـه فتح هذا الباب، وهـم يعلمون أنَّ هذا سبيلُ ضعف كثير من الشـباب؛ ولذلك يُحَاوِلُون إفساد الشباب عن طريق تشـجيعهم على هـذا المجال، وذلك بنشـر التَّبَرُّج، وإباحة الاختلاط بين الذكـور والإناث دون قيـود أو ضوابط، وكذلك الخلوة بين الأجانب من الرجال والنسـاء غير المحارم، إلى غيـر ذلك؛ مـن نشـر الأفـلام، والمسلسـلات الإباحية، والمجلات الإباحية.

وأَذْكُرُ أنِّي كنتُ في بريطانيـا أذهب إلى دكانٍ قريب من البيت، فكان يُعرِضُ بعض الصحف والمجلات التي تُنْشَرُ في تلك البلد أمام العملاء هكذا، وفيها بعض الصور تنكشـف فيها المرأة بصـورة على كامل الغلاف، وليـس عليها قطعة ثوب والعياذ بالله تعالـى، بينما يرتاد ذلـك المكان رجال، ونساء، وأطفال.

فهكذا يقتلون المروءة، والحياء، والغَيْرَةَ، ويُعَكِّرُون فطرة الأطفال، وينشرون الفساد، فما عسى أنْ يتصرف شابٌ تثور فيه شهوته في عنفوان الشباب، وهو يفتح عينيه على طوفان من التَّبرُّج والعري، ولذلك تكثر عندهم جرائم الاغتصاب مع الحرية التي يزعمونها.

وَأَذْكُرُ أنِّي عندما كنت في بريطانيا فتحت الموقع الرسمي لـ Home Office وهو ما يُعْرَفُ بوزارة الداخلية، وذكروا في ذلك العام، أي: قبل خمسة عشر عامًا من الآن: أنَّه اغتُصِبَ في بريطانيا في عام واحد مئة وثمان وستون ألف امرأة، هذا ممَّا اطَّلَعْتُ عليه بنفسي، وهذا الذي أُثْبِتَ، أو بَلَّغَتْ عنه أولئك النساء المغتصبات.

وَأَذْكُرُ أنِّي حضرت محاضرة لأحد علماء النفس في الجامعة، وتكلَّم عن الجريمة، وذَكَرَ في دراسته أنَّ نسبة الجرائم التي يُعْلَنُ عنها إنما هي ربع الحقيقة فقط في العدد، أي: ٢٥٪، وذكر أسبابًا كثيرة لذلك، ومنها أنَّ كثيرًا من المجني عليهم يخشون من الإبلاغ عن الجناة؛ خشية الانتقام منهم، أو أنَّهم لا يثقون بالنظام الأمني، أو أنَّهم لا يثقون بالنظام القضائي، أو لأنَّهم لا يعرفون حقوقهم، أو لغير ذلك من الأسباب، وعدم المبالاة.

فهذه الأحداث التي تُذْكَرُ إنما هي جزء بسيط من الحقيقة.

ولذلك فشعار الإلحاد هو الإباحية المطلقة، فليس عندهم شيءٌ من الخصوصية؛ فالمرأة كَلَأٌ مستباحٌ عندهم، والعلاقات الجنسية مفتوحة، ولا يعترفون بقداسة الزواج، ولا يقيمون للأسرة وزنًا.

فلا نستغرب بعد ذلك أنْ يَتْبَعَ هذا الفِكْرَ بعضُ مرضى القلوب من أتباع الشهوات، ويُمَجِّدُونه، وَيَدْعُونَ إليه؛ لأنَّهم يريدون تحقيق شهواتهم من هذا الفكر الفاسد العفن.

**الوسيلةُ الرابعةُ: القهرُ والتَّسلطُ:**

وهذا ينتج عن طريق الدول التي تتبنَّى هذا الفكر، أو الأنظمة، أو بعض المنظمات، أو الأحزاب، أو غير ذلك.

سواء كانت ظاهرة أم خفية، فالظاهر منها معلوم، ولكن الخفي منها ما يتبع بعض الأجهزة المخابراتية الخفيَّة، أو المنظمات الإجرامية المعروفة في هذا المجال، وذلك حين يتسلطون على عباد الله تعالى بالقهر، والظلم؛ بالقتل، والتعذيب، والتهديد، والتجويع، والإرهاب، والطرد، والتهجير؛ لأجل إرغام الناس على قَبُولِ فكرهم.

وذلك كما هو منشور ومعلوم عن فعل الاتحاد السوفييتي؛ حين حكم هذا النظام الشيوعي، وإبَّان حكمه ما كان الناس يجرؤون على القيام بذلك.

وهذا الأمر لا يقتصر على هؤلاء الذين أظهروا إلحادهم، بل النظام العلماني الرأسمالي لا يقل عنه ضراوة أيضًا؛ فإنهما وجهان لعملة واحدة، فهم يستعملون القهر، والسلطة الظاهرة والباطنة؛ لأجل دفع الناس إلى الكفر بالله ﷻ.

وما حدثتِ الحرب العالمية الأولى والثانية؛ إلا نتيجة الصراع بين أصحاب هذه الأفكار والعياذ بالله، وكان ضحاياها أكثر من خمسين مليون شخصًا في الأرض، وكثيرٌ منهم أبرياء، لم ينخرطوا فيه هذه الجيوش، ولكن قُتِلُوا ـ كما يُقالُ ـ بدم بارد، وكم هُجِّرَ من المسلمين، وقُتِلُوا؛ لأجل إرغامهم.

بل أُقِيمَتْ لهم محاكم تفتيش؛ لينسلخوا عن دينهم كما كان من الصليبيين في الأندلس بعد أن قضوا على الممالك الإسلامية الضعيفة المتفرقة؛ لأنَّها تَخَلَّتْ عن التمسك بالدِّينِ حقيقة، وبقي لديها الاسم فقط، أو بعض المظاهر، فغرقت في الترف، والخلافات الداخلية، فأطمع أعداءها فيها، وقُضِيَ على آخر مملكة، وهي مملكة غرناطة، واستُوْلِيَ على قصر الحمراء، وكان ذلك سنة ١٤٩٢م، وهو نفس العام الذي ذهب فيه كرستوفر كولومبس إلى أمريكا، ورجع بالغنائم، وقطع البحر.

فهؤلاء يفعلون هذا الأمر؛ لأجل إرغام المسلمين على ترك الإسلام، كما كان منهم في محاكم التفتيش هناك.

وقُتِلَ أيضًا الكثير من الناس أيام الحروب الصليبية باسم الدِّينِ، وكذلك في الصين، وفي الاتحاد السوفييتي، وفي أوروبا، وفي إفريقيا، وفي أمريكا، ولا تكاد تخلو بلادٌ من تسلط هؤلاء؛ إما عن طريق السلطة القائمة، هكذا علنًا، بالقتل العلني؛ حتى في ملاعب كرة القدم، أو في السجن تحت التعذيب، أو دون أيِّ تهمة، وإنما بالتَّلفيق، وقد يكون ذلك عن طريق بعض الأجهزة الخفية؛ كما يعرف بجهاز (KGB)، التابع للاتحاد السوفييتي السابق، وبعض الأجهزة الأمنية الأخرى، التي لا زالت تقوم بعملها إلى الآن، ولهم في ذلك أساليب كثيرة.

ومنها أيضًا الابتزاز فربما يقع بعض مرضى القلوب من المسلمين في خطأٍ معين ـ ربما بسبب ضعف إيمانه ـ فيُصَوِّرُونه، ويهدِّدُونه إنْ لم يطاوعهم فيما يريدونه فإنهم سيفضحونه على الملأ؛ فينقاد إليهم، ويُعْلِنُ الكفر، وربما يتسنَّمُ السلطة فيفعل ما يريدون.

وهذا من أساليبهم الرخيصة كما هو معلوم.

وكما قلتُ: لست هنا أعتذر لأحدٍ، أو لأُسَوِّغَ له، وإنما أَذْكُرُ وسائل هذا، ولكن المؤمن يبقى على إيمانه، ويثبت على الدِّينِ الحق مهما كان الأمر، وإنما له أنْ يمارس التَّقِيَةَ بلسانه، أو بفعله بضوابط شرعية معروفة، وليس المقام مناسبًا لذكرها الآن.

أمَّا العقيدة في القلب، ولا يمكن التنازل عنها بحال، وليس في ذلك تقية مطلقًا؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦]، فهذا الذي ينسلخ من إيمانه لا يُعْذَرُ عند الله تعالى.

## الوسيلةُ الخامسةُ: التَّربيةُ والتَّعليمُ:

فهؤلاء أصحاب فكر، وينطلقون من عملٍ مؤسسي، لا على طريق العشوائية، فيُنَظِّمُون أنفسهم؛ لأنَّهم يعلمون أنَّ هذا النظام الذي يقومون به هو الكفيل بتحقيق أهدافهم.

وهذا الأمر صحيح من حيث الإجمال؛ فالعمل المؤسسي لا شك أنه أفضل من العمل الفردي، أو العشوائي؛ لأنَّه يكثر فيه الإنتاج، ويكون بأقل جهد، وأقل وقت، ويكون فيه تعاون وتكافل، ويكون فيه شورى، وتخطيط، وإدارة، وقيادة، وأتباع، ولا شك أنَّ هذا يؤدِّي إلىٰ استمرار العمل؛ فلا يتوقف بتوقف فردٍ، بحياته أو موته، بصحته أو مرضه، لاعتناقه هذا الفكر أو تخلِّيه عنه، فهم يعرفون هذا الأمر، ولذلك يسعون جهدهم لتحقيقه.

ولا شك أنَّ من ضمن الوسائل لاستمرار هذا الفكر نشر التربية والتعليم، والقيام بذلك؛ ولذلك بنوا الحضانات،

والمدارس، والكليَّات، والجامعات، وأنشأوا المراكز البحثية؛ لأجل دعم هذا الأمر حتى يترسخ، فيُرَبُّون الأطفال على هذا الفكر منذ نعومة أظفارهم، فيفسدون فطرهم، مع أنَّ فطرة الإنسان على الدِّين الحق؛ كما يُعْلَمُ بالدليل، قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، وكما قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[1]، والدراسات تُثْبِتُ هذا الأمر، في أمريكا، وفي غيرها.

وَقد ذَكَرَ شيخنا الخليلي في كتابه **مصرع الإلحاد** طائفةً من هذه الدراسات، التي تُثْبِتُ بأنَّ الأطفال ينشأون على الإيمان بالله تعالى، واليوم الآخر، ومِنَ الصَّعبِ بثُّ فكرةٍ مخالفةٍ لذلك في نفوسهم، بل يُنْكِرُون على غيرهم لو رأوا منهم غير ذلك، وهذا ما لا تسعى إليه هذه الأنظمة الإلحادية؛ ولذلك تحاول غرس الفكر الإلحادي في الأطفال منذ الصغر؛ لكي يوالوها، ولكي يكونوا مُضَحِّينَ لأجلها.

وفعلًا، وبسبب هذا النِّظام استمرتْ الشُّيوعيَّة لعشرات السنين، ولم تتوقف، إلى أنْ أَذِنَ الله تعالى انقضاءها بقوته،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟، رقم: ١٣٥٨.

لا بقوة البشـــر، وإنْ كانت هناك قوّى من البشر حاولت ذلك، كما قام الأفغـــان بمحاربة الاتحاد الســـوفيتي، وانتصروا عليه، وكان ذلك إيذانًا بإسقاطه فكريًا، ولكنَّ النصرَ من عند الله ﷻ؛ ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال ١٠].

والله ﷻ هو الذي ينصر مَنْ يشـــاء من عبـــاده، ويذل مَنْ يشاء من عباده؛ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمـــران: ٢٦]، وذلك مع عـــدم التهاون في الأخذ بالأســـباب؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ [الأنفال: ٦٠]، وهؤلاء يعلمـــون هذا الأمر، ولذلـــك يُرَكِّزُون على التربية والتعليم، ونشروا بذلك هذا الفكر، وهذا ما يذكرونه في مذكراتهم.

وَأَذْكُرُ أنَّ شـــيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ ذَكَرَ أيضًا في مصرع الإلحاد كلامًا عن أحـــد العملاء المنشـــقين عن الاتحاد الســـوفييتي: أنه ذَكَرَ أنَّه بعد ســـقوط القوة العسكرية فإنَّ الطريق للتأثير على الآخرين يكون بالقيام بنشر الفكر على أربع مراحل:

وذكر المرحلة الأولى وهي إسقاط القيم والأخلاق، ويدخل في ذلك الســـخرية بالدِّينِ، والاســـتهزاء بوجود الدِّينِ، وإفساد المدارس خُلُقِيًا، ونشر الأفكار الإلحادية، إلى غير ذلك، وذلك عن طريق وسائل الإعلام، وغيرها.

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية يكون فيها الوقوع في أزمة؛ نتيجةَ هذا الصراع الحاصل بين الناس، فتوجد أفكار مختلفة، وتنازعٌ، وتُذْكَى العصبيات القبلية والحزبية، ويختلف النِّظام، أو المجتمع.

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة وهي الفوضى، وقد تقع المجتمعات في حرب أهلية بسبب ذلك، فلا يكتفون بمجرد التنازع اللفظي والخلافات، وإنما ينتقلون إلى الحرب الأهلية، وربما يستجدون الآخرين للتدخل فيما بينهم، وكل فريق يستجدي بقوة، فعندما ينزل أولئك الأعداء ينزلون بقوتهم، ويستولون على الأمر.

ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي تلميع بعض الشخصيات، التي هي مقتنعة بهذا الفكر الإلحادي، والتي هي عَمِيلَةٌ لهؤلاء الأعداء، فتُنَصَّبُ على الناس؛ لتحكمهم، ولتنشر الفكر، فيكون عن طريق ذلك الاستيلاء على مُقَدَّرَاتِ الأمم، لا بالحرب العسكرية الصريحة، التي كانت فيما تقدَّم.

**الوسيلةُ السادسةُ: تعميمُ اللغةِ والأدبِ:**

أي: الثقافة، وهذا ما هو حاصل؛ فعندما أرادتْ فرنسا غزو شمال أفريقيا ماذا صَنَعَتْ؟!

نشرتْ فكرها، ونشرتْ لغتها؛ لأنَّ اللغة ليست مجرد حركة اللسان، وإنَّمَا هي ثقافةٌ وقيمٌ، ولذلك على الدارس للغةٍ معينةٍ أنْ ينتبه لهذا الأمر.

فمع كوننا نُشَجِّعُ على دراسة لغات مختلفة؛ لأجل نشر الدعوة إلى الإسلام، ولكن في الوقت نفسه نُحَذِّرُ من التأثُّر بأفكار الآخرين؛ لأنَّ اللغة مطيةٌ لهؤلاء للوصول إلى قلوب الناس وعقولها، ولذلك قام مصطفى كمال أتاتورك بمنع اللغة العربية؛ حتى يَقْطَعَ صلة الناس بالقرآن، وبحديث النبي ﷺ، وبالتأريخ، والحضارة، وليجعل صلة الناس بأوروبا؛ فاستعمل الحروف اللاتينية.

وهذا عينُ ما قامتْ به بريطانيا أيضًا في ممالكها المختلفة؛ فَغَيَّرَتِ الحروف المستعملة في الهند من الحروف العربية إلى الحروف الهندية القديمة، أو إلى الحروف اللاتينية، وغَيَّرَتْ أيضًا الحروف العربية المستعملة في أندونيسيا، وفي ماليزيا إبَّان احتلالها، وجعلت الناس هناك يستعملون الحروف اللاتينية، ويتكلَّمون اللغة الإنجليزية.

وهذا ما صنعتْهُ أيضًا في أفريقيا في اللغة السواحيلية، حتى أنَّهُ توجد كتابات قديمة كُتِبَتْ فيها اللغة السواحلية في الصحافة العمانية العربية بالحروف العربية، وتُوجَدُ بعض المخطوطات للشيخ ناصر بن أبي نبهان يكتب فيها أسماء بعض الأعشاب والأدوية بالحروف العربية، وهي كلمات سواحيلية، وهذا أمرٌ معروف.

وكذا صنعتْ فرنسا؛ وذلك فيما يُعْرَفُ بالَفَرْنَسَة، فنشرتْ اللغة الفرنسية، بل ألزمت الناس بذلك في الجزائر، وفي تونس،

وفي أجزاء من المغرب، وفي غرب أفريقيا، وغيرها من البلاد التي احتلَّتْها، وتغيَّر الناس بعد سنين، وتأثَّرُوا بهذا الفكر، وهذا أمر خطير جدًّا.

وتارة لا يلزم ذلك عن طريق تغيير اللُّغة، وإنما بنشر أفكار هؤلاء عن طريق وسائل الأدب المختلفة المعروفة؛ من نحو القصص، والروايات، فكم من كُتَّابٍ يُوصَفُون بأنَّهم عرب، وبأنَّهم مسلمون، أو يحملون أسماء إسلامية، ولكنَّهُمْ ينشرون هذه الأفكار، وتأثَّرُوا بهذا الفكر؛ كما هو في الفكر الحداثي.

فهذا علي أحمد سعيد، المعروف بأدونيس، يكتب بالعربية هو وغيره، ولكن ما الكلام الذي كان يقوله؟ وماذا كان الشعراء الآخرون أيضًا ـ ممن تأثَّرُوا بهذا الفكر، أو الشعر الحداثي ـ يقولون؟ حينما يقول أحدهم: «تُبْ إلى اللات، ودع عنك الجحود»، نسأل الله العافية.

هو كلام عربي، ولكنْ فيه تمجيدٌ للكفر، ودعوةٌ إلى الإلحاد، والعياذ بالله تعالى، وتشجيعٌ عليه، وتعظيمٌ للشكِّ، واللا أدرية، كما يقولون في أبيات إيليا أبي ماضي وغيره.

فهم ينشرون القصص، والروايات؛ لنشر هذا الفكر، ولنشر الفساد أيضًا، من قصص الجنس والغرام، وغيرها، ويَبُثُّون فيها سمومهم.

**الوسيلةُ السابعةُ: المسرحُ والسينمَا:**

وذلك باعتباره داخلًا تحت ما يُسَمَّى مصطلح الأدب، والمصطلح المعروف عند الغرب (Arts)، وتدخل في ذلك الفنون، فيستعملون ذلك لنشر أفكارهم.

والآلة والمؤسسة الإعلامية الأمريكية المعروفة بهوليوود لا شكَّ أنَّها تقوم بدورٍ عظيمٍ في هذا المجال، وقد استطاعتْ أنْ تغزو العالم كله تقريبًا، وها هي المؤسسة الهندية بوليوود أيضًا تحاول اقتفاء أثرها.

فهذه المؤسسات تقومُ بنشر هذا الفكر الإلحادي؛ وذلك بالدعوة إلى السجود لأصنامٍ والعياذ بالله تعالى، أو بتقديس الطبيعة دون الله ﷻ، أو بعبادة الشيطان، أو بالقدح في الدِّينِ، أو السُّخرية والاستهزاء به.

أو بتشويه صورة الدِّينِ بِعَرْضِ أفلامٍ تَعْرِضُ محاربة الإرهاب، ويظهرُ هؤلاء الإرهابيون بأنَّهم يُصلُّون، وبأنَّهم يقولون: «بسم الله»، ويقولون: «الله أكبر» حين يريدون تنفيذ العمليات، ويحملون القرآن معهم، ويلبسون العمامة، ويُطْلِقُون اللحى؛ وبهذا تنغرس مثل هذه الصور عند المشاهدين، وتسري فيهم هذه الأفكار حين يُجْعَلُ خلفيةً للسيطرة على ما يُعْرَفُ بالعقل الباطن، أذانًا، أو قراءة قرآن حين القيام بمثل هذه العمليات

الخطيــرة، والتي يكون مــن آثارها قتل النــاس دون تمييز؛ في مجمع تجاري، أو في مســجد، أو في كنيسة، أو في حالة عرس جماعي، أو عزاء، أو غير ذلك، وكل هذا؛ لأجل تسميم الأفكار بنشر الإباحية؛ عبر المسلسلات، والمؤسسات المختلفة.

ولذلك أدعو المسلمين أن يستقلوا في إعلامهم، وأن يُقَدِّرُوا تأثير الإعلام؛ فإنَّ كثيرًا من النــاس إنما يتحرَّكُون بقوة الإعلام، وبعض النــاس أصبح رئيس دولــة، كما في أمريــكا؛ لأنَّه كان ممثلًا، وهو رونالد ريجن، فكانت له شعبية.

وهــذا الرئيس الأمريكــي دونالــد ترامب له قناةٌ مســتقلةٌ، وبســبب قوته الإعلامية والمالية استطاع أنْ يُسَــوِّقَ لنفسه، وأنْ يكونَ له أتباع كثيرون، وأنْ يُسَوِّقَ لفكره؛ ولذلك اختاروه بغض النظر عــن بعض الأخطاء التــي يمارســها، أو المؤاخذات التي يؤاخذها عليه خصومه، وكل هذا بسبب الإعلام.

وهكذا في البــلاد الأخرى؛ فبعــض الرياضيين يكونون هم القادة، فالإعلام له أثر كبير جدًّا، ولربما يكون الشخص غير كفؤ، ولكن بسبب إجادته لتسويق نفسه إعلاميًا يفوز في السباق، وهذا الفوز يعني وصوله هو إلى غايته، وإلَّا فهو خاسرٌ إنْ لم يكن أهلًا لذلك، وبعــض الناس يكونــون أَكْفَاءَ، ولكنهم بســبب ضعف تسويقهم لأنفسهم يخسرون السباق.

## الوسيلةُ الثامنةُ: الصحفُ والمجلاتُ:

فهي أيضًا تدعو إلى ذلك، ولا أريد الإطالة في هذا، وإنَّما فقط التمثيل؛ فإنَّ ذلك معلوم، ولذلك هؤلاء يحاولون السيطرة على كل منفذ يقدرون عليه.

والآن هم يحاولون السيطرة على بعض المؤسسات الإعلامية؛ المسموعة، والمرئية، والمقروءة، ووسائل التواصل الاجتماعي، ويكتبون، وينشرون.

ولا يُستغرَب أنْ يكون هذا المجال الذي أكرمنا الله تعالى به مؤدِّيًا إلى إغاضتهم، وقد رأيتُم بعض الممارسات من محاولة بعض الناس تشويه شاشة البث، وكتابة بعض الكلمات البذيئة، وهناك مَنْ يكتب بعد ذلك تعليقات مسيئة، وكل ذلك لصدِّ الناس عن متابعة هذه الدورة، ونحمد الله تعالى على توفيقنا لنشر الإسلام، ومواجهة هذا الإلحاد؛ ولذلك رأيت وضع كلمة «محق الإلحاد» في بداية الدورة.

## الوسيلةُ التاسعةُ: التَّشكيكُ في الدِّينِ وأحكامهِ:

وهذا أسلوب رخيص، والمولى ﷻ ذَكَرَهُ في كتابه عن المنافقين، وقبلهم أيضًا ذَكَرَهُ عن المشركين، وكيف أنَّهم يتعاملون مع أنبيائهم ورسلهم عليهم الصلاة والسلام؛ حيث إنَّهم

يُشَكِّكُون في الله، وفي اليوم الآخر، وفي النُّبوَّة؛ ﴿قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤]، ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]، إلى آخر الآيات.

أو ما ينشرونه من إشاعات في المجتمع المسلم؛ ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١]، ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]، وكما ذكروا عن الميتة: «أنأكل ميتتنا، وتحرم علينا ما قَتَلَهُ الله؟!»، أي: أنَّ ما مات حتم أنفه فهو ميتة حرام، لكن ما قتلوه، أي: ذبحوه، فهو حلال.

فقالوا: كيف هذا؟!

فينشرون مثل هذه الأفكار؛ للتَّشكيك في الدِّين وأحكامه.

وقد تبيَّن أيضًا أنَّ بعض الطلبة حين يُبْتَعَثُون إلى البلاد الغربية أو الشرقية، أو إلى أيِّ مكان ـ وربما يكون حتى في البلاد العربية، والإسلامية، وفي الوطن نفسه ـ يكون هناك مَنْ يقوم بذلك من هؤلاء؛ فلا بد من الحذر منهم.

وَأَذْكُرُ أنَّ طائفة من طلبة العلم قد تربَّوْا على يد مشايخ العلم، وتعلَّمُوا على أيديهم سنين، وحين التحقوا بشيء من الجامعات، أو الكليَّات استحوذ عليهم أتباع هذا الفكر، فأوقعوهم في الإلحاد والعياذ بالله، وهم في البلد، وتأثَّرُوا بذلك، ومنهم مَنْ سافر إلى الخارج فتأثَّر، فنسأل الله تعالى السلامة.

وهذا حرمان مـن توفيق الله ﷻ؛ ولذلـك يجب الحذر من هؤلاء، سواء كانوا داخل البلاد، أو خارجها.

وهذا الأسلوب في التَّشـكيك يلجأون إليه كثيرًا في الآونة الأخيرة، وقد التقيتُ بأحـد الطلبة، ممَّن كان يَـدْرَسُ معنا في إحـدى الجامعات هنا فـي البلـد، فَأَخْبَرَنِي أنَّ الأسـتاذ الذي يُدَرِّسُـهم يُلقِـي عليهم مثل هذه الشـكوك، وهو أسـتاذ غربي أمريكي، ويقدح في بعض أحكام الإسـلام، وفي ثوابته، ويُلْقِي على الطلبة هـذا الأمر، وليس هناك مَنْ يجادله، وربما يخشـى الطلبة مواجهته؛ خشيةً مِنْ أَنْ يرسـبهم في الامتحان، أو ينقص درجاتهم، وهذا واقعٌ في بلدنا للأسف الشديد، وليس واقعًا من فرد، بل هم جملة.

وَأَخْبَرَنِـي بعض الطلبة أيضًـا أنَّ هؤلاء يسـتعملون طريقة أخرى، وهي التبادل الثقافي بين الجامعـات أو الكليَّات، وبأنَّ طلبةً من أمريكا زاروهم فـي هذه المؤسسـة التعليمية، فكانوا يتكلمون معهـم، فإذا بأولئـك الطلبة الأمريـكان يقومون ببثِّ الشكوك في الإسـلام، وفي البداية هو حوار، والتعرف على لغة الآخر، وإذا رأوا أنَّ ذلك الطالـب منبهر بالغرب، ويُمَجِّدُ هؤلاء الغرب، يبدأون بطرح مثل هذه الأسـئلة على صورة إشـكالات نريد الإجابة عنها، وأنت مسـلم، وغالبًا ما يكـون هذا الطالب ضعيفًا؛ لأنَّه لم يتلقَ تعليمًا كافيًا فيما يتعلق بدينه، وعقيدته.

وللأسف الشديد لا يستطيع الإجابة عن تلك الأسئلة؛ فيقع في الشك، فيُعطونَه كتبًا في هذا المجال، أو يدعونه إلى الدخول في مواقع معينة؛ ليتابعها، أو ليقرأ فيها، وهناك يتابعه أناسٌ متخصصون في نشر هذا الفكر، وفي الطلبة العرب خاصة.

فيستحوذُون على هذا الطالب الضعيف، ويَبُثُّون فيه الغرور، ويُنَشِّئُونه على مبدأ العقلانية؛ حتى يترك الآيات، والأحاديث، وكأنَّه يحيلها إلى النقاش، وهو لا يستطيع الإجابة، وتبرير كل شيء حين يستعمل هذا الأسلوب، فيضعف، ولا يرجع إلى العلماء؛ لأنَّهم ينفخون فيه الاستقلال، وأنَّ الرجوع إلى العلماء إنما هو إلغاء للذات، وهو نوعُ تقديسٍ لهؤلاء العلماء، وأنَّه لا يليق بطالب مثله، ولديه هذا الفكر، ولديه هذا العقل، ووصل إلى المرحلة الجامعية، ويُتْقِنُ لغات متعددة، فلا ينبغي أنْ يكون منغلقًا وجامدًا، بل ينبغي أنْ يكونَ مستقلًا برأيه، وهكذا يؤثِّرون عليه شيئًا فشيئًا؛ حتى ينقلب إلى رأيه.

وَأَذْكُرُ أنِّي قرأتُ كُتَيِّبًا صغيرًا للدكتور مصطفى محمود قبل نحو أكثر من ثلاثين عامًا من الآن بعنوان حوار مع صديقي الملحد، يذكر فيه مثل هذا الأمر للأسف الشديد.

وذكر شيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ أيضًا عن بعض دُعاة العقلانيَّة: أنَّه حين نوقش في قوله: بأنَّ الأديان جميعًا على مسافة واحدة من العلم، والبحث، والنقاش، والانتقاد، ونحو

ذلك، وأنَّها طرقٌ إلى الله تعالى جميعًا؛ فيساوي بين اليهودية، والنَّصرانية، والإسلام، حينما ناقشه أحدهم، وقال له: فماذا تقول في البوذية والهندوسية؟

أجابه أحدهم: بأنَّه لا ننسى أيضًا أنَّ الإسلام فيه شيءٌ من رموز الوثنية والعياذ بالله تعالى؛ وذلك لأنَّ في الإسلام يوجد الطواف، وهو دورانٌ حول حجر، وتقبيلٌ لحجر، وفيه سعيٌ بين الصفا والمروة، وهو سعيٌ من حجر إلى حجر، أستغفر الله العظيم!!

فجعل هذا مثالًا على الوثنيَّة في الإسلام، وكذلك التي لا يعلم مغزاها وتعليلها، وأنَّها غير معقولة المعنى، ويريد بذلك أنْ يُسَوِّغَ عبادة الهندوس للبقر، وعبادتهم الأصنام، وأنَّ هذه مجرد رموز في نظرهم، وأنَّهم يعبدون الإله، فبلغ بهم الأمر إلى هذا الحدِّ، والعياذ بالله تعالى.

وكلُّ هذا لأجل إغراء الناس بما يقولونه، أو يعتقدونه؛ لأجل الإيقاع بهم في حبائلهم، نسأل الله تعالى العافية.

وطبعًا هم قد يُشَكِّكُون في القرآن، وقد يُشكِّكُون في السنة، ولا يحتجُّون بما في القرآن، وإنما بالعقل فقط، ويُنْكِرُونَ السنة مطلقًا، ويقولون: «لا نحتج إلَّا بالقرآن»، ويقولون: «نحن قرآنيون»، وكذبوا؛ إذ لو كانوا يَتَّبِعون القرآن لاتَّبَعُوا السنَّة؛ لأنَّ القرآن مليءٌ بالآيات التي تدعو إلى اتباع النبي ﷺ، وتحكيم

سنَّته، ولو لم يكن إلَّا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] لكان كافيًا، فكيف بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٞ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]، وكيف بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الممتحنة: ٦]، وكيف بقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

فهؤلاء يستعملون تارةً مثل هذه الأفكار للقضاء على الإسلام؛ ويزعمون بأنَّ السنة لا تكون حجة بنفسها إلَّا مما وافقت فيه القرآن، أو أكَّدتْ فيه القرآن، فلا يعترفون بالسنة الْمُخَصِّصَةِ للعموم، ولا المقيِّدة للإطلاق، ولا السنَّة التي تأتي مفيدةً لحكمٍ غير موجود في القرآن، وبحكم زائد؛ كالختان، والرجم ـ عقوبة الزاني المحصن ـ، وكالوتر، ونحو ذلك، فلا يعترفون بذلك، مع أنَّه قد انعقد عليها الإجماع على مشروعية ذلك.

وإنَّما يريدون بذلك هَدْمَ هذا الدِّينِ، وإلَّا فأنَّى لهم أنْ يتوصَّلُوا دون السُّنَّةِ إلى كيفية الصلاة؟! أو كيفية الزكاة؟! أو كيفية الحج؟! أو غير ذلك من العبادات المختلفة؟! إنما يريدون هم بذلك التَّفَلُّتَ من الدِّينِ.

وإنْ أنكروا السـنَّة فهم مُنكـرون للقرآن والعيـاذ بالله، وإنْ شَكَّكُوا في السـنَّة فهم يُشـكِّكُون في القرآن، وهذا على سبيل الإجمال؛ فهذا مبدأهم.

أما قضيةُ التَّشكيكِ في حديث واحدٍ، أو رواية واحدة، وهي آحادية، وَتَقْبَلُ الكلام؛ أخذًا وعطاءً من قبل أهل العلم، فلا مانع من ذلك؛ فلا زال العلمـاء المجتهـدون المتخصصون في علم الحديث يُصَحِّحُون ويُضَعِّفُون، وليس هناك حديثٌ يكون بمنأى عن ذلك، إلَّا إذا ثَبَتَ تواتره، فما دام ظني الثبوت؛ بأنْ ورد من طريق واحد، أو اثنين، أو ثلاثة، أو لم تنطبق عليه شروط التواتر فهو مَحِلٌ للنظر فيه سندًا ومتنًا.

ولكنَّ ذلك مِنْ قِبَلِ العلمـاء الربانيين المتخصصين في هذا المجال، وليس بقصـد الطعن في الدِّيـنِ أيضًا، وليـس اتباعًا للهوى؛ كما يصنع هؤلاء حينما يُضَعِّفُون بعض الأحاديث مفردة، أو يصححونها؛ اتباعًا للهوى.

والأصل أنَّ هؤلاء لا يعترفون بحجية أيِّ حديث آحادي، ولكن حين تكون في ذلك الحديث موافقةٌ لما يشـتهون فإنَّهم يذكرونه، ويحتجُّون بـه، وحين يخالفهم لا يُبَالُونَ بطرحه، والاسـتهزاء به، والسخرية منه؛ كما سخر بعضهم من قيام وصلاة الليل!!

وكما سـخر بعضهم من حديـث الذبابة، وغيـر ذلك من الأمثلة.

## الوسيلةُ العاشرةُ: انتهاكُ المقدساتِ:

سواء كان ذلك بالاستهزاء بالله ﷻ، أو برسوله ﷺ، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦]، والمسلم لا يرضى أبدًا أنْ يُعْتَدَى على الله تعالى في حضرته، أو أنْ يَبْلُغَهُ ذلك، أو أنْ يُعْتَدَى على رسوله ﷺ بأيِّ وجهٍ من الوجوه، وإنِّي لأكبر الأمة الإسلامية ـ والحمد لله ـ حين انتفضتْ؛ انتصارًا لنبيِّهَا بعدما قام بعض الأقزام بالتَّفَوُّهِ بكلام غير لائق في حق النبي ﷺ؛ بدعوى حرية الرأي، وقام جمهور الناس بما يستطيعون من المقاطعة لبضائع تلك البلاد، وهي فرنسا.

وينبغي أنْ لا يكون ذلك مُقتصرًا على هذه البلاد، وإنَّما يتخطَّاها إلى كلِّ مَنْ يعادي الدِّينَ الحقَّ، ويكيد له؛ فهناك استهزاءٌ بالله تعالى وبكتابه ﷻ، وهناك حرقٌ لآيات القرآن، بل وَدَوْسٌ للقرآن تحت الأقدام، وإلقاءٌ له في محل القاذورات، وهناك ما هو واضح أيضًا من إنكار أحكام هذا القرآن.

ولكن بعض الناس ـ سبحان الله ـ يتعاطفون مع أمرٍ معينٍ، ويتساهلون في أمور أخرى، والمسلم إنْ كان في موضعٍ، وحصل فيه هذا الاستهزاء، أو السخرية بالله تعالى، أو برسوله يجب عليه أنْ يُنْكِرَ، فإنْ لم يستطع فعليه أنْ يقوم من المجلس، وإلَّا عُدَّ شريكًا معهم ما دام يستطيع القيام، إلَّا أنْ يتَّخذ ذلك تقيةً؛ لخوفه

على نفسه، ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

**الوسيلةُ الحاديةُ عشرةَ: قطعُ الصلةِ بحضارةِ الأمةِ وتأريخِهَا:**

وهذا ما قام به أتاتورك في تركيا، وقامتْ به فرنسا، وبريطانيا، ولا زالوا يقومون بذلك إلى الآن.

فهذه الجامعات، والكليَّات، والمدارس، التي نُشِرَتْ في البلاد الإسلامية، سواء كانت عربية، أو غربية، ولكن بطريقة غربيَّة، وتُدَرِّسُ الفكر الغربي، ما الذي يُنْتَظَرُ منها؟!

ينشأ الشاب المسلم فيها وهو لا يحسن تلاوة القرآن!!

وعندما أتكلَّمُ أتكلَّمُ عن فئةٍ، أو عن ظاهرةٍ وَقَعَتْ في وقتٍ من الأوقات، وليس كل المؤسسات على هذا النحو؛ حتى لا أغمط أحدًا حقَّهُ، ويتفاوت هذا من بلاد إلى أخرى، فلا يزال الكثير من الطلبة المسلمين في البلاد العربية والإسلامية ـ والحمد لله ـ يتعلَّمُون القرآن، ويتلونه، ويحاولون فهم معانيه، ولكن الجرعة مع ذلك في العلوم الدينية ضعيفة، ويجب أنْ نعترف بذلك، وأصبح كثيرٌ من الطلبة للأسف الشديد ضعفاءَ في هذا الجانب، وكثيرٌ من أولياء أمورهم يحرصون على تلقينهم العلوم العصرية أكثر من تعليمهم العلوم الشرعية؛ من عقيدة، وفقه، وهكذا.

ولستُ أدَّعِي أنَّ هذه العلوم العصرية غير مهمة، فضلًا عن منعها؛ فالإسلام يدعو إلى الانفتاح، وإلى التَّعلُّم، وجعل الإنسان خليفة الله في هذه الأرض، ودعاه إلى عمارة هذا الكون، شريطة أنْ يكون ذلك بمنهاج الله تعالى، فما الفائدة من طبيبٍ، أو مهندسٍ، أو عالمٍ في الذرة، أو عالمٍ في أي علمٍ من العلوم التجريبية إذا كان لا يصلي؟! أو إذا كان لا يُوَحِّدُ الله تعالى؟!

فهذا لا يُؤْمَنُ أنْ يقومَ باستعمال عِلْمِهِ في إهلاك الناس، وهذا ما حَدَثَ في أمريكا، وأوروبا، وغيرها؛ فَمَنِ الذي اكتشف هذه الأسلحة؟! أسلحة الدمار الشامل؟!

إنما هم علماء للأسف الشديد، وباحثون، وتُسْتَعْمَلُ هذه الأسلحة في إرهاب الشعوب، وفي تدمير الناس، وفي قتلهم، وما قنبلتا هيروشيما وناجازاكي عنَّا ببعيد.

وما حَدَثَ أيضًا من تسربٍ للإشعاع النووي في حادثة تشيرنوبل في الاتحاد السوفييتي ببعيد، وأدَّتْ إلى هلاك كثيرٍ من الناس، وإصابتهم بعاهات.

وما يحدثُ الآن بين بعض بلاد العالم من تهديدٍ بالسلاح النووي، مما يقض مضاجع الناس ويرهقهم، إنما هو من صنيع الإنسان، إن لم يكن موجهًا بالإيمان.

وما يحدث في المعامل اليوم؛ من محاولة صناعة ما يُعرفُ بالسوبر مان الإنسان الخارق، وذلك بالتلاعب في الجينات فيما يعرف بالهندسة الوراثية، وظهر ذلك في النعجة دولي كما قيل في اسكتلندا.

ولا زالتْ هذه التجارب قائمة عند بعض الناس مع مَنْعِ منظمة الصحة العالمية، ومنظمة اليونسكو من ذلك، ومحاولة بعض الدول تشريع قوانين تمنع أو تُجَرِّمُ ذلك.

وهناك بعض الأنظمة لا تستجيب لذلك، وبعض الباحثين والعلماء لا يقتنع بذلك، وبدأوا يستنسخون، ويقومون بالاستنساخ لبعض الأنسجة والأعضاء، وإن كان في هذا فائدة طبية، ولكن يريدون نسخ إنسان كامل، وهم في طريقهم إلى ذلك كما يزعمون، وهذا بلا شك أنَّه سيؤدِّي إلى اختلال نظام الكون، واختلال التوازن البيئي، وإلى إفساد الإنسان، وإلى القيام بأشياء خطيرة جدًّا لا تكاد تخطر على بال.

وقد بدأتْ بعض وسائل إعلام هوليوود الترويج لمثل هذا الأمر فيما يُعْرَفُ بالإنسان الآلي، فضلًا عن هذا الإنسان المستنسخ، وأنَّ هذه الآلة قد تتمرَّد على الإنسان، وتؤدِّي إلى القضاء على النوع البشري، فالعلمُ إذا لم يذكيه إيمان؛ فإنَّهُ يؤدِّي إلى الفساد والعياذ بالله تعالى.

فهؤلاء يريدون قطع صلة هذه الأمة بدينها، وبتأريخها، وبحضارتها، فينشأ الطالب لا يعرف شيئًا عن دينه، ولا يعرف شيئًا عن تأريخه، وعن ثقافته، ولا يعتز بسلفه الماضين، وإنما ولاؤه كلُّه لأعدائه.

ينشأ على لغة عدوِّهِ، ويعرف تأريخ أوروبا، أو أمريكا أكثر من تأريخ بلاد الإسلام.

وربما بسبب ذلك يغترُّ ببعض الأنظمة، أو الأفكار الغربيَّة؛ كما بدأ بعض شبابنا يتأثَّر بالديمقراطية، ويظنها الفردوس المنشود، وأنَّها غاية ما وصل إليه الفكر البشري، وأرقى ما وصل إليه؛ كما ذَكَرَ ذلك فرانسيس فوكوياما في كتابه **نهاية التاريخ**، وانبهر بذلك، وقد أتى من شرق آسيا، من اليابان، وأصبح أمريكيًا، وتأثَّر بالفكر الأمريكي الغربي؛ واعتبر النظام السياسي الديموقراطي أرقى نظام عرفته البشرية، واعتبر النظام الرأسمالي في تسيير الاقتصاد أرقى ما وصلت إليه البشرية، وهو إنما يتكلَّم عن علمه، ولا يعرف شيئًا عن الشورى الإسلامية، وعن أحكام الإسلام، وربما تأثَّر ببعض كتابات أعداء الإسلام، ولكن قَدَّرَ الله تعالى أنْ يعيش فرانسيس فوكوياما إلى عام ٢٠٠٩م، ويشهد الأزمة المالية العالمية، ويُجْرَى معه لقاء؛ ليعترف فيه بوجود خلل في النظام المالي الرأسمالي الغربي، وأنَّ الأمر بحاجةٍ إلى إصلاح.

وهذا ما اعترف به طائفةٌ من هؤلاء، ويريدون الحل الآن.

ولكن يأتي بعض الناس من المسلمين، وممن يَتَسَمَّوْنَ باسم الإسلام، ويتأثَّرُون بهذا الأمر؛ لأنَّهم خِلْوٌ من الثقافة الإسلامية؛ كما قال أبو الأعلى المودودي في كلمته التي ألقاها أمام الجماعة الإسلامية في بيشاور؛ كما نقل ذلك عنه شيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ في دروسه المختلفة، وفي كتابه **مصرع الإلحاد** أيضًا، وكان من جملة ما قاله أبو الأعلى المودودي: «وإنما تبقى عبرةً في التاريخ قصةُ مَنْ يحمل عصا موسى تحت إبطه، وهو يخشى من الحبال والخشب!!»، أي: أنَّ المسلم يخشى من الشُّيوعيَّة، ومن الرأسمالية، والديمقراطية، ويريد أنْ يستجدي من هؤلاء الحل، وفي يده القرآن، وفي يده خلاص العالم، وفي يده الوحي الربَّاني، بل وفي صدره، فسبحان الله من هذه الغفلة!!

**الوسيلةُ الثانية عشرة: قطعُ الصلةِ برموزِ الأمَّة ومراجعِهَا:**

أي: العلماء الربانيين؛ وذلك عن طريق تشويه صورة الدِّينِ.

وَأَذْكُرُ أنِّي قرأتُ في بعض ما كَتَبَهُ بعض الكاتبين، ولعله محمد قطب في كتابه **واقعنا المعاصر**، أو غيره، يذكر عن ممارسات الاستعمار الفرنسي، والاستعمار الإنجليزي في مصر، وأنَّه كان يُبَغِّضُ إلى الطلبة الدِّينَ بممارسات متعددة.

ومنها: أنْ تُجْعَلَ حصة التربية الإسلامية آخر حصة دراسية في اليوم؛ وذلك حتى يكون الطلبة الصغار قد تعبوا وملُّوا، فيكرهون تلك الحصة؛ ويكرهون بسببها الدِّينَ.

أو يُوضَعُ مدرسون لتدريس هذه المادة ليس لديهم ملكات تربويّة، وليس لديهم أسلوب علمي، وإنما يُؤْتَوْنَ من معاهد، أو مؤسسات تُعْنَى بتغذيتهم بالعلم الشرعي الدِّينِي، ولكن لا تَعْتَنِي بمهاراتهم في إيصال المعلومات إلى الطلبة.

وربما لا يكون لديهم ذلك السلوك اللائق أيضًا في احترام الطلبة، وتقديرهم، أو توجيههم؛ فلا يفهم منهم الطلبة.

أو أنَّهم حين يقارنون مستواهم في إيصال المعلومات بغيرهم من أساتذة تعليم اللغة الإنجليزية، أو الرياضيات، أو العلوم، وغيرها فإنَّهم يجدون البون الشاسع؛ فيُفَضِّلُون تلك المواد العلميّة، أو اللغات الأجنبية على معلِّم اللغة العربية، أو التربية الإسلامية.

وعندما يتقدَّمُون في السن لا يتوجَّهُون لدراسة العلوم الشرعية في دراساتهم العليا، أو اللغة العربية، وإنَّمَا يتوجَّهُون لدراسة اللغات الأجنبية؛ لأنَّه غُرِسَ فيهم أنَّ هذه اللغة الآن هي لغة الحضارة، ولغة المدَنِيَّةِ، وأنَّ مَنْ أراد العمل، أو التحسين من مستواه المادي فعليه أنْ يَتَعَلَّمَ هذه العلوم؛ لأنَّ اللغة العربية، أو التربية الإسلامية لا تفيد شيئًا، ولا ينال صاحبها وظيفة!!

وأنا هنا: لا أذمُّ هذه العلوم، كلَّا؛ فهي علوم مفيدة، ولكن أَتَكَلَّمُ عن هذه المقارنة في هذا الجانب، وفي هذا المستوى، وإلَّا كما قال أبو مسلم رحمه الله:

**ولا تقولن علم ليس ينفعني بكل علم يعيش المرء منتفعا**
**فاطلب وأطلق بلا قيد ولا حرج وقف إذا كان عنه الشرع قد منعا**

فهؤلاء يُشَوِّهُون صورة العلماء الربَّانيين، ويُقَيِّدُون حركتهم، ويمنعونهم من الدعوة، وربما يشغلون العلماء بطلب لقمة العيش؛ حين لا يُوَفِّرُ لهم ما يحتاجون من نفقاتهم، ونفقات عيالهم، أو كتبهم، أو يحتاجون إلى مراكز بحث، أو إلى مدارس؛ لكي ينشروا علمهم، فَيُضَيِّقُون عليهم.

ورُبَّمَا يُريدُون شغلهم بالمناصب، والمال؛ فيغرقونهم بالترف، ونحو ذلك من حظوظ الدنيا؛ لأجل صرف الناس عنهم، أو لأجل صرفهم عن الناس.

فإنِ انصرف الناس عنهم، أو انصرفوا عن الناس خلتِ الساحة، وتولَّى الأمر أُناسٌ غير مؤهلين لقيادة المجتمع، فيرجع إليهم العامة؛ لطبيعة الناس في الرجوع إلى قادة، وإلى مراجع، فهذا أمر طبعي، والله تعالى يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ويقول: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ويقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

فيظهر في الســاحة أُناسٌ قد صُنِعُوا بيد هؤلاء الملاحدة، أو عملائهم، وهم لا يفقهون من الدِّينِ شيئًا، وليس لديهم استقامة، وليس لديهم غَيْرَةٌ على محــارم الله، وليس لديهم إدراكٌ للواقع؛ فَيَضِلُّونَ، ويُضِلُّونَ.

وهذا ما ذكره النبي ﷺ فــي الحديث؛ حين قال: «إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزاعًا يَنْتَزِعَهُ مِــنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّـخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا»[1].

ونحن بحمد الله أكرمنا ربي في هذا البلاد بعلماء ربانيين هم يتصدَّرُون المشهد، وبفضل الله تعالى يتوجَّهُ الناس إلى هذا الخير، وإن كان بعض الناسن يحاول زعزعتهــم، أو التأثير عليهم، ولكن فضل الله تعالى حاصل، ونسأل الله تعالى الثبات لنا ولهم جميعًا.

إلا أنَّ هذا الخطر يحدق بالأمة، وقد أُصِيبَتْ كثيرٌ من البلدان الإسلامية بسبب إصابة العلماء، وتشويه مكانتهم، واسْتُبْدِلَ بهم أُناسٌ غير أَكْفَاء؛ فَفَتَنُوا العامة، وأضلوا الناس، فضلوا عن سبيل الله تعالى، فنسأل الله تعالى العافية.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم، رقم: ١٠٠.

## المحـور الثالث:
## مظـاهـر الإلحـاد

في هذا المحور سنذكر نماذج من مظاهر الإلحاد، وهي على سبيل التمثيل، لا على سبيل الحصر؛ لأنَّ الأمر واسع.

وإنما أُنَبِّهُ هنا على أشياء حتى ننتبه لها جميعًا، ونَحْذَرَ منها أيضًا في الوقت نفسه، ونحرص على أنْ يكون كلُّ مَنْ يتصل بنا بعيدًا عنها؛ حتى لا يقع في شباكها، ويُصاد بحبائل كيدها؛ فإنَّها تجر إلى ما بعدها مما هو أعظم والعياذ بالله.

### المظهرُ الأولُ: الشُّيوعيَّةُ:

ولا شك أنَّ الشُّيوعيَّة بهذا الاصطلاح المعروف تتصدَّر هذا الأمر؛ فهي تُعد أشـرس مظاهر الإلحاد؛ وذلك بتكذيب وجود الخالق ﷻ، وإنكار كل ما هو غيبي، بل إعـلان معاداة الدِّينِ، كما هي المقولة المشـهور لأحـد رموز هذا التيـار، وهو كارل ماركس؛ حين قال: «الدِّينُ أفيون الشعوب».

وهو يعني بذلك: أنَّ الدِّينَ مُخَدِّرٌ للشعوب؛ لأنَّه استُعمِلَ من قبل الأباطرة، والقياصرة في استعبادهم؛ لأجل أنْ يكونوا

طوعًا لهم، ولكي يدفعوا الضرائب التي تُمْلَى عليهم، وليكونوا أجنادًا في سبيل تحقيق مصالحهم التَّوَسُّعِيَّة، والتَّسلط في الأرض.

وفوق ذلك ربما يشير أيضًا إلى: أنَّ الدِّينَ ـ كما فَهِمَهُ هو، ومَنْ معه ـ يُخَدِّرُ العقول من البحث والتفكير، واكتساب العلم؛ بناء على ما قرَّرْنَاه سابقًا من انتشار هذا الفكر عن الدِّينِ، وذلك بتشويه صورته في القرون الوسطى، والعصور المظلمة؛ لأسباب كثيرة، والشُّيوعيَّة هي التي تُشِيعُ كل شيء، ولا تعترف بملكية الفرد، قرينةً للاشتراكية في النظام المالي.

لكنها أوسعُ مِنَ الاشتراكية؛ لأنَّها تشتمل على نظام شامل في جميع المجالات، فلا تقتصر على النَّواحي المالية، أو الاقتصادية؛ بل تشمل النواحي الاجتماعية، والفكرية، والسياسية، والثقافية، وغيرها.

كما أنَّها لا تعترف بحدودٍ، ولا تلتزم بضوابط؛ فالإنسان كأنَّه مُشَاعٌ، لا يملك نفسه، ولا يملكه أحد.

وكلُّ ذلك إنما هو إعلانٌ، وتعريضٌ بعدم رجوع الإنسان إلى خالقه، ومُكَوِّنِهِ ﷻ، وأنَّه لا سلطان لأحدٍ عليه، وأنَّه حُرٌّ في كلِّ ما يفعل؛ ولذا فإنَّ هؤلاء لا يُلْقُونَ للفضيلة وزنًا، ولا يجعلون للإنسان قيمةً، وإنما هم أتباع الشهوات، بل أتباع الشياطين؛ ولأجل ذلك وجب الحذر من هذا الفكر العقيم.

والحمد لله أنْ قَطَعَ الله دابر الشُّيوعيَّة، وإن كانت قد قامت الثورة البلشفية في عام ١٩١٧م، وأقيم على إثرها دولٌ هنا وهناك، وكان أعظمها فتكًا، وتوسعًا، وقوةً ما عُرِفَ بالاتحاد السوفيتي، ولكن هذا الكيان سقط عام ١٩٨٩م، وما بعده أيضًا سقوط جدار برلين، وكذلك تبعته كيانات أخرى صغيرة هنا وهناك، وكأنَّ هذا الاسم قد انحسر، وإن كان قد بقي في الصين، وفي كوريا الشمالية.

ولكن هناك تطورات كثيرة في هذا المجال، وقد ظَهَرَتْ موجة جديدة من الإلحاد.

وكنتُ أقرأ، وأتصفَّح بعض الكلام الذي كتبه الباحث عبد الله بن صالح العجيري في كتابه **ميليشيا الإلحاد**، وَنَبَّهَ على خطورة هذه الظاهرة الحديثة؛ وذلك فيما عُرِفَ بالإلحاد الجديد، وأنَّه بدأ يكتسح مساحات غير قليلة من العالم، وأنَّه اعتمادًا على دراسات أُجْرِيَتْ هنا وهناك؛ فإنَّ هذه الدراسات تفيد بأنَّ ١٠٪ من سكان أمريكا وقعوا في الإلحاد، وهذا أمر خطير جدًّا؛ لأنَّ أمريكا كانت المحارب الأول للاتحاد السوفيتي، أو ما عُرِفَ بالإلحاد؛ لأنَّها أساسًا أقيمت على أنها دولة دينية ـ كما تقدمَّ أنَّ المكتشف الأسباني عندما خرج من إسبانيا إلى أمريكا إنما كان يُعْلِنُ شعار الكنيسة، والدعوة إلى الإيمان بالمسيح، واعتبروا أمريكيا أرض الميعاد، وحَثُّوا الأوروبيين على الهجرة

إليها، ولا زالت أمريكا على هذا النحو، ومنذ مدة كنت أقرأ أيضًا بأن ٨٥٪ من الأمريكيين يؤمنون بالله، وبوجود خالق، وذلك على حسب التَّصور الذي يتصوَّرُونه، وأكثرهم من النصارى.

وكانوا يُجَرِّمُون الإلحاد، ولا يقبلـون بانتماء أحدٍ إلى الحزب الشُّيوعي، ومنعوا تكوين حزب شيوعي في بلادهم، وربما إنْ ثَبَتَ عن أحدهم الانتماء لذلك يُحْكَمُ عليه بالإعدام، وسعوا إلى محاربة هذا الفكر في بلدان كثيرة من العالم إلى أنْ سقط الاتحاد السوفيتي، سـواء كان تلك المواجهات عسـكريةً، أو عن طريـق المخابرات (CIA)، وغيرها، أو كانت ذلك باستعمال أحد المسلمين؛ كما حصل في أفغانستان، وفي غيرها؛ لأجل القضاء على الفكر الإلحادي.

ولكن أنْ تعود هذه الظاهرة من جديـد فإنَّ هذا الأمر يؤدِّي إلى القلق، خاصة أنَّ هذا الباحث ذكر بأنَّه قد انتشـر كتاب أحد رموز الإلحاد الجديد، وهو كتاب **وَهْمُ الإلهِ** لمؤلفه تشالز دوكنز، وأنَّ صحفية **التايمز** ذكرتْ بأنَّه من أكثر الكتب مبيعًا، وتقدَّم في قائمتها بأسابيع؛ فكان على رأس القائمة، وبقي في القائمة لمدة عام كامل، وأنَّ موقع **أمازون** كان يبيع أعداد هذا الكتاب بشكل كبيرٍ جدًّا، وتصدَّر القائمة لمدة طويلة، وبِيعَ منه في أربع سنوات أكثر من مليوني نسخة.

فهذا أمرٌ يُنْذِرُ بخطرٍ كبيرٍ، وأنَّ النـاس بدأوا يقرأون مثل هذه الكتب، خاصة أنَّ هذا الكاتب هو مِنْ أشدِّ الكُتَّاب وقَاحةً، وجُرأةً

فيما يطرحه، وفي تهكمه بالذات الإلهية، والحقائق الغيبية والدينية، وفي انتقاد مخالفيه، ولكن ذلك كله لم يمنع من مداولة كتابه.

وهذا الأمر أيضًا انتشر في طائفةٍ من الدول الأوربية، وبدأ ينتشر في العالم الإسلامي، وتلكم الإحصاءات التي ذَكَرْتُهَا إنما كانت في ٢٠١٠م كما ذكر العجيري، فما بالكم بالإحصاء الآن، وذلك بعد نحو عشر سنوات من هذا الإحصاء؟! وإن كنت لا أستطيع أنْ أعتمد على مثل هذه الإحصاءات؛ لأنَّ الاعتماد عليها كليًا خطأ، فنحن نعلم أنَّ هناك بعض المراكز البحثية تميل إلى تيارات معينة، وتقوم بنشر إحصاءات كاذبة؛ لأجل ترويج أفكارها، فلا ينبغي أنْ نثقَ بها تمام الثقة، ولكن ذلك مؤشر، ولا شك أنَّ الأمر موجود، وخاصة في أوروبا، فقد سبقت إلى الإلحاد.

فإذن هذا نوعٌ من الإلحاد الجديد، وقد بدأ ينتشر بكثرة؛ خاصة إذا وَسَّعْنَا مفهوم الإلحاد، وهذا ما ينبغي أن يكون؛ لأنَّ مفهوم الإلحاد لا يقتصر على إنكار وجود الخالق ﷻ، وإنما يتجاوز ذلك إلى إنكار النبوة، أو تكذيب أحد النبيين، أو تكذيبِ أيِّ أمر معلوم من الدِّينِ بالضرورة، أو الشك فيه؛ فكل ذلك من الكفر الْمِلِّيِّ الكفرِ الأكبرِ كما هو معلوم عند المسلمين، فضلًا عن جهل ذلك بعد قيام الحجة.

وهذا مما يدل عليه النَّصُّ من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وحكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على ذلك،

وإنْ كان الأمر لا يحتاج بحثًا عن وجود الإجماع؛ لأنَّ النص صريحٌ في ذلك، وهذا طبعًا يُوَسِّعُ الدائرة، وهذا ما نُحَذِّرُ منه؛ لأنَّ الله ﷻ عندما يقول مثلًا: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] اعْتبرَ تكذيب أولئك القوم لرسالة نوح عليه السلام تكذيبًا لجميع الرسالات السماوية، وتكذيبًا بجميع الأنبياء؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

فلا يمكن أنْ يُجَزَّأَ الدِّينُ؛ فتكذيب بعضه تكذيبٌ لكُلِّهِ، كما قال الله ﷻ؛ حكاية عن المؤمنين: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فهذا هو الإيمان الواجب، ولذلك تتسع دائرة الإلحاد؛ خلافًا للمفهوم الشائع عند الغربيين حينما يحصرون الإلحاد في تكذيب وجود الخالق ﷻ.

فهذا أول مظهر من مظاهر الإلحاد، وهو ظهور هذه الحركة؛ فكل ما صاحبها، وما نتج عنها، وعن فكرها، وكتاباتها، ورموزها يجب أن يُحْذَرَ منه؛ لأنَّها تؤدِّي إلى الوقوع في الكفر والعياذ بالله، وتؤدِّي إلى خسران الدنيا والآخرة.

### المظهرُ الثَّاني: العِلْمانِيَّةُ:

وهذا مما ينبغي أنْ يَعْلَمَهُ كلُّ عاقل، وكلُّ مؤمنٍ يدين بالله تعالى بالوحدانية، ولمحمد ﷺ بالرسالة، ويؤمن بالقرآن هاديًا

ودليلًا، وأنَّه كتابٌ أوحاه الله إلى عبده ورسوله محمد ﷺ؛ ذلك لأنَّ حقيقة العِلمانيَّة إنما هي تكذيبٌ لحقائق الدِّين الحقِّ الذي أنزله الله تعالى، فالعِلمانيَّة وإنْ كان اسمها برّاقًا؛ بالانتساب إلى العِلْمِ، فَهِيَ خِلوٌ من ذلك؛ إذ العِلمانيَّة في حقيقتها إنما هي صرفُ الإنسان عن الدار الآخرة، ليكون جُلَّ همِّه الحياةَ الدنيا؛ كما جاء في **موسوعة المعارف البريطانية**.

وعند بعضهم: بأنَّها فصل الدين عن العلم.

وفي تعبير آخرين: بأنَّها فصل الدين عن الحياة.

والمراد بذلك كله: أن لا يكون لله ﷻ أيُّ حاكِمِيَّةٍ في هذه الأرض، وإنما يُعْتَرَفُ به بأنَّه ربٌّ، أو خالقٌ عند مَنْ أراد ذلك.

وتكون هذه العلاقة علاقة روحية، أو مجرد علاقة شخصية، ولا علاقة بذلك في واقع الحياة، فيُفْصَلُ عن الحياة كلها، وعن كافة مظاهرها؛ فلا دخل للدِّينِ في السياسة، ولا دخل للدِّينِ في العِلمِ، ولا دخل للدِّينِ في الأدبِ، ولا دخل للدِّينِ في التشريعِ، ولا دخل للدِّينِ في الأمور العامة للناس، وإنما قد يُسْتَمَدُّ من الدِّينِ - إنْ أُذِنَ له بذلك - القيم الأخلاقية، وبعض الشعائر التعبدية.

فيُحْصر مفهوم الدين عند العلمانية بين جدران دار العبادة: من مسجد، أو كنيسٍ يهودي، أو كنيسة نصرانية، أو كهف في دير لأحد المتعبدين ممَّن يُسمَّون بالبوذيين، أو غيرهم.

وهذا حاصلُ ما يريده هؤلاء، ولا شك أنَّ في ذلك منازعة لله ﷻ في صفاته، وهو كفرٌ صريح بالله تعالى؛ كما يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦]، فضلًا عن كون هذا الأمر يعني القَبُولَ بأيِّ دين آخر على أنَّه حق، وأنَّ للإنسان الحرية الكاملة في اعتناقه، وذلك لا شك مصادم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وكما نعلم أنَّ الإسلام ـ وإن كان هو الدِّين الحق ـ إلَّا أنَّ ذلك لا يعني أنَّه يُحْكَمُ على غيره بعدم الوجود.

فَفَرْقٌ بين أنْ يُحْكَمَ على فكرٍ معيَّنٍ بأنَّه ضلالٌ، وأنْ يُحْكَمَ على صاحبه بالإعدام.

وهذا أمرٌ لم يستطع بعض الناس التَّفريق بينه؛ فمن جهةٍ الإسلام يُعطِي الإنسان حرية الاختيار؛ كما قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩]، إلَّا أنَّه في الوقت ذاته يعتبر عدم الإيمان بالله تعالى، أو باليوم الآخر، أو بأيِّ ركنٍ من أركان الإيمان كفرًا بالله تعالى، وأنَّ مَنِ اختار هذا الطريق فإنَّهُ يَتَحَمَّلُ مسؤوليته في الدنيا والآخرة، وأنَّهُ في الآخرة في نار جهنم، والعياذ بالله.

فيظهر الفرق بين أنْ يُقَالَ: للإنسان حرية الاختيار، وبين أنْ يُقَالَ: بأنَّ الكفر جائز؛ فالله تعالى قال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وتفصيل هذا الأمر يحتاج إلى بسط، وليس محله الآن.

فهذا الفكر الذي بدأ يعتنقه طائفةٌ مِنَ الذين يَدَّعُون الإسلام يُوقِعُهم في حرج شديد، ولستُ بصدد تكفير عباد الله تعالى هنا، أو اعتبارهم مُرتدِّينَ، ولكن أقول: بأنَّ بعض المسلمين يقعون في الكفر والعياذ بالله تعالى؛ بسبب جهلهم بحقيقة دينهم الذي يعتنقونه، وقد يغارون عليه، فيقعون فيما يُبْعِدُهُم عن الدِّين الحق، وفيما يهلكهم في دنياهم وأخراهم والعياذ بالله تعالى؛ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥].

فهؤلاء عليهم أنْ يحذروا من الوقوع في براثن هذا الفكر، وقد انتشر كثيرًا عند مَنْ يقومون بمسؤوليات، أو يُدَرِّسُون العلم، ولا يَقْبَلُونَ أنْ يتدخَّلَ الدِّينُ بالتحليل والتحريم في أعمالهم، وإنما يراعون مصالحهم الشخصية، أو ما يرونه بأنفسهم مصلحة.

وربما شرَّعوا القوانين؛ لتبرير ذلك، وفي ذلك مصادمة للنصوص القطعية، ومنازعة لله تعالى في ملكه، وفي حكمه

فهو ﷻ وحده الحاكم؛ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فالإنسان مع أنَّ الله تعالى أعطاه العقل إلَّا أنَّه لم يأمره بالاحتكام إلى العقل؛ فالحاكم الشرع لا العقل.

**فحاكم الشرع قضى بما جرى لا العقل يا ذا فاتركن عنك المرا**

والعقل مع عِظَمِ نعمته مِنَ الله تعالى على الإنسان إلَّا أنَّه لا يستقل بالتشريع، وإنما يُحَسِّنُ ويُقَبِّحُ وفقًا للحكم الشرعي، إلَّا فيما أُذِنَ للإنسان فيه من بعض الأمور التي ينطلق فيها مستصحبًا القواعد الشرعية التي أنزلها الله ﷻ، وفيما أُذِنَ له فيه بالاجتهاد على ضوء تلك القواعد عند مَنْ آتاه الله تعالى مَلَكَةً اجتهادية؛ فهناك يُبَاحُ له ذلك بقدر، وهو بفعل هذا إنما يكون كاشفًا لحكمه الشرعي، لا مُنْشِئٌ لحكمٍ كما نَبَّهَ على ذلك أهل العلم؛ فإنَّ الذين يضعون تشريعات من تلقاء أنفسهم مخالِفَةً، صريحةً، دون تأويلٍ لحكمٍ قطعي أنزله الله تعالى في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فإنَّهم يضعون أنفسهم في خطر عظيم.

وموضوع العِلْمانيَّة يحتاج إلى كلامٍ طويلٍ، وعسى الله تعالى أنْ يُيَسِّرَ لنا فرصة للحديث عنه؛ وذلك حتى لا يقع الناس في هذا الخطر العظيم.

## المظهرُ الثالثُ: الحَركاتُ القوميَّةُ:

فهذه الحركات القومية تلتقي مع الإلحاد والعياذ بالله تعالى؛ لأنَّها تنتمي إلى جنسٍ مُعَيَّنٍ من الناس، وتعتبر ذلك الجنس هو قطب الرحى الذي تدور عليه، وتعتبره أساسَ التحسين والتقبيح؛ فمَنْ لم يكن من ذلك الجنس فكأنما يكون غريبًا، وربما يُعْتَبَرُ عدوًّا، ولا يكون له شيءٌ من الحقوق؛ لأنَّه لا يحمل وثيقة معينة يُعْتَرَفُ له فيها بذلك.

وحملُ تلك الوثيقة التي تدل على الانتماء إلى قوميَّةٍ معينةٍ إنما يعتمد في الغالب على قطعةٍ من الأرض، أو يعتمد على جنس مُعَيَّنٍ من البشر، ومَنْ لم لا يحمل تلك الوثيقة فإنَّه لا يُعْتَرَفُ له بشيء، وهذا خطير؛ لأنَّه يعود إلى ما عُرِفَ بالجاهلية، وإنما سُمِّيَ أهل تلك الفترة بأنهم يتَّبِعُون الجاهلية؛ لأجل انتمائهم القبلي، ولأجل حَمِيَّتِهم؛ فهم كانوا يتعصبون لآرائهم، أو آراء آبائهم وأجدادهم، ولو لم يكن أولئك الآباء على حق، ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقد أنكر الله تعالى هذا الحكم؛ فقال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وذلك اتباعٌ للهوى، وفيه منازعةٌ لله ﷻ في حكمه، وفيه عدمُ اعترافٍ بالأحكام القطعية التي أنزلها الله ﷻ في كتابه، أو على لسان

رسوله ﷺ؛ ومنها قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ وإنما يُقَسَّمُ الناس إلى الأقسام المعروفة في الشرع:

**وفرزه في ثلاث مؤمن ومنا فق وصاحب شرك جاحد عُزِلا**

فهذه نظرة المؤمن، النظرة الإيمانية للناس، بحيث يحسبهم على هذا النحو؛ فلا عبرة بنسبٍ، ولا عبرة بمالٍ، ولا عبرة بلسانٍ، ولا عبرة بجنسٍ، ولا عبرة بمصلحةٍ، وإنما العبرة بالإيمان والعمل الصالح، فَمَنِ اعتنق عقيدة الحق، وعمل الصالحات فهو أخٌ ولو كان أبعد الناس نسبًا، ولو اختلف في اللون، ولو تَبَايَنَ في اللسان، ولو بَعُدَ في السكنى والأرض، فأساس الأخوة إنما هو الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح، ويبتعد عن المؤمن كلُّ مَنْ أخلَّ بالإيمان، أو بالعمل الصالح، أو بكليهما، فيُنْزَلُ منزلته: هل هو مشرك أو منافق؟!

فهذا هو دين الله تعالى؛ وهو جَعْلُ النَّاسِ أمةً واحدةً إن كانوا على هذا النحو، فجاء مفهوم الأمَّة ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وجاء في أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تقرير هذا الأمر؛ حين قال: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ**

اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

فبعض هذه الحركات ـ إن لم نقل أغلبها ـ إنما تنطلق من هذا الفكر الأرضي، ولا ترتقي بالإنسان إلى الروح؛ وهي أكرم خصائص الإنسان، وإنما تتغذَّى الروح بالإيمان، وبالعقيدة، وهؤلاء يَرْجِعُونَ بالنفس، وبالإنسان إلى الأرض، فيجتمعون على أساس التراب، وعلى أساس السياج، وعلى أساس الدم، أو على غير ذلك من المصالح البشرية المعروفة.

وطالما ـ حسبما ظهر في التأريخ ـ كانت هذه الحركات موافقة للملاحدة في أفكارهم؛ وذلك بتعطيل الدِّينِ، وجعله لا قيمة له، وأنَّ الدِّينَ إنما هو علاقةٌ بين العبد وربه، وأنَّ الوطن يتَّسِعُ للجميع؛ فكأنهم يجعلون الدِّينَ غيرَ واسعٍ للجميع، ويُهَمِّشُون الدِّينَ، وربما يُعَظِّمُون بعض الكفرة من أعداء الله ﷻ؛ فيؤدِّي بهم الأمر إلى أن لا يبالوا بأنْ يُوَلُّوا عليهم مَنْ كان كافرًا، مع أنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، وربما وَالَوْا أعداء الله ﷻ من الأمم أخرى؛ بسبب رفعهم للشعار نفسه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم، باب: لا يَظْلِمُ المسلمُ المسلمَ ولا يُسْلِمُه، رقم: ٢٤٤٢.

وطالما جَرَّتْ مثل هذه الحركات الأممَ والبلدانَ والشعوبَ إلى حروبٍ لا طائل تحتها؛ لأنَّها تقوم على أساس عنصري والعياذ بالله تعالى، فظهرت بعض الحركات فيما يُسمَّى بالشيفونيَّة، التي ترى نفسها أفضل من غيرها؛ بناء على نظرية داروين؛ كالحركة الفاشية لموسوليني في إيطاليا، والحركة العنصرية النازية الأخرى المعروفة في ألمانيا لأدولف هتلر.

وهكذا ظهرت أعراقٌ تتصارع فيما بينها، وكلٌّ يرى نفسه أفضل من غيره.

وللأسف الشديد ظهر هذا بين جملةٍ من الشعوب الإسلامية التي جمعها الله على الإسلام، فتقاتلت فيما بينها على هذا الأساس العنصري، مع أنَّ الله تعالى أنعم عليها بما يجمع شملها، ويُؤَلِّفُ المختلف بينها، وامتنَّ عليها بذلك؛ فقال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحذَّر المولى ﷻ من هذا التَّفَرُّقِ؛ ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وللأسف الشديد يأبى بعض الناس إلَّا أنْ يتَّبِعَ الأعداء؛ فتمزقت الأمة، وأصبح يُحَارِبُ مفهوم الأمة، وينسبه إلى بعض الجماعات الإسلامية، وكأنَّ هذا أمرٌ مُحْتَقَرٌ، ويُصَوِّر أنَّ هذا يؤدِّي إلى نزع الخصوصية عن بعض الشعوب.

وليس الأمر كذلك؛ فالإسلام مع اعترافه، ودعوته إلى فكر الأمة، وجمع الشمل ـ ويريد من ذلك تقوية هذه الأمة، ومحافظتها على مبادئها، وأهدافها، ومقدساتها، وجعلها قوية بين الأمم الأخرى ـ إلَّا أنَّه يعترف بخصوصية الناس، وبخصوصية الأفراد، وبخصوصية الجماعات؛ فالله تعالى يقول: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات: ١٣]، فَأَثْبَتَ هذا الانتساب إلى الشعوب، وإلى القبائل؛ لأجل التعارف، لا أنْ يكون محور التحسين والتقبيح بين الناس، أو أساس الاتصال والانفصال، فهذا مما لا يمكن.

ولذلك ينبغي أنْ يُنْتَبَهَ لمثل هذا الأمر، وأنْ يُحْذَرَ منه؛ لأنَّهُ في النهاية سيقود إلى الإلحاد عاجلًا أم آجلًا؛ لأنَّ ابتداءه إنما يكون بعدم الاعتراف ببعض الحقائق الدِّينيَّة، وفي ذلك منازعةٌ لله تعالى في ملكه، ومُضادةٌ له، وبعد ذلك يؤدِّي إلى التهميش، ونسأل الله العافية.

**المظهرُ الرابعُ: حركةُ تحريرِ المرأةِ، أو ما يُعْرَفُ بالنسوية العالمية:**

وهي عبارة عن حركة ظهرت أخيرًا، وربما ذلك في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، وقويتْ في القرن العشرين الميلادي، ومع القرن الخامس عشر الهجري.

وبعضهم: يجعل ابتداءها في أوروبا، وبعضهم: يجعل ابتداءها في أمريكا.

وحركة تحرير المرأة حركةٌ عِلْمانِيةٌ غربيةٌ، تهدف إلى تحرير المرأة من الدِّينِ، والقِيَمِ، والأخلاق، رافعةً شعار المطالبة بحقوق المرأة، ومنطلقةً من النظر إلى المرأة على أنَّها مهضومة مظلومة، وأنَّ الرجل هو الذي ظَلَمَهَا، حتى أنَّ كثيرًا من النساء اللائي يلتحقن بهذه الحركة يُعَادِينَ الرجل، ويعتبرن الرجلَ عدوًّا، ويَسْعَيْنَ للنيل منه، ويصل بهن الأمر إلى أنْ يُطَالِبْنَ بحقوقٍ تعاكس فطرهن، ولا يرتضين شيئًا، وينطلقن من مبدأ المساواة التَّامة بين الرجل والمرأة، مع مخالفة ذلك للنواحي الفطرية، والنواحي البيولوجية، والنواحي النفسية، فضلًا عن أحكام دين الله ﷻ.

ودِيَنُ الله تعالى هو أوَّلُ مَنْ كَرَّمَ المرأة، وذلك منذ أنْ بَعَثَ الله تعالى الأنبياء والرسل عليهم السلام، من لدن آدم عليه السلام إلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ، وظهر هذا التكريم بوضوحٍ، وبصورةٍ شاملةٍ في بعثة سيدنا محمد ﷺ، التي مَثَّلَتِ الإسلام كلَّه؛ بعقيدته، وتشريعاته، وقِيَمِهِ، إلى غير ذلك.

والله تعالى قد كَرَّمَ المرأة في كتابه، ومظاهر هذا التكريم كثيرةٌ، وطَبَّقَ هذا التكريم الرسول محمد ﷺ، والحديث عن ذلك يطول.

وما جعله الله تعالى من تشريعاتٍ للمرأة ـ أي: التي تخص المرأة ـ إنما ذلك من تكريم المرأة أيضًا؛ ولأجل المحافظة على نفس المرأة، وعِرْضِها، ومالها، وعقلها، ونسلها، ودينها، وكل ما يتصل بها، عَلِمَ ذلك من علم، وَجَهِلَ ذلك مَنْ جهل. وهكذا الشَّأنُ في الرجل؛ فالله ﷻ إنما أَنْزَلَ الدِّينَ رحمةً للعباد؛ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والذين قاموا بهذه الحركة ـ حركة تحرير المرأة ـ في البلاد الغربية، قد يُتَفَهَّمُ ـ نوعًا ما ـ ما قاموا به؛ وذلك نتيجة الظلم، والاضطهاد الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والفكري، الذي مُورس ضد المرأة في أوروبا، وفي شعوب مختلفة من العالم؛ لأنَّ تلك الشعوب ما كانت تعتقد الدِّينَ الحق، وما وَصَلَ إليها مِنَ الدِّينَ كان قد حُرِّفَ، واستُعْمِلَ لتكريس هذا الظلم.

فنالت المرأة المظالم الكثيرة، وكانت أشد معاناة من الرجل؛ لأنَّها الجنس الأضعف ـ حسب تقسيم هذه الحياة ـ؛ فكانت تُقْتَلُ في الحروب دون جريرة، وكانت تُسْتَرَقُّ دون أنْ تشارك في الحروب، وتُغْتَصَبُ، وتُنْتَهَكُ كرامتها، ولا يُعْتَرَفُ بإنسانيتها، فضلًا عن عدم تَمَلُّكِهَا لشيءٍ، وتصرفها فيه، وكان الرجل يرثها كما يرث المتاع!!

وبقي هذا إلى وقتٍ متأخرٍ في أوروبا، وإلى بدايات القرن العشرين الميلادي، كما حدث في فرنسا، وفي غيرها، فربما كان

لبعض الناس في المجتمع ـ نساء ورجالًا ـ أنْ يثوروا ضد هذا الفكر، ولكن لا عُذْرَ لهم أبدًا، وخاصة ممَّنْ ينتمى إلى الإسلام أنْ يعادي دين الإسلام؛ فإنَّ دين الله تعالى يعترف بالمرأة إنسانًا منذ أول يومٍ نَزَلَ فيه، وكان أَوَّلُ مَنْ آمن بالنبي ﷺ امرأةٌ، وهي خديجة الكبرى رضي الله عنها، وهي التي بذلتْ من وقتها، وجهدها، ومالها، وكل ما تستطيع؛ لأجل نُصْرَةِ هذا الدِّينِ.

كما أَقَرَّ لها النبي ﷺ بذلك، ونزل جبريل في الحديث مُبَشِّرًا إيَّاها بالجنة، ومُبَلِّغًا لها السلام من الله ﷻ، فأيُّ بشارةٍ تنتظر المرأة إنْ كانتْ على هذا النحو من التكريم.

وربما تفوق المرأة آلاف، أو الملايين من الرجال، وهذا واضح في كتاب الله تعالى؛ فقد خَلَّدَ الله ذكرها، وذكر مريم عليها السلام، ونزلت عليها الملائكة مخابطة إيَّاها: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]، والكلام عن ذلك يطول.

فسبحان الله!!

كيف تقوم بعض النساء المسلمات بالانضواء تحت لواء حركة تحرير المرأة؟!

فقد يعود ذلك إلى جهلهن بحقيقة الإسلام، وقد يعود ذلك إلى جهلن بحقيقة هذه الحركات التي تستهويهن شعاراتها؛

وذلك حين يَرَيْنَ أنَّ من جملة هذه الشعارات المطالبة بحقوق المرأة، والمطالبة بتمكين المرأة، وما هو إلا شَرَكٌ؛ لأجل الوصول إلى الطعم، ثم بعد ذلك يقعن في المصيدة؛ فكم من نساء غُرِّرَ بهن ففقدن عفتهن، وبعد سنين اكتشفن الأمر.

وإنما يُرَادُ من هذه الحركات نزع عفة المرأة، ونزع إيمانها، وجعلها ألعوبة بيد الرجل؛ حتى يحقق منها بغيته في الشهوات، وإلَّا فما نالت المرأة إلى الآن في أوروبا شيئًا.

فإنْ كان في الجانب السياسي، كم عدد النساء في البرلمان الأوروبي، وفي برلمان كل دولة على حدة كما يقال؟! في بريطانيا، وفي فرنسا.

وإلى الآن كثيرٌ من هذه الدول قد لا يصل تمكين المرأة فيها إلى ١٠٪ من الأعضاء؛ فأكثرهم من الرجال، وكذا في الحكومات أيضًا في المناصب القيادية؛ مع أن المرأة أُعْطِيَتْ حرية مطلقة هناك، ولكن السلطة في أغلبها للرجال، مع أنَّ عدد النساء قد يصل إلى النصف من حيث عدد السكان، وممَّنْ لهم حق التصويت، وقد يفوق عدد النساء في بعض الدول عدد الرجال، وربما يتساوون، ولكن التمثيل الانتخابي لا يكافئ هذا.

وقد يعود هذا إلى أسباب كثيرة، ومن جملة ذلك: عدم ثقة المرأة بالمرأة نفسها؛ فلا تعطيها صوتها، وإلَّا فكيف يفسر عدم

وصول حركات تحرير المرأة إلى أهدافهن؟! مع أنَّ هذه الحركات قامتْ منذ أكثر من ١٠٠ مائة عام، وأُعْطِيَتِ المجال؛ لتحقيق ذلك، وتُدْعَمُ ماليًا، وربما تُؤَيَّدُ من قبل بعض الحركات الماسونية والصهيونية العالمية، كما أنها تستعين بالميثاق العالمي لحقوق الإنسان، الذي أبرمته الأمم المتحدة ١٩٤٧م.

فمع كل ذلك، ومع تطرف هذه الحركات إلَّا أنَّها لم تنجح، وما تحقق إنَّما يؤدِّي إلى اضطهاد المرأة أصلًا، فكم عدد الجرائم التي تُرْتَكَبُ ضد المرأة في أوروبا؟! وفي أمريكا؟! فإنَّ الجرائم هناك بالثواني؛ في قتل المرأة، واغتصابها، والتَّحرش بها، وظلمها في حقوقها.

ولا زالت إلى الآن ـ وذلك ببيانات رسمية ـ المرأة لا تُعْطَى نفس أجرة الرجل في الوظيفة التي تقوم بها، مع أنَّها تقوم بنفس الاختصاصات، والأعمال الوظيفية، ولا زال هذا التمييز في أمريكا، وفي طائفة من البلدان الأوربية، ولا زالت الحركات النسوية هناك تعاني من عدم الإنصاف، فضلًا عن الجرائم التي ذكرتُهَا.

فما الذي أدَّت إليه هذه الحركات؛ من دعوة المرأة إلى التبرج، ومنازعة المرأة في كلِّ مكان، ومحاولة الظهور بمظهر الرجل، إنما هذه إهانة للمرأة؛ لأنَّ المنطلق هو المساواة المطلقة للرجل، فأصبحت هاتيك النساء يتأففن من نون النسوة، ولا يُرِدْنَ

الضمير «هي» أو «she»، وإنما يُـرِدْنَ الضمير المذكر، إذ تَخَلَّيْنَ عن أنوثتهـن، ولا يَعْتَدِدْنَ بها، وكأنَّهُنَّ يَغَـرْنَ من الرجل، حتى كأنهن يشجعن على السحاق والعياذ بالله.

مع أنَّ طبيعة المرأة لا تقبل ذلك؛ لأنَّ طبيعة الرجل الجسدية تختلف عن المرأة، فإلى أين تذهبون؟!

فواأسـفاه على بعض النسـاء في بعـض البلـدان العربية والإسـلامية حين يغترون بمثل هـذه الحـركات، وربما يلبس بعضهن الحجاب، ولا يخلعنه، ولكن الإيمان من الداخل منعدم أو ضعيف؛ لأنَّهن يقعن في ما يؤدِّي بهن إلى الكفر تارة.

ولا أدَّعِي أنَّ كل مَنْ دخل هذه الحركات هو على هذا النحو، ولكنَّ الكثير منهن إن كن يأخذن بأفكار تحرير المرأة وقعن في ذلك والعياذ بالله، وَقَعْنَ في الإلحاد، شعرن أو لم يشعرن، فإنما العتب على جهلهن والعياذ بالله، أو سـذاجتهن حين بِعْنَ دينهن بهذا الرخص، منهن مَنْ ينكر حكم الله تعالى في إعطاء الابن في الميراث ضعـف أخته؛ كما قـال الله تعالـى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، فيعترضن على هذا.

ومنهن مَنْ يَدْعُون إلى إنكار الحجاب مطلقًا!!

ومنهن مَنْ تدعو إلى إباحة الزنا، والشذوذ الجنسي؛ بدعوى الحرية!!

ومنهن مَنْ يعترض على حكم الله تعالى في مجالات أخرى تتصل بالمرأة!!

فأيُّ إيمانٍ يبقى لأحد وهو على هذا النحو؛ والله تعالى يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، ويقول: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١]، ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فهل هذا إلَّا اتباعٌ للشيطان، وهل هذا إلَّا انقيادٌ للهوى، كما قال الله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠]، ولذلك؛ لأجل علاج هذا الأمر لا بد من القيام بجهدٍ عظيم.

**المظهرُ الخامسُ: الحداثةُ والتجديدُ:**

وقد ظهر هذا منذ فترة في أوروبا؛ لأنَّه عُرِفَ بأنَّه عصر التنوير والحداثة، وذلك في القرن الثامن والتاسع عشر الميلادي، وظهر في البلاد العربية والإسلامية في القرن العشرين، وانتمى إليه طائفةٌ من الأدباء؛ لأنَّهم أخذوا يقرأون للأدباء الغربيين.

وهؤلاء ـ كما تقدَّم ـ يستعملون الأدب؛ لنشر فكرهم، ويقولون: الأدب للأدب ـ هكذا في زعمهم ـ، أي: أنَّ المرء يكتب ما يكتب ولو كان في كِتَابَتِهِ التشكيك في الدِّينِ، أو الإقرار بعدم ألوهية الحق ﷻ، أو كان في كتابته ما يدعو للسخرية بأنبياء الله تعالى ورسله، أو في كتابته ما يدعو إلى التشجيع على الفساد، والرذيلة، والعلاقات الجنسية المحرَّمة، أو غير ذلك مما ينافي أحكام الله ﷻ.

وحين يُنْكَرُ عليهم يقولون: الأدب للأدب، وهذا يجب أنْ نتعامل معه على أنَّهُ نَصٌّ أدبي.

وبلغ ببعضهم الوقاحة: أنْ يتعاملوا مع القرآن بهذا الفكر، وعلى هذا المعيار؛ فيسمح أحدهم لنفسه أنْ يأخذ آيةً من القرآن، أو سورةً؛ لينتقدها بلاغيًا، أو نحويًا، أو فكريًا، ويعتبر القرآن نصًا أدبيًا تأريخيًا، محصورًا في عهد النبي ﷺ، ثم بعد ذلك لا يصلح لمخاطبة البشر في القرون التالية، وخاصة في هذا العصر؛ فَيَرُدُّونَ من الأحكام ما شاءوا، ويُكَذِّبُون من الأخبار القرآنية ما شاءوا.

أفليس هذا نوعًا من الكفر؟!

أفليس هذا نوعًا من الزندقة حين يتعاملون مع كتاب الله تعالى على هذا النحو؟!

وهو النور الذي أنزله الله تعالى، وهو الحق الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

ويتعاملون بهذا النحو أيضًا مع أحاديث النبي ﷺ؛ فلا يَتَحَرَّجُون من انتقاد حديثٍ عن النبي ﷺ؛ سواء كان قولًا، أو فعلًا، أو تقريرًا، وسواء كان متواترًا، أو آحادًا، ويعتبرون النبي ﷺ قائدًا سياسيًا، وأنَّ ما صدر عنه إنما هو كان لمعالجة الوضع الآنِيِّ، والمرحلةِ التي كان فيها، وأنَّه لا يَتَّخِذُ صفة النبوة، أو التشريع، وأنَّه قال ذلك اجتهادًا من نفسه، وأنَّ للإنسان في هذا العصر ـ وقد تَقَدَّمَ في العلم والمصالح ـ أنْ يُشَرِّعَ لنفسه، وأنْ يَرُدَّ على النبي ﷺ، أو أنْ يُخَطِّئَهُ، أو يعتبره غير قدوةٍ له.

فهل هذا إلَّا تكذيبٌ بآيات الله التي أمر الله تعالى فيها بالأخذ بكلامه، وكلام رسوله ﷺ، والاحتكام إليهما؟!

وماذا بقي مِنَ الدِّينِ إنْ لم يكن هذا تكذيبًا للدِّينِ، وطعنًا فيه، وانتهاكًا للمقدسات، وتجاوزًا للحدود تحت أيِّ شعار؟!

وكيف يَدَّعُون هذا الأمر: بأنَّ الأدب للأدب؟! وهم يقصدون بأدبهم الذي ينشرونه ـ نثرًا أو شعرًا، تحت ما يُسَمَّى بالشعر الحداثي، وتارة بالتفعيلي، أو خارجًا عن بحور الخليل بن أحمد ـ نشر أفكارهم، ونشر الإلحاد.

فهم يقومون بما يُنَاقِضُ فكرهم، ولكن يُحِلُّونَهُ عامًا، ويُحَرِّمُونه عامًا، أو كما قال القائل:

**أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس**

وما ذلك إلَّا تهربٌ من المسؤولية، وواقعهم يشهد بذلك؛ فإنَّ كثيرًا من هؤلاء واقعون في الانحلال الخُلُقِيِّ، وأصبحوا يعاقرون الخمر، أو يقعون في الرذيلة مع النساء دون زواج.

طبعا؛ أقول: الغالب، أو طائفة منهم على الأقل؛ حتى لا أحاسب على ذلك.

ولكنَّ هذا ما يؤدِّي إليه فكرهم؛ لأنَّهم يُشَجِّعُون على الرذيلة، ولا يُقَدِّسُونَ ولا يُعَظِّمُون ما عَظَّمَهُ الله، ولا يُحَقِّرُون ما حَقَّرَهُ الله؛ بل ربما يرفعون شأن بعض الكُتَّابِ، وربما أُعْطِيَ بعضهم جائزة نوبل للأدب؛ كما فعلوا مع نجيب محفوظ، أو مع غيره؛ لأنَّه قام بانتقاد الدِّينِ، أو قام بتجاوز حدود الله ﷻ في روايته **أولاد حارتنا**، أو غير ذلك.

فهنا ينبغي، بل يجب أنْ تُدْرَكَ خطورة هذا الموضوع، وهؤلاء يتحرَّكُون في الجامعات، والكليَّات المختلفة تحت أسماء برَّاقة، وشعارات برَّاقة، وهناك يحتويهم أرباب هذا الفكر، فيأخذون الشباب من الشعراء الناشئين، والكُتَّابِ، والقُصَّاص؛ ليغرسوا فيهم، وليُلَوِّثُوا فكرهم بهذه الأفكار، فسرعان ما يتأثَّرون

بهم، وينقلبون في توجهاتهم؛ فبعد أنْ كان يقول أحدهم: السلام عليكم ورحمة الله، إذا به يقول للجمهور: عمتم مساء يا قوم، فيستعملون تحية الجاهلية.

وربما يأتي بأبياتٍ يُدَلِّلُ بها على أنَّهُ انقلب إلى هذا النوع من الفكر، ويرمز إلى أنَّ ذلك من المدنيَّة والتَّطور، كما أنَّهم ينفخون في هؤلاء الشباب التَّمردَ، والغرورَ.

والعجيب أنَّه في بلادنا العربية والإسلامية يتأخَّرون حتى في هذا؛ لأنَّهم متأخِّرُون في كثير من الأمور في النواحي العِلمية؛ فهذه العِلْمَانِيَّةُ لم تصنع شيئًا إلى الآن، مع أنَّ هناك مَنْ تمسَّك بها، وحاول أنْ يفرضها على الشعوب الإسلامية، ويُبْعِدَهَا عن دينها، ولكنها لم تتقدَّم في شيء من المنجزات، وحتى في هذا الأدب أيضًا، مع أنَّ هؤلاء يَدَّعُون التَّقدُّم الفكري، فالعالم الغربي وصل إلى ما بعد الحداثة، وهؤلاء لا زالوا يتسكَّعُون في مثل هذه المستنقعات، نسأل الله العافية.

**المظهرُ السادسُ: العقلانيَّةُ:**

وهذا مرضٌ خطيرٌ جدًّا أيضًا، وإنْ كان الاسم برَّاقًا باستعمال العقل، وحاول سَدَنَتُهُ ممَّن كانوا على الإسلام أنْ يُبَرْهِنُوا لمكانة العقل بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، لكنهم سرعان ما انكشف عُوَرُاهُمْ بعد ذلك؛

حين أصبحوا يُقَدِّسُون هذا العقل، أو يكادون يُؤَلِّهُونَهُ من دون الله تعالى، ويحتكمون إليه، ويُعَارِضُون به حُكمَ الله ﷻ وحُكمَ رسوله ﷺ، وينتقدون النصوص القطعية.

وربما يصل ببعضهم الأمر إلى أنْ يُنْكِرَ حُجيَّة السُّنَّة، أو يتلوَّى: بأنَّهُ لا يعترف بحجيَّة السُّنَّة إلَّا إذا كانت سُنَّةً مُتَّبَعَةً، ولا تدري بِمَ يعنيه من ذلكم الكلام، وإنما ليَرُدَّ منها ما شاء، وَليَأْخُذَ منها ما شاء.

وربما يَتَجَرَّأُ بعضهم فيُنْكِرُ السُّنَّةَ، ويدَّعِي أنَّه قرآني، وهو أبعدُ ما يكون عن القرآن؛ لأنَّ القرآن أبعدُ عنه، والقرآن فيه إثبات نبوة محمد ﷺ، ووجوب اتِّباعه، وحجية سُنَّتِه.

فهؤلاء الذين يرفعون شعار العقلانيَّة وصل بهم الأمر إلى أنْ يرتضوا لأنفسهم أنْ يكونوا في خندقٍ واحدٍ مع الملاحدة، وأنْ يُدَافِعُوا عنهم، ولربما طارتْ عقولُ بعضهم: أنِ انتُقِدَ أحدُ الملاحدة حين تُوفِّيَ قريبًا، ولم يُتَرَحَّمْ عليه، فثار غيضهم، وأصبحوا يُثْنُون على ذلك الملحد الذي يُعْلِنُ إلحاده، ويترحَّمُون عليه، ويستنكرون على مَنِ انتقده.

وربما يعيبون على بعض المسلمين؛ لأنهم لم يكونوا في رجاحة عقله كما يقولون، وأيُّ عقلٍ بقي لديه، وهو لم ينفع نفسه بالإيمان بالله تعالى؛ ليصونها من غضب الله تعالى، وليُنَوِّرَها بنور

الإيمان، وليُزَوِّرَهَا بروح اليقين، ولم يستعمل عقله في منع نفسه من الوقوع في غضب الله في الآخرة، ولم يهتد إلى أعظم حقيقة في الوجود، وهو وجود الله تعالى.

فأمثال هؤلاء وإنْ فعلوا ما فعلوا للبشرية من الخير في بعض مكتشفاتهم، لكنَّهُم أساءوا إلى أنفسهم، وأساءوا إلى غيرهم؛ لأنَّهم كانوا قدوةً في الباطل، وكابروا الحقيقة.

ويرتضي بعض هؤلاء العقلانيين أنْ ينتصر للشيطان، ويُبَرِّيَ ساحته من المسؤولية عن المعاصي، والجرائم التي تقع للناس، مع أنَّ الله تعالى حَذَّرَ من اتِّباع الشيطان، ومن اتِّباع خطواته، وحَمَّلَ الشيطان مسؤوليةً من ذلك، كما أنَّه في الوقت نفسه يُحَمِّلُ العاصي من الناس، ومن الجن أيضًا المسؤولية عن فعله؛ لأنَّه فَعَلَهُ عن إرادة، لكن الشيطان مسؤولٌ عن ذلك أيضًا، وهذا بنصوص صريحة؛ كما ذكر شيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ذلك في الحقيقة الدامغة.

إلَّا أنَّ هؤلاء يبرئون الشيطان من الوسوسة، وأنَّه ليس له من الأمر شيء، وأنَّ المسؤولية كاملة تقع على عاتق الانسان، فسبحان الله العظيم!!

فضلًا عن أمور أخرى يذكرونها في هذا المجال؛ حين يزعم أحدهم: بأنَّ الصالح الآن في هذا العصر هي الدَّوْلَة المدنيَّة، التي

لا دخل للدِّينِ في الحكم فيها، وأنَّ الأحكام المدَنِيَّة التي يأتي بها البشر بأنفسهم من تلقاء أنفسهم هي المناسبة للواقع، وأنَّها هي التي تصلح لِجَمْعِ النَّاس؛ لأنَّ الدِّينَ يُفَرِّقُهم كما يقولون، سبحان الله العظيم!!

مع أنَّ هذا مخالفٌ لنصوصٍ صريحةٍ؛ كما تقدَّم ذكره، إلى غير ذلك من الأمور التي يذكرونها.

ونحن لا نحارب العقل؛ بل نقول: إنَّ العقل مناط التكليف، ومَنْ فَقَدَ العقل فَقَدْ سقط عنه التكليف؛ كما قال العلماء: «إذا أخذ الله ما وهب أسقط ما أوجب»، فالمجنون غير مكلف بالنَّص والإجماع عندنا.

والعقل له مجالاته، ويجب استخدامه في أشياء كثيرة، ولكنه محدود؛ فهو يُسْتَعْمَلُ في البحث، والتنقيب، وفي إصلاح العالم، وفي فهم النصوص الشرعية، وفي الاجتهاد بضوابطه الشرعية، كما أنَّ له مجالات أخرى كثيرة.

إلَّا أنَّ العقل لا يقف في مواجهة النص الشرعي القطعي في ثبوته، القطعي في دلالاته؛ فعلى العقل أنْ يُسَلِّمَ لذلك تسليمًا، وإنما له مجال أيضًا في تطبيق هذا النص في الواقع.

فهو له مجال في ذلك، لكن هل في دلالة النص؟ كلَّا؛ ليس له ذلك، وإنما عليه أنْ يُسَلِّمَ، وعليه أنْ يتَّهِم نفسه إنْ بدر فيه

شيء من المصالح يخالف ذلك النص، فحيثما كان النص كانت المصلحة؛ لأنَّ الله ﷻ إنما يأمر بمصالح العباد، وينهى عن مضار العباد، عَلِمَ ذلك مَنْ عَلِم، وجَهِلَ ذلك مَنْ جَهِل.

فهذه هي مكانة العقل، ونحن لا ندعو لتجميد العقل، ولكن بعض الناس للأسف الشديد لم يفهم مكانة العقل في الإسلام، ولا زال يجادل في هذ الأمر.

وربما كان ذلك بسبب انتشار الجمود في القرن الثامن عشر الميلادي، والتاسع عشر الميلادي، والقرن العشرين الميلادي أيضًا، وهو ما كان في القرن الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر للهجرة، خاصة الثالث عشر، والرابع عشر الهجريين في بعض البلدان الإسلامية، وأكثره بسبب استعمار، أو احتلال البلاد الغربية لبلاد الإسلام، ونهبهم لثرواتها، وبسبب نظرة بعض المسلمين إلى الغرب نظرة إكبار وإجلال؛ لما وصلوا إليه مِنْ تَقَدُّمٍ ومَدَنِيَّةٍ في مجال الإدارة، والعمران، والبحث العلمي، والرفاهية؛ ممَّا أدَّى ذلك إلى اغترار بعض المسلمين بهذا الفكر الغربي، وعاد ذلك إلى العقل.

ومعلومٌ أنَّ الحملة التي أرسلها محمد علي باشا إلى فرنسا للدراسة سنة ١٨٢٦م تحت قيادة رفاعة الطهطاوي كانت نتيجة الحملة الفرنسية على مصر، حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨م،

والتي أدَّتْ إلى تأثر محمد علي باشا بها؛ وذلك حين رأى المدَنِيَّة، ولباس الجيش، والسلاح الذي يمتلكه، والمراكب الحربية الفخمة التي أتى بها.

فضلًا عن بعض الهدايا التي أتى بها نابليون؛ فتأثَّر بها، وعزم على بعث طائفةٍ من الطلبة المصريين إلى أوروبا؛ للدراسة بفرنسا، خاصة الدراسة في جامعة السوربون، فاقترح عليه أحد مشايخ الأزهر، وهو الشيخ حسن العطار أنْ يُوفِدَ مع هؤلاء الطلبة إمامًا يؤمُّهم في الصلاة، ويكون مُشْرِفًا عليهم، فاقتنع بفكرته الشيخ محمد علي باشا، وترك الأمر إليه في اختيار شخصية مناسبة للمهمة؛ فاختار الشيخ رفاعة الطهطاوي.

وكان من خريجي الأزهر، ويُذْكَرُ أنَّه كان حافظًا للقرآن، وكان ذكيًا، فأرسله معهم، فكان يصلي بهم، ويراقب شؤونهم ولكنه لما وصل هنالك، والتقى ببعض المستشرقين، رأى أنَّه من الأنفع له أن يلتحق بالدراسة أيضًا، وأنْ يستفيد من وقته، فيُقَالُ: أنه بعث برسالة إلى محمد على باشا يستأذنه في الالتحاق بالدراسة، فأَذِنَ له، فبدأ بدراسة الحقوق، والقانون الفرنسي، والأدب، والتأريخ بعد أن أتقن اللغة الفرنسية، وأخذ يناقش المستشرقين هناك.

وبعد نحو خمس سنوات، أي: سنة ١٨٣١م رجع إلى مصر، وقد تغيَّر فكره؛ فبدل ما كان يُدْعَى باسم الشيخ رفاعه أصبح

ميسو رفاعة، وَخَلَعَ العمامة، ولبس اللباس الغربي، وَكَتَبَ مُذكِّراتٍ يتحدَّث فيها عن حياته في أوروبا؛ فيما عُرِفَ بـ **تخليص الإبريز في تلخيص باريز**.

وذكر هنالك إعجابه بالثقافة الغربية، وبالحياة الاجتماعية والمدنيَّة، وبدأتْ التسريبات لبعض أفكاره في هذه المذَكِّرَاتِ، وإن لم تكن صريحة؛ فذكر الرقص، والغناء، وأنَّه لا حرج في ذلك، وأنَّ المرأة الأوروبية الغربية، والفرنسية بشكل خاص قد تكون كاشفة لرأسها، وتختلط بالرجال، وتتراقص مع الرجال الأجانب، ولكنها مع ذلك تحافظ على عفتها، ما شاء الله!! فبدأ يَنْشُرُ هذه الأفكار على هذا النحو، ثم بدأ بعد ذلك أخذ يُصَرِّحُ بما هو أكثر.

وأخطرُ عملٍ قام به هو ترجمة القانون الفرنسي ـ كما قيل: في أحد عشر مقالًا ـ، وأدَّى ذلك إلى تعريب هذا القانون البشري، وبدأ يُطَبَّقُ في مصر، وعُمِّمَ بعد ذلك في البلاد العربية والإسلامية.

وهذا كان في البداية، وفي تلك السنوات، ثمَّ ظهر بعد ذلك بعض الناس ممَّن يُمَجِّدُون الناحية العقليَّة، وينظرون إلى الحياة الغربية نظرة إعجاب، وتأثَّروا قليلًا، ولكن بقدر، إلَّا أنَّه فَتَحَ الباب، ومن ضمن هؤلاء الذين تأثَّرُوا الإمام محمد عبده، صاحب **تفسير المنار**.

وقد ذكر شيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ: أنَّه من العلماء، وأنَّه قَادَ، وأسَّسَ ما يُعْرَفُ بالمدرسة الإصلاحية؛ اتباعًا وتأثُّرًا بشيخه، وأستاذه جمال الدين الأفغاني.

ولكن الفرق بينه وبين هؤلاء الطلبة الذين يتظاهرون بالعقلانيَّة الآن: أنَّ الشيخ محمد عبده كان عَالِمًا، وكانتْ مواقفه مشهودة في خدمة الإسلام، وفي الانتصار للإسلام، وفي عَرْضِ دين الله، وفي تفسير القرآن العظيم، وإن كانت له بعض المواقف التي أُنكرت عليه؛ كما ذكر شيخنا الخليلي: بأنَّ مدرسته الإصلاحيَّة قامتْ بدورٍ كبيرٍ في توعية المسلمين، وفي إصلاح الأوضاع، وفي نقلهم من الجمود إلى الانطلاق، وفي إعادة فتح باب الاجتهاد في كثيرٍ من القطاعات عند بعض المذاهب التي أغلقت ذلك، وإنْ لم يكن مغلقًا عندنا معشر أهل الاستقامة.

ولكن تؤخذ عليه بعض الأمور، ومنها: تأثُّره ببعض الأفكار الغربية بطريقة غير مقبولة، ومنها: تفسيره للملائكة بأنَّها مجرد أرواح، وقد ردَّ عليه شيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ في **برهان الحق**، وفي غيره، ونَبَّهَ على ذلك أيضًا في **جواهر التفسير**.

وكذلك انتقده فيما عُرِفَ بتفسيره الطير الأبابيل بأنَّه مرض الجدري.

وقد استنكر عليه هذا كثيرٌ من العلماء؛ لأنَّه لا دليل عليه، ولعله دُفِعَ إلى ذلك؛ لكي يُقْنِعَ الغرب بهذا الأمر، فأتَى للغربي

أنْ يتقبَّلَ أنَّ طيرًا جاءت ـ كما يقولون ـ من لا مكان؛ لتلقي بحجارة على أناس معينين؛ فالفكر الغربي المادي لا يستقبل مثل هذا، وهذا انسياقٌ، وهزيمةٌ نفسيةٌ، ومُعَارَضَةٌ للدليل غير مقبولة.

وبعض الشباب الآن يتصدَّرُون المشهد، ويكتبون باسم العقلانيّة، وبلغ بهم الأمر بأنْ يجعلوا الأديان كلها في سياق واحد، الإسلام مع غيره، وباسم الانفتاح والحرية يَعْذُرُونَ، أو طائفةٌ منهم تعذر مَنْ لم يؤمن بوجود الله تعالى إذا كان قد اجْتَهَدَ في البحث عن الحقيقة، ولو عَبَدَ البقر، ولو كان بُوذيًا، ويستعملون الشعار الإنساني؛ للاجتماع مع الناس، وفي النهاية يَتَقَوَّلُون على الله بغير علم.

وليتهم تَرَكُوا الدِّينَ، وَتَرَكُوا التَّحدُّث باسم القرآن؛ كما ذكر شيخنا الخليلي؛ لأنَّهم أبعد ما يكونون عن ذلك، فالذي يتكلَّم في آيات الله تعالى، وفي تفسير هذه الآيات، وفي تفسير كلام النبي ﷺ إنما العالم المجتهد، التقي، الورع، الْمُدْرِكُ للواقع، الغيور على الأمة، وليس مَنْ يجمع هذه الصفات، نسأل الله العافية.

**المظهرُ السابعُ: المؤتمراتُ المشبوهةُ:**

وهي عبارةٌ عن دعواتٍ تظهر على شكل مؤتمرات، وتَبُثُّ هذه المؤتمرات أفكارًا معيَّنَةً، ومن هذه المؤتمرات ما يدعو إلى وَحْدَةِ الأديانِ، وهذه دعوة قديمةٌ دعا إليها بعض الناس.

والعجب أن تكون في كلام ابن العربي الصوفي المشهور؛ فعنده هذه الفكرة، وانتُقِدَتْ عليه من طائفة من العلماء، وإن كان بعضهم يحاول أنْ يدافع عنه، وأنَّه لم يقصد ذلك.

وهذا الأمر مخالفٌ للأدلة القطعية من كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ؛ فحينما يجتمع بعض الناس في مجمعٍ، أو في مؤتمرٍ، أو في غرفةٍ، أو تحت أي شعار؛ ليجعلوا الناس على دين واحد حسب ما يريدون؛ فيجتمع عندهم اليهودي، والنصراني، والمسلم، وربما ضَمُّوا إليه البوذي، وتارة الهندوسي، وتارة الملحد أيضًا، ويُسَمُّونَ ذلك وَحْدَةَ الأديان، وتارة يحصرونها في الأديان السماوية؛ فيضمون ويجمعون بين الإسلام واليهودية والنصرانية، وهذا كان شعار الماسونية في فترة من الفترات فيما يُعْرَفُ بالأخوة على هذا النحو، وعلى هذا القدر من المساواة.

وقد اغترَّ بذلك بعض الناس، وهذا أمرٌ خطيرٌ؛ لأنَّه يتضمَّن التنازل عن قواعد الدِّينِ، وعن مبادئه؛ فإنَّ الله ﷻ جعل الدِّينَ الإسلامي هو الدِّينُ الذي يتقبَّلُه دون غيره.

نعم، نحن ندعو إلى وَحْدَةِ الدِّينِ؛ لأنَّ الدِّينَ واحدٌ، وهذا حقٌّ، وهذه دعوة الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ويقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

فالدِّينُ واحدٌ، ولكنَّ هذا الدِّينَ يقوم على توحيد الله تعالى، وعلى الإيمان بجميع أنبياء الله تعالى ورسله، وعلى الإيمان باليوم الآخر، وعلى القِيَمِ والأخلاق الحميدة، وعلى عبادة الله تعالى وطاعته، وعدم الإشراك معه؛ فهذا هو الدِّينُ، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وهذا الدِّينُ هو دِينُ إبراهيم، ودِينُ موسى، ودِينُ عيسى، وهو نفسه دِينُ محمد ﷺ، لَا فرق بينها، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ولذلك سمَّاهم الله تعالى جميعًا المسلمين؛ ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، واعتبر إبراهيم ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وكانت تلك وصية إبراهيم عليه السلام، ووصية يعقوب أيضًا لبنيه، وذلك معروف بالآيات الكثيرة في هذا.

ووصف الله تعالى طائفةً من النبيين بهذا الوصف، وذكر بأنَّ التوراة يحكم بها النبيون الذين أسلموا، والآيات في ذلك كثيرة.

فهذا هو الدِّينُ الحق الذي ندعو إليه، أما أنْ يُؤْتَى مِنَ الإسلام بشيء، ويُؤْتَى مِنَ النصرانية المحرَّفة بشيءٍ، وليست بعد المسيح والموحِّدين، الذين يعتبرونه عبدًا لله تعالى، ورسولًا له

سبحانه، وإنما يأتون بنصرانية مُحَرَّفة لم يدعُ إليها عيسى عليه السلام، ويأتون بالتَّثليث، أو يأتون بأنَّ المسيح هو الله، أو يأتون بأفكار أخرى مخالفة تتعلق بروح القدس، أو بمريم عليها السلام، أو يقولون: عُزَيْرٌ ابن الله، أو يأتون بتلك الأفكار التي فيها انتقاصٌ للأنبياء، وانتقاصٌ لله سبحانه وتعالى فيما يتعلَّقُ بالتشبيه، وغير ذلك مِنْ قِبَلِ اليهود، أو غيرهم، فهذا لا يمكن أنْ يُقْبَلَ؛ فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فلا مساومة في هذا، وما يُدْعَى إليه بهذه الصورة إنما هو دعوة إلى الإلحاد بدِينِ الله تعالى؛ وذلك بإنكار أمور معلومة من الدِّينِ بالضرورة.

وحين لم يستطع الغرب تحقيق هدفهم في وَحْدَةِ الأديان حاولوا فكرة أخرى؛ وهي ما عُرِفَتْ بالتقارب بين الأديان، فنشروا هذه الفكرة، وقالوا: نحن لا نريد وَحْدَةَ الأديان، وإنما نحاول أن نقارب بين الأديان.

فالفكرة الأولى أن يكون هناك دين واحد، يلتحم فيه الجميع، ويَتَخَلَّوْنَ عن الإسلام، والنصرانية، واليهودية، وهذه الفكرة الأخرى تكون بالتقارب.

وقد ينطبق عليها ما ذكرته سابقًا، وهي أقرب إليها؛ وذلك أنْ يكون هناك جزءٌ من دين الإسلام، وجزءٌ من كذا، أي: يتخلَّى المسلمون مثلًا عن فكرة الجهاد، ويتخلَّوْنَ عن فكرة تكفير مَنْ لم يكن مسلمًا، ويتخلَّوْنَ عن فكرة ضرورة الإيمان بالقرآن، ويحصر المسلمون الإسلام في علاقتهم بالله ﷻ، وبين جدران المسجد فقط، ولا دخل للإسلام في واقع الحياة، أي: إنها عِلْمَانِيَّة!! وهكذا يقوم الآخرون بشيء من ذلك التقارب.

ويُردُّ على هذا نفس الفكرة السابقة التي تقدَّمتْ، بل ينطبق عليها ما تقدَّم، وهو باطل أيضًا.

وللأسف الشديد انخدع بعض الناس بذلك، ووقعوا فيه؛ لأنَّهم لم يفهموا بعض الآيات القرآنية؛ كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]؛ فظنوا أنَّ هذه الآية تدعو إلى الاعتراف بهذه الأديان المحرَّفة، وأنَّه لا حرج في تعدد الأديان، وأنَّه لا حرج في تقارب المسلمين وبينها.

فهؤلاء لم يفهموا هذه الآية الكريمة، فهذه الآية لا تدل على مرادهم؛ لأنَّ الآية كما قال بعض أهل العلم: إنما تتحدَّث عن أولئك المؤمنين من أصحاب هذه الرسالات السماوية، في عهود

أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام، فقد كانوا جميعًا مسلمين، وكانوا جميعًا مؤمنين.

فالمسلمون بالنسبة إليهم أيضًا هم إخوة لديهم، وهم مؤمنون أيضًا، وإن أخذوا شعار الذين آمنوا في هذه الأمة، تخصيصًا لهم بينهم بذلك؛ لأنَّه اكتمل لديهم الدِّينُ ببعثة سيدنا محمد ﷺ، وتشريفًا لهم.

لكن أولئك السابقين لا يُكَلَّفُون بالإيمان بالنبي ﷺ عندما لم تقم عليهم الحجة؛ فالإنسان يُكَلَّفُ بما قامت عليه الحجة، وما لم تقم عليه الحجة فهو معذورٌ عنه على هذا النحو ما داموا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

ومَنْ كانوا من أتباع موسى بحق، ومِنْ أتباع عيسى بحق فإنَّهم يُوَحِّدُون الله تعالى، ويؤمنون بنبوة هؤلاء النبيين، ويعملون الصالحات.

فهذه الآية تتحدَّث عن هؤلاء، وليس عن الذين كفروا وحَرَّفُوا الدِّينَ، وقالوا: المسيح ابن الله، وقالوا: إنَّ الله ثالث ثلاثة، وقالوا: إنَّ الله هو المسيح ابن مريم، أو اتَّخذُوا رهبانهم أربابًا من دون الله، أو الذين قالوا: عزيرٌ ابن الله، أو الذين يعملون السيئات والعياذ بالله، ويقتلون، وينهبون، ويأكلون الربا، ويشربون الخمر، ويفعلون الفواحش؛ فهؤلاء لا يدخلون في هذه الآية الكريمة.

وكذلك قال بعض أهل العلم: إنَّ هذه الآية أيضًا قد تدل على مَنْ لم تقم عليه الحجة ببعثة سيدنا محمد ﷺ، أو بكتابه القرآن الذي أنزله الله تعالى عليه، ولو كانوا بعد بعثة النبي ﷺ؛ لأنَّه كما تقدَّم إنما يُكَلَّفُ المرء بعد قيام الحجة.

فلو قُدِّرَ في هذا العصر مثلًا أنْ يُوجَدَ شخصٌ آمن بالله وباليوم الآخر، وعمل صالحًا حسب ما بلغه من تشريع الله تعالى على أيِّ نبيٍ من أنبيائه، ولم يُنْكِرْ نبوة شخص اسمه محمد، ولا أنكر القرآن وما خوطب بذلك، ولا خاض، ولا فعل؛ لأنَّه لم تقم عليه الحجة بذلك، وبقي على التوحيد.

فلو قُدِّرَ حصول ذلك لأحدٍ فإنَّه يَسْلَمُ بإذن الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

لكن مَنْ قامتْ عليه الحجة فلا يُعْذَرُ أبدًا؛ فإنَّ الله تعالى لم يعذره في كتابه؛ فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [البينة: ٦]، فلمْ يعذُرْ أهل الكتاب.

بل حَذَّرَ من أهل الكتاب الذين قامتْ عليهم الحجة، وأصرُّوا على ما هم عليه.

ولو قُدِّرَ أنهم مؤمنون حقًّا بعيسى عليه السلام، وبموسى عليه السلام، وبالكتاب الذي أُنزِل عليهما، وعَمِلُوا بما فيهما، ولكنهم أنكروا نبوة محمد ﷺ، أو أنكروا كتابه القرآن الذي أُنْزِلَ من

عند الله، فقد حَذَّرَ من اتباعهم أيضًا؛ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠١]، وقال: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩]، وقال: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فإنَّ هؤلاء على باطل، وليسوا على حق، ولا يُعْذَرُونَ في ذلك؛ فكيف يُقَالُ: بالتقارب بين الأديان؛ بزعم أنَّ الإسلام إنما هو دين محمد ﷺ، واليهودية هي دين موسى عليه السلام، وموسى من نسل يوسف؛ لأنَّه من الأسباط.

أو من الأسباط، وليس من نسل يوسف بالضبط كما قيل.

نعم، هو من الأسباط؛ من أبناء يعقوب، ويعقوب يرجع نسبه إلى إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام جميعًا.

وكذا عيسى عليه السلام؛ على حسب ما يزعمون طبعًا، وأنَّهم من بني إسرائيل، مع أنَّ الله تعالى جعل ميلاده آيةً، إلَّا إذا نُسِبَ إلى أمِّه.

فهم يقولون: بأننا أبناء عمومة؛ لأنَّ محمدًا ﷺ يرجع نسبه إلى قريش، وقريش من أولاد إسماعيل عليه السلام، وإسماعيل من إبراهيم؛ فنحن أبناء عمومة، فإذن نتقارب فيما بيننا.

ونحن نقول: نعم تقارب في النسب، ولكن في الدِّينِ لا؛ فالله تعالى يقول: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧ ـ ٦٨].

فالصلة بإبراهيم عليه السلام إنما هي صلة مبدأ، وليست صلة نسب، فإن كانوا يريدون النسب فأهلًا، وسهلًا، ومرحبًا بهم، ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]، فلسنا ممن يدعو إلى قطيعة الرحم، ولكن إنْ كانوا يَدْعُون إلى التآخي على ذلك دون النظر إلى الدِّينِ فهم أبعد ما يكونون عن الحق.

فكيف يكون هنالك تقارب مع أنَّ الدِّينَ من الله، وليس للإنسان التصرف فيه، سواء كان مسلمًا، أو غير ذلك، والله تعالى يقول: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]، فهو الذي شرع، وكما يقول العلماء: إنَّ الدِّينَ وضعٌ إلهيٌ سائغ لذوي العقول السليمة باختياره المحمود لما هو خيرٌ لهم بالذات.

ووضعٌ إلهيٌ: أي من الله، والله تعالى يقول للنبي ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ويقول المولى ﷻ أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]، فليس الأمر للنبي ﷺ، فضلًا عن غيره؛ فكيف يتنازل أحدٌ عن الدِّينِ؟!

وذلك كما يتنازل بعض الناس اليوم عن فلسطين، أو عن جزءٍ منها كأنَّ الأمر إليه، وهو ليس إليه؛ فإنَّ الله تعالى لم يجعل فلسطين ملكًا لفلان، أو حزب، أو دولة معينة؛ ليتنازل عنها لمن شاء، كما أعطى مِن قبل مَنْ يملك لِمَنْ لا يستحق، وأعطاه ما لا يملك أيضًا، وذلك حين قامت بريطانيا ـ وتُسمَّى العظمى ـ بجعل فلسطين وطنًا لليهود في وعد بلفور؛ كما هو معلوم سنة ١٩١٧م.

فليس لها الحق في ذلك، وليس لغيرها أيضًا، لا باسم عربي، ولا باسم إسلامي؛ لأنَّها بلادٌ مُقَدَّسَةٌ، وقد ائتمن الله تعالى هذه الأمة على هذه المقدسات، ولا يملك أحدٌ التصرُّف فيها.

وبعد أنْ رأوا فشلهم في تلك الأفكار لجأوا إلى ما يُعْرَفُ بحوار الأديان.

ولا أستطيع أنْ أقول: إنَّ حوار الأديان يؤدِّي إلى الإلحاد.

ونحن ندعو إلى الحوار، ولكن ينبغي أنْ يكون هؤلاء المحاورون من المسلمين مُنْتَبِهِين؛ لأنِّي حضرت في الحقيقة بعض هذه المؤتمرات؛ حضرتُ مؤتمر حوار الأديان السابع في الدوحة، ومؤتمر حوار الأديان الثامن أيضًا في الدوحة في فندق شيراتون، حضرتها بنفسي.

وقد حصل هناك حوارٌ مع أصحاب ديانات مختلفة، وأفكار مختلفة، ولكن تَبَيَّنَ من بعد أنَّ طائفةً من المجتمعين إنما يريدون تسويغ فكرهم، وتسويغ دياناتهم، ويريدون الاعتراف لهم بما هم عليه من باطل، مع أنَّهم لا يعترفون بالمسلمين أصلًا.

فلا يعترفون بنبوة سيدنا محمد ﷺ، ولا يعترفون بالقرآن أصلًا، مع أنَّنَا من ديننا الإيمان بنبوة موسى، والإيمان بنبوة عيسى عليه السلام، والإيمان بالتوراة وبالإنجيل، وأنَّها من عند الله، ومَنْ لم يؤمن بشيء من ذلك فهو غير مؤمن عندنا؛ بل كافر، لكنهم لا يفعلون الشيء نفسه تجاهنا، وإلى الآن لا يعترفون بهذا الدِّينِ، ولا بنبوة محمد ﷺ، ولا بمعجزة القرآن؛ فهم يريدون تسويغ الظلم الذي يفعلونه.

ورأينا منهم تارة يذكرون فلسطين، وأنَّ لهم الحق في المكث فيها، وأنَّ المقاومة التي يُقَاوَمُونَ بها إنما هي إرهابٌ، وأنَّه يجب أنْ تُدَانَ، وأنَّ ما فعلوه ويفعلونه في غزة وفي غيرها هو حقٌّ من حقوقهم، ودفاعٌ عن أنفسهم، وأنَّ الصهيونية العالمية هي المبدأ الذي يعتنقونه.

ونُشِرَ بعد ذلك بيانٌ من أهل العلم، وهم الذين كانوا يحضرون هذه المؤتمرات، ومنهم الشيخ يوسف القرضاوي؛ مُنَدِّدًا بهذا المؤتمر، وأنَّه لا يمكن أنْ يُجْتَمَعَ بهم، وأنَّه لا يُشْرَعُ هذا النوع من اللقاءات، وأنَّه يُتَّخَذُ ستارًا لغزو بلاد المسلمين،

والسيطرة عليها، فَأُوقِفَ المؤتمر من حينها، واستُبْدِلَ به حوار الحضارات، أو حوار كذا، والله أعلم بها.

ونحن ندعو إلى الحوار، وإلى الجدال بالتي هي أحسن، ولكن وفق الضوابط الشرعية؛ وذلك لأجل إيصال رسالة الإسلام إلى الناس جميعًا، وللتعاون، فلا حرج فيما يصلح للإنسانية؛ كما قال النبي ﷺ في حلف الفضول: «وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ الْيَوْمَ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ»[1].

فلو اجتمع الناس على اختلاف دياناتهم؛ لنصرة المظلوم، ولإغاثة الملهوف، ولإعانة الفقراء والمساكين، ولعلاج المرضى، ولإغاثة المنكوبين، وللنظر في مصالح هذا العالم، وهذا الكوكب؛ كالاحتباس الحراري، وكيفية القضاء عليه، ولتحقيق العدالة في الأمم، وللقضاء على الفساد، فنحن معهم، وندعو إلى ذلك إن شاء الله تعالى، وننطلق لذلك باسم الإسلام.

**المظهرُ الثامنُ: الحريةُ المطلقةُ، أو ما يُعرفُ بالديمقراطية:**

وهذا أمرٌ قد اغترَّ به الكثيرون، وصاروا يُنادُونَ به، وهم من المسلمين، ويحملون أسماء إسلامية، ويتصوَّرُون أنَّهم على حق، وأنَّهم لا ينابذون بذلك دين الله ﷻ.

---

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر في فتح الباري، باب: قول الله ﷻ: والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم، ج ٤، ص ٤٧٢.

وهذا قد يعود تارة إلى مفهوم الديمقراطية في أذهانهم؛ فربما يفهمون الديمقراطية على أنَّها مجرد إجراء انتخابي، أو صناديق الاقتراع، أو أنَّها تعني: حريةُ الناس في اختيار مَنْ يحكمهم، أو مَنْ يُمَثِّلُهم في مجالس الشورى، أو فيما يُسمَّى بالبرلمانات، فهذه العمليَّة الانتخابية يُطلِقُون عليها الديمقراطية، ويقتصرون على ذلك؛ ويريدون بذلك القضاء على ما عُرِفَ بالاستبداد، والتَّسلط، والوراثة في الحكم، ونحو ذلك.

فإنْ نُظر إلى هذا الأمر من هذا المنظار الضَّيِّقِ، فقد يكون لهم عذر؛ لأنَّ هذه وسيلة في اختيار الحاكم، والإسلام جعل هذا الأمر مفتوحًا، فلا مانع ـ كما نصَّ على ذلك أهل العلم ـ في اختيار الناس مَنْ يُمَثِّلُهم على جميع المستويات بهذه الطريقة والوسيلة.

وحتى في البيت الواحد، ربما يُجْرَى انتخاب، وفي المدرسة، في مجمع أولياء الأمور، وفي المجالس المحلية، وفي مجلس السوق، إلى آخر ذلك.

فلا مانع من ذلك، فهذه وسيلةٌ وإجراءٌ، والأمر فيها واسع إن شاء الله.

لكن هؤلاء ربما غاب عنهم ما ذَكَرَهُ مؤسسو الديمقراطية، ومفكروها، وأقطابها حتى في هذا العصر، ومَنْ رجع إلى شيء من ذلك وَجَدَ الأمر واضحًا؛ فإنَّ هؤلاء يَعْنُونَ تارة بالديمقراطية بأنَّها:

حكم الشعب للشعب، أو حكم الناس بالناس، أي: أنَّ الناس يحكمون أنفسهم بما يتَّفِقُون عليه، وحسب الطريقة التي يريدونها.

فلو اختاروا أنْ ينبذوا أيَّ دِينٍ فلهم الحقُّ في ذلك، ولو اختاروا أنْ يكفروا بالله تعالى فلهم ذلك، ولو اختاروا أنْ يُشَرِّعُوا الفساد فلهم ذلك؛ كأنْ يبيحوا الخمر، وأن يبيحوا الزنا، وأن يفعلوا ما شاءوا فلهم ذلك.

فهل هذا يسوغ في دِينِ الله تعالى قِيدَ ذرة، أو قِيدَ أنملة، أو لحظة؟!

أليس هذا هدمًا للدِّينِ، ومنازعةً لله تعالى في ملكة وحاكميته؟!

فهذا تعريف بعض هؤلاء للديمقراطية.

وبعضهم يجعل الديمقراطية: هي الحرية، فبعض الأحزاب العالمية الآن كما هو معروف عنها؛ مثلًا: الحزب الديمقراطي في بعض البلاد هو حزب تحرر، ويأتون بكلمة معروفة في هذا هي Liberalism: التحرر، ومفرده بالإنجليزية liberal، ويعني: الحرية، ويعنون بذلك: الحرية المطلقة.

ولذلك استعملت هذه الكلمة هنا، وهذا يعني: عدم الالتزام بأيِّ ثوابت، أو أحكام، أو ضوابط؛ وإنما هو اتباعٌ للهوى، ولذلك إلى الآن يوجد خصامٌ بين هذه الأحزاب.

وبعض الأحزاب التي ترفع شعار الدِّينِ على الأقل في هذه الدول المختلفة؛ سواء في أوروبا، أو أمريكا، أو غيرها، يكون هناك نزاعٌ بينها فيما يتعلق بقضايا معينة كحق الإجهاض مثلًا، فبعض الأحزاب الدِّينية ترى الإجهاض محرمًا؛ ولكن هذا الحزب الديمقراطي يعتبره مُجَازًا؛ لأن المرأة الحامل لها الحق في التصرف في جسدها، وهذا الولد هو جزء منها، فلها أنْ تُبْقِيه، ولها أنْ تُسْقِطَه.

وهناك قضية المثليين، وهو ما يعرف بالشذوذ الجنسي.

فهذه الأحزاب الديمقراطية المتحررة تُبِيحُ الشذوذ الجنسي، وتُبِيحُ السحاق، العلاقة الجنسية الحميمية بين المرأة والمرأة، والعلاقة الجنسية بين الرجل وبين الرجل، فلا ترى في ذلك غضاضة؛ لأنَّ هذا هو اتباع الهوى.

بينما بعض الأحزاب التي تنتمي إلى الدِّينِ ـ عندهم حسب أصول الدِّينِ عندهم ـ لا زالت تُعَارِضُ هذا، وتعتبر هذا مخالفًا للفطرة، ومُحَرَّمًا في الدِّينِ، ولا زال عند النصارى تحريمٌ لهذا، واليهود لا يجيزون هذا الأمر أيضًا، وإن كانت بعض فرق اليهود تحلله.

بينما الأحزاب الديمقراطية التحررية تعتبر هذا من حقوق الإنسان، وتنطلق من هذا المبدأ في فعل أي شيء للإنسان؛ لأنَّها تدور حول الإنسان، فكأنما تجعله إلهًا؛ فهو يفعل ما يشاء.

وأتباع هذه الأحزاب غالبًا لا يؤمنون بالدِّينِ، وإن كان بعضهم يتمسَّحُ بهِ، ويذهب إلى دور العبادة، أو يعترف بوجود الله، ولكن لا يعترف بوجوده في الحياة كما تقدَّم؛ لأنَّ هذه الأحزاب جميعًا تدور في فكر عِلماني، حتى عند مَنْ تمسَّحَ بالدِّين منها، أيًّا كان هذا الدِّينِ.

فإذن هذا خطر عظيم!!

وكيف إذا كان هذا الأمر يتعلَّق بتحكيمِ أشخاصٍ في البلاد الإسلامية لا يؤمنون بالإسلام أيضًا؛ تحت مسمى الديمقراطية، مع أنَّ شرط الإسلام شرط صحة في الحاكم في البلاد الإسلامية، فلا يجوز أبدًا بالنص والإجماع أنْ يحكم المسلمين شخص غير مسلم.

ولكن تحت مُسمَّى الديمقراطية هؤلاء جميعًا مواطنون، وما دام هؤلاء المواطنون مِنْ أيِّ دِينٍ فلهم الحق في الترشح والانتخاب، وإنْ فاز أحدهم، أو اخْتِيرَ من قبل الجمهور ـ أي: العبرة بالأغلبية ـ فله الحق أنْ يتولَّى، وأنْ يحكم المسلمين، وأنْ يختار الحكم الذي يريده، والوزارات، والأفراد الذين يختارهم في تولِّي الحقائب الوزارية المختلفة، أو قيادة الجيوش، والأجهزة الأمنية، والعسكرية.

أليس هذا أمرًا خطيرًا على الأمة؟!

وهؤلاء الذين يدَّعُون الديمقراطية يُصَرِّحون بذلك، وعندما ظهرت بعض المظاهرات، والاعتصامات طَالَبَ بعضهم ـ من أصحاب التيار الديمقراطي، أو العقلاني، أو الحَدَاثي ـ بهذه الأمور، وكانوا يُطَالِبُون، ومن أهم مطالباتهم إباحة الخمر في البلاد العربية الإسلامية!!

ومنها بلدنا هذا؛ وذلك حتى تُبَاحَ لكلِّ أحد، ولا يُحْجَرُ عليها، أو لا يُخَصُّ بها طائفة من الناس، وكانوا يُطَالِبُون بإباحة العلاقات الجنسية؛ فليس هناك حُرمةٌ للزواج، وإنما يُبَاحُ الزنا، أو يجعل اختيارًا ما دام عن رضا من الطرفين؛ اعتمادًا على بعض الاتفاقيات الدَّوْلية، التي وافقت عليها بعض الدول، مع ما في ذلك من مخالفةٍ للنصوص القطعية، ولدِينِ الله تعالى الإسلام.

فإذن المسألة خطيرة، وبهذا المفهوم فإنَّ الديمقراطية تُوَافِقُ الإلحاد، خاصة أنَّها تُشَرِّعُهُ؛ فلا حرج أنْ يكون المرء مُلْحِدًا؛ إذ لا يُعْتَبَرُ الإلحاد جريمة، وإنما هو حريةُ رأي، ولا حرج في الدعوة إلى الإلحاد، ونشره؛ فهذه حرية تعبير.

وإن قام أحدٌ ضدَّ هؤلاء فهو الذي يجب أنْ يُنْكَرَ عليه؛ لأنَّه هو المخالف للقانون، أو الدستور، فينقلب الحق باطلًا، والباطل حقًّا، وينتشر الظلم والفساد، وتنقلب الأمة إلى أمة ملحدة، ولننتظر فقط عقدًا، أو عقدين، فلن يبقى لهذه الأمة شيء، فيجب الحذر من ذلك.

أمَّا إنْ وُجِدَ ما يُسمَّى بالديمقراطية الإسلامية، بالمفهوم الذي نفهمه من الشورى الإسلامية، ومن الانتخاب بالضوابط الإسلامية، فلا مانع من ذلك؛ كما قام بذلك الكاتب الكبير الأستاذ الراحل حسين غباش في كتابه **عمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث.**

وجَعَلَ عمان بتجربتها الإباضية في الحكم نموذجًا للعالم كله في الديمقراطية الحقيقية، التي تُعْطِي الإنسان حقَّه، وتقوم بنشر مبادئ العدل، ونشر القيم الإسلامية الأصيلة، وتُعْطِي الناس الحرية في اختيار مَنْ يريدون، إلى أنْ وصل فجعل هذا النموذج حقًّا للإنسانية، وليس حكرًا على عمان، أو أهلها، أو المذهب الإباضي.

وإنما قال: هذه تجربةٌ تتعدَّى الأمة الإسلامية؛ لتكون تجربة إنسانية، وتجربة بشرية حضارية على مدى التاريخ.

وقد اعتبرها أطول مدة حضارية في تطبيق الديمقراطية في تأريخ البشرية، وإن وُجِدَتْ بعض الأحيان في بعض البلاد في العالم، ولكنها لم تمتد على هذا النحو ما يَقْرُبُ من ألف عام.

فضلًا عن النماذج الراقية التي فيها، فإذا كانت بهذا النحو فلا مانع إن شاء الله تعالى على ما يقول بعض أهل العلم.

وإن كان بعضهم: لا يحب تسمية الديمقراطية مطلقًا؛ لما فيها من خلفية ذهنية، ويُفَضِّلُ استعمال الشورى الإسلامية، وهذا أولى؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

## المحور الرابع:
## علاج الإلحاد

وهي عبارةٌ عن أفكارٍ واقتراحاتٍ تَوَصَّلْتُ إليها ـ بعد فضل الله تعالى وتوفيقه ـ من خلال مطالعة بعض الكتب في هذا المجال، وخاصة كتاب شيخنا العلَّامة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله تعالى.

والمجال مفتوح للزيادة، ولتراعيَ كلُّ أمة، وكلُّ مجتمعٍ ما يناسبه؛ فالداعية المسلم طبيب نفسه.

والهدف من تناول هذا الموضوع هو أن نتعاون فيما بيننا لعلاج هذه الظاهرة، وللقضاء عليها من جذورها بإذن الله تعالى؛ ولذلك توسَّعْتُ بعض الشيء في الجوانب المختلفة، ولم أتعرَّضْ كثيرًا لشبهات الملاحدة؛ فإنَّ هذا له مجالاته، وله وقته.

وإنْ أُصِرَّ على ذلك فعسى الله أنْ يُوَفِّقَنِي لعرض هذه الشبهات مع الرد عليها في موطن آخر.

وقد تكفَّل بذلك طائفة من العلماء والباحثين، ومنهم شيخنا الخليلي في برهان الحق، وفي مصرع الإلحاد، وكذا غيره، لمن أراد الهداية إن شاء الله تعالى.

**العلاجُ الأولُ: غرسُ المفاهيمِ الإيمانيةِ:**

وهذا أمرٌ ضروري، فالوقاية خيرٌ من العلاج، ويجب أنْ نقوم بذلك على وجهٍ صحيح؛ وذلك باتباع الأسلوب القرآني في غرس القيم، والمفاهيم الإيمانية، فلِلْقرآن أسلوبه الخاص في ذلك؛ لأنَّه كلام الله تعالى، أنزله بعلمه، وأسلوبه معجز، وقد تكفَّل ببيان ذلك أهل العلم.

فإذن يُرْجَعُ إلى هذا الأمر؛ لِيتشبَّعه الدعاة، والمربُّون، وولاة الأمر، والمدرسون، والقائمون بوسائل الإعلام المختلفة، وكلٌّ مسؤول، «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[1]؛ ليقوم بهذا الأمر في نفسه، وفيمَن يعوله، أو تحت ولايته، فهو مأمور بذلك، فمثلًا لقمان عليه السلام ضَرَبَهُ الله تعالى مثلًا في هذا المجال.

وتوجد أمثلةٌ أخرى كثيرة في القرآن الكريم، وكُتُبِتْ في ذلك بحوث، ومؤلفات، فلنرجع إليها.

لكن يجب غرس المفاهيم الإيمانية في نفوس الناشئة خاصة، ويساعدنا على ذلك أنَّها الفطرة؛ فالأطفال يتقبلون، ويساعدنا المجتمع أيضًا والحمد لله؛ لأنَّنَا لا زلنا نعيش في مجتمع محافظ، ليس مثل المجتمعات الغربية، التي بعدت عليها

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، رقم: ٨٩٣.

الشقة، واختفى عنها الدِّينُ الحق منذ قرون، ولم ترَ النموذج الإيماني الصحيح في الواقع، بل تَشَوَّهَتْ صورة الدِّينِ لديها، أو أنها تَمَرَّغَتْ في أوحال الرذيلة، أو أنَّ الأفكار الإلحادية قد عَشَّشَتْ في أذهان مُفكريها، ومُنظِّريها، وعلماء الاجتماع فيها، وساستها، وقادتها، ورؤساء جامعاتها، ومدرسيها، وغيرهم، والقائمين على وسائل الإعلام عندهم.

فضلًا عن المؤسسات التي تُشَرِّعُ للإلحاد باسم القضاء، والقانون، وغير ذلك.

فلا يزال مجتمعنا محافظًا فتيًا مؤمنًا والحمد لله، وإنْ ظَهَرَ فيه بعض الأفراد، أو أصبح ظاهرة نوعًا ما في وقتٍ من الأوقات، إلَّا أنَّ الغالبية العظمى ـ والحمد لله ـ فيها خيرٌ، ومن السهولة بمكان بإذن الله تعالى تربيتها إيمانيًا بالمفاهيم الإيمانية الصحيحة؛ من كتاب الله ﷻ، ومن سنة رسوله ﷺ؛ لأنَّ النبي ﷺ خير مَنْ طبَّقَ القرآن، والله ﷻ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وهذا لا يعني: عدم الرجوع إلى سنة النبي ﷺ، بل يجب الرجوع إليها أيضًا؛ وذلك لنتشرب منها تطبيق منهاج القرآن، وما ورد فيها، ففيها الخير الكثير، حتى تَخَرَّجَ على يد النبي ﷺ ذلكم الجيل من الصحابة رضوان الله عليهم، الذي عدَّهُ الله خير

أمة أُخْرِجَتْ للناس، وما عرف التأريخ فاتحًا أرحم منه، ولا مثله، كما قال جوستاف لوبون المؤرخ الفرنسي: «ما عرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب»، ويعني بذلك: المسلمين.

**العلاجُ الثَّاني: التربيةُ علَى القيمِ والأخلاقِ:**

وهذا ضروريٌ؛ لأنَّه سياجٌ للمحافظة على المفاهيم الإيمانية، وعدم الانزلاق وراء الإلحاد، وعدم التَّأثر بوسائل الإلحاد التي سبقتْ الإشارة إليها.

وقد سبق أنَّ من أساليب هؤلاء، ومن وسائلهم: إيقاع الناس في براثن الرذيلة؛ وذلك حتَّى يتحوَّلَ الإنسان إلى حيوانٍ أهوج، لا يسعى إلا وراء شهواته، ثم حين تستحكم هذه الشهوات في تفكيره وتصرفاته لا يُبَالِي عندها أنْ يدوس على الدِّينِ، وأنْ يَتَنَكَّرَ للحقائق، وأنْ يُعرِضَ عن اليوم الآخر.

فإذن لا بد من التربية على القيم والأخلاق، ولأنَّ في هذا أيضًا كشفًا لزيف الملاحدة؛ لأنَّ الملاحدة لا يَنْطَوُنَ على قيمٍ وأخلاقٍ، فيتميزون عن المجتمع المسلم المتربي على القيم والخلاق، فأي خلق يرجع إليه هؤلاء؟! وهم لا يؤمنون بمبدأ، ولا يُراعُون في الإنسان ـ فضلًا عن المؤمن ـ إلًّا ولا ذمة، ولا يعرفون له حرمة، ولا يخافون اليوم الآخر، بل لا يؤمنون به، ولا يخافون الله ﷻ، وإنما يتَّبعون شهواتهم.

وما أخلاقهم التي يَدَّعُونَهَا إلَّا مصالح آنية، وتختلف من حين إلى آخر، ويستطيع أحدهم أن يخالفها كما يشاء حسبما يراه من مصلحة متوهمة، وقد تكون غير حقيقية أصلًا، فهم يُشرِّعونَ ما شاءوا.

فلا بد من التربية على القِيَمِ، والأخلاق، وهذا الدِّينُ إنما يقوم على القيم والأخلاق؛ كما يقول الله تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وكما قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»[1].

## العلاجُ الثالثُ: تعميقُ الانتماءِ للإسلامِ وحضارتهِ:

وذلك لقطع الطريق على الملاحدة وأعوانهم، الذين يريدون قطع صلة هذه الأمة عن تأريخها وحضارتها؛ فيجب أنْ يُعَمَّقَ الانتماء للإسلام في الناس، وأن يغاروا على الإسلام.

وذلك لا يُنَافِي أنْ يتعاملوا مع الآخرين باحترامٍ وتقديرٍ؛ فمع شدة إيمان المؤمنين إلَّا أنَّ الله تعالى يقول لهم: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، والنبي ﷺ يأمر بمعاملة الناس بحسن الخلق، ولو كان هذا الشخص كافرًا.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب: الشهادات، جماع أبواب من تجوز شهادته ومن لا تجوز، باب: بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، رقم: ٢٠٨٣٩.

بل إنَّ الله تعالى يأمر الولد بمعاملة والديه بإحسان ولو كانا مشركين، بل ولو دعواه للشرك؛ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فهل هناك أمرٌ بأخلاقٍ أحسن من هذا لجميع الناس؟!

ولكن كما قلتُ: بأن الجهل هو آفة بعض الناس الذين لا يعرفون حقيقة دينهم؛ ولذلك لا يغارون عليه، ولا يعرفون حضارته، فتراهم يتأثَّرون بالعِلْمانيَّة تارة، وبالديمقراطية تارة، وبالشُّيوعيَّة والاشتراكية تارة، وبالدولة المدنيَّة تارة؛ لأنَّهم يجهلون حضارتهم، وقيمهم، وما أنجزه الإسلام.

نعم، ربما يكون لدى بعض المسلمين غَبشٌ في التَّصور، وعدم وضوحٍ في الفكرة عن الإسلام؛ وذلك نتيجة للأفكار التي تلقَّوْهَا عن بعض مشايخهم، فعلى هؤلاء أنْ يرجعوا إلى الإسلام النقي الصافي، وأنْ يُحَرِّرُوا عقولهم من بعض الأفكار المخالفة للنصوص القطيعة وإنْ ورثوها عن آبائهم؛ وذلك كبعض الأفكار التي تؤدِّي إلى معارضة الأحكام القطعية مثلًا، فيما يتعلق بالسياسة، وغيرها من المجالات.

فبهذا ـ إن شاء الله ـ يكون التَّصور عن الإسلام صحيحًا؛ فلا يَغْتَرُّونَ بما عند الآخرين، وربما يُوَسِّعُون مداركهم للرجوع إلى بعض المدارس الإسلامية.

**العلاجُ الرابعُ: ترسيخُ العلومِ الشرعيةِ:**

وذلك بنشرها، وبتفقيه الناسُ في الدِّينِ؛ لأن هذا فرضٌ واجبٌ، وفرض عيني على كل مسلم أنْ يعبد الله على علم، لا على جهل؛ فطلب العلم فريضة على كل مسلم، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، والتوحيد يقوم على العلم؛ فهذا واجب.

فكيف يفرط فيه أبناء المسلمين؟!

فيتعلمون العلوم المختلفة قبل التفقه في الدِّينِ؛ مع أنَّ أول ما ينبغي أنْ يُتَعَلَّمَ من علم الله القرآن.

نعم، نحن نقول: بتعلم العلوم المختلفة، وهذا من الدِّينِ، ويُعِينُ على فهم القرآن، ويُعِينُ على فهم سنة النبي ﷺ، ويُعِينُ على تمكين المسلمين، وتقوية هذه الأمة، ويدخل في قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وهو كذلك من تطبيق خلافة الإنسان في هذه الأرض؛ كما أراد الله تعالى، ولكن يجب أنْ يكون ذلك بعد استيفاء القاعدة من الأحكام الشرعية التي تتعلق بالدِّينِ، وأمهات الأخلاق،

والعبادات، والمعاملات، ثم بعد ذلك الانطلاق في العلوم الأخرى.

فهناك تقصيرٌ كبيرٌ في هذا، ولذلك يجب أنْ يُلْزَمَ جميع الطلبة بدراسة هذه العلوم؛ العقيدة، والفقه، ونحو ذلك من العلوم المتصلة بها، واللغة العربية أيضًا تُعين على ذلك، بل هي الطريق لفهم الدِّينِ، وبعد ذلك يتخصَّصُون في المجالات النافعة والمفيدة.

لا أنْ يتعلَّمُوا العلوم التي لا فائدة منها؛ من الإلحاد، والزندقة، وتعظيم مَنْ حقَّرَهُ الله ﷻ من الملاحدة والمفسدين، وتعظيم كلامهم؛ لِيُقَدِّمُوه على كلام الله ﷻ، وكلام رسوله ﷺ.

**العلاجُ الخامسُ: فتحُ بابِ الاجتهادِ والتجديدِ بضوابطهِ الشرعيةِ:**

وهذا مما ندعو إليه؛ لأنَّنا ضد الجمود والتَّخلف، فيجب أنْ يُوَسَّع هذا الباب، وأنْ يُعَلَّمَ الناسُ دينَ الله ﷻ، وأنْ يُعَلَّمُوا اللغة العربية، وجميع علوم الآلة التي تُخَرِّجُ علماء مجتهدين، يستطيعون بها فهم النصوص الشرعية، ويُدركون المقاصد الشرعية، ويُدركون أسرار التشريع، ويُدركون الواقع أيضًا.

فيقومون بعملية الاجتهاد والتجديد، ويُوَجِّهونَ أصحاب

العلوم الأخرى، ويُعْطُونَ الحكم الشرعي للمستجدات؛ ومما أوقع بعض المسلمين في الرجوع للعِلمانية، أو غيرها أنَّهم يجهلون الحكم الشرعي فيها، وأنَّهم لا يجدون الحكم الشرعي فيما يستجد من الأمور المعاصرة، خاصة أنَّ العالم اليوم مُتَجَدِّدٌ، ومتسارعٌ في ذلك، فَفَقَدُوا الثقة بالدِّينِ، وفَقَدُوا الثقة بالعلماء الربانيين؛ فلجأوا إلى غيرهم، أو أَعْطَوْا أحكامًا من تلقاء أنفسهم، وَسَوَّغُوا لأنفسهم ما لا يُبِيحُه الشرع، وإنْ كانوا في نيَّاتهم على قصد حسن، لو سلَّمْنَا لبعضهم بهذا.

فيجب أنْ يُفتحَ باب الاجتهاد والتجديد، ولكن بضوابطه الشرعية، لا كما يدعو إلى ذلك بعضهم: من فتح باب الاجتهاد والتجديد على الإطلاق؛ حتى برد النصوص القطعية، فهذا لا يمكن، فللاجتهاد مجال، لكن ليس للاجتهاد قدرة أو صلاحية أنْ يرد النصوص الشرعية القطعية في الثبوت وفي الدلالة، فليس له مجال في ذلك.

نعم، له أنْ يجتهد في تطبيق هذا النص على الواقع فيما يُعْرَفُ بتحقيق المناط.

وقد ذكرتُ في عشرة دروسٍ ـ في **أحكام الاجتهاد والتقليد**، لمن أراد الرجوع إليها ـ ما يتعلَّق بهذا الأمر باستفاضة، وعسى أنْ يكون في ذلك فائدة، وأسأل الله تعالى ذلك.

**العلاجُ السادسُ: التَّحصنُ من الغزوِ الفكريِّ:**

فيجب أنْ يُوَعَّى الناس بحقيقة الإلحاد على طريقته الواسعة التي تقدَّم ذكرها، وصوره المختلفة، وأسباب الوقوع فيه، ووسائل نشره؛ حتى يكونوا على بَيِّنَةٍ من أمرهم، وحتى يُحصِّنُوا أنفسهم، ويُحَصِّنوا أولادهم.

ويقوم بذلك جميع أفراد المجتمع؛ من مؤسسات رسمية، ومؤسسات أهلِيَّة، ومؤسسات خاصَّة، فيجب عليها أنْ تتعاون جميعا للقيام بهذا.

وأخصُّ بالذكر مَنْ يُبْتَعثُون للدارسة في بلادٍ غير إسلامية، أو بشكل عام، وحتى في بعض البلاد الإسلامية بعدما حصل لها كثيرٌ من التغير؛ فَوُجِدَ فيها تيارات تدعو إلى الإلحاد، وإلى الفساد، فهؤلاء يجب أنْ يكونوا مُحَصَّنِينَ، ولذا اقترحتُ أكثر من مرة أن لا يُوفَدَ أحدٌ من هؤلاء الطلبة إلَّا بعد أنْ يدخل في دورة متخصِّصَة في هذا المجال.

بحيث يُعَرَّفُ فيها بمفاهيم الإيمان، وبالقيم الخُلُقِيَّة، وبالانتماء لهذا الدِّينِ وحضارته، وبِشُبَهِ الملحدين، وبكيفية الردِّ عليها، وبخطر الإلحاد، وبضرورة أنْ يبقى متصلًا بأهله وبالعلماء والدعاة؛ وذلك حتى يسألهم عمَّا أشكل عليه، وحتى

يتَفَقَّه في أمر دينه، ويستشيرهم فيما يواجهه، أو يلاقيه في المجتمع غير المسلم.

ولا يُعْطَى فرصةً للسفر إلَّا بعد نيل هذه الشهادة، أو اجتيازه لهذه الدورة بنجاح.

ويُرَاقَبُ بعد ذلك أيضًا من قبل البعثات التعليمية في مختلف البلاد التي يَدْرُسُ فيها، وتُنْتَقَى الجامعات في ذلك، وتُسْتَبْعَدُ الجامعات التي تَبيَّنَ منها أو من منهاجها أو أسلوبها أنَّها تتقصَّدُ أبناء المسلمين، وتُرِيدُ إفسادهم، وتغيير أفكارهم، أو تسمح لبعض المنظمات بالدُّخول والوصول إليهم في بيوتهم وسكناتهم؛ لأجل التأثير عليهم، فَتُسْتَبْعَدُ من القائمة.

كما يقوم القائمون على هذه البعثات التعليمية بمراقبة الطلبة في مستواهم التحصيلي العلمي، وفي أخلاقهم، وفي دينهم، قدر الطاقة؛ لتوجيههم، والمحافظة عليهم، وتَجْمَعُهُم في جمعيات خاصة بهم؛ حتى تُحَافِظَ عليهم.

وكلُّ ذلك مع الانفتاح على العالم، والاستفادة من الآخرين، ولكن بِقَدَرٍ؛ فنحن لا ندعو إلى الانغلاق، وإنما ندعو إلى الانفتاح، ولكن بعد أنْ يَتَحَصَّنَ هؤلاء الطلبة؛ ليعودوا ناشرين للفكر الصحيح، لا للفكر المغلوط.

**العلاجُ السابعُ: إصلاحُ واقعِ الأمةِ سياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا، إلخ:**

وذلك حتى نقضيَ على الإلحاد بطريقة شاملة، وبطريقة عَمَلِيَّة، لا أنْ يكون مجرد ترقيع فقط؛ يظهر الإلحاد فيُطَالَبُ العلماء والدُّعاة بالتَّصدي لهذا الإلحاد، مع أنَّ أسباب الإلحاد التي تدفع إليه كثيرة.

والتي منها: الظلم الاجتماعي، ومنها: التجهيل في التعليم؛ وذلك حينما تُهَمَّشُ مادة التربية الإسلامية، وحينما تُوضَعُ لها حصصٌ في المدارس قليلة، وحينما لا يُؤَهَّلُ مدرسو التربية الإسلامية تأهيلًا كاملًا؛ لإيصال المفاهيم الاسلامية إلى الطلبة، وحينما يُسْمَحُ للطلبة بالتَّسَيُّبِ، ولا يُعطَونَ فرصة مثلًا لإقامة الصلاة، وإقامة شعائر الدِّينِ في المدارس، أو في الجامعات.

فيجب أنْ يُصْلَحَ هذا الواقع بتطبيق شرع الله ﷻ، ونفي الظلم الاجتماعي؛ لأن من أسباب وقوع بعض الملاحدة في الإلحاد الظلم الذي عانوه بسبب الحرمان، وبسبب الفقر، وبسبب المرض، فلم يستطيعوا العلاج؛ لأسباب الطبقية التي عانوها؛ مثلًا في النظام الرأسمالي، أو النظام الطبقي، أو النظام الإقطاعي في أوروبا، حتى انفجروا عليه فيما عُرِفَ بالثورة.

فيجب أنْ يُصْلَحَ الواقع، وبذلك لا يكون لأحدٍ عذر.

وقد رأيتُ بنفسي: بأنَّ كثيرًا مِنْ هؤلاء الذين يدَّعون الدعوة إلى الإلحاد، ويتصدَّرون المشهد إنْ أُعْطُوا منصبًا، أو أُعْطُوا مالًا فإنهم يخمدون، ويسكتون؛ فيتبيَّنُ من ذلك أنَّ ما فعلوه إنما كان لمصالح شخصية، أو كما قال شيخنا الخليلي ـ حفظه الله تعالى ـ: أنَّهُ عَرَضَ هذا الأمر على ناظر الداخلية أيام حكم سعيد بن تيمور، وهو السيد أحمد بن إبراهيم، وذلك حين بدأت الشُّيوعيَّة، أو الإلحاد يظهر عند بعض الناس في عمان، من قبل فئة الشباب خاصة، فاقترح هذا المقترح على السيد أحمد بن إبراهيم، وذلك بأنْ يكون علاج هذا الموضوع بيدين: يد من ذهب، ويد من حديد.

بحيث يؤخذ هؤلاء بالحزم؛ لمنعهم من القيام بذلك، ولكن في الوقت نفسه يُعْطَوْنَ أيضًا ترغيبًا، فلا يُكْتَفَى بالترهيب.

وقد ذَكَرَ السيد أحمد بن إبراهيم هذا الأمر للمفتي السابق الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري فأيَّد فكرة سماحة الشيخ أحمد الخليلي في ذلك الوقت، لكن استبعد حصول ذلك؛ لأنَّ القائم بالأمر حينها لا يعرف إلَّا اليد التي من حديد، وما كان يُعطِي، أو يبذل العطاء؛ لأجل كسب وُدِّ هؤلاء، مع أنَّ الله تعالى جَعَلَ في كتابه نصيبًا للمؤلفة قلوبهم من الزكاة، التي هي ركن من أركان الإسلام؛ وذلك لأجل دفع ضررهم، أو كيدهم، أو عداوتهم، ولأجل جذب مودَّتهم، وترسيخ إيمانهم.

وبعض الناس يُجْدِيهِمْ نفعًا مثل هذا الأسلوب، وعلى الأقل كما يقال: ربما يُصْلِحُ مَنْ بعدهم، ويخلصوا نيته أولادهم، والجيل اللاحق لهم الصادر منهم إن شاء الله تعالى.

**العلاجُ الثامنُ: تحقيقُ العدالةِ الاجتماعيةِ:**

وذلك بتطبيق الإسلام، ودفع التفاوت الطبقي ـ بأن تكون فئة من الناس أعلى من فئة أخرى ـ؛ بحيث يشعر الناس بأنهم سواسية أمام التشريع، أو ما يُسمَّى بالقانون، وأنهم سواسية في العطايا، وقد يكون هناك تمييز من جهة العمل، فذاك شيء آخر؛ وذلك حين يبذل المرء عملًا يستحق به أنْ يُكَافَأَ على جهده، فهذا أمر آخر.

فباعتبارهم مواطنين؛ لهم نفس الحقوق، ونفس الفرص في الحصول على أعمال، وفي تولي مناصب معينة، وفي الارتقاء في هذه المناصب، وفي نيل المكافآت إن قاموا بعمل معين؛ بحيث لا تكون هناك محاباة، ويشعرون بأنهم إخوة متكاتفون متعاونون، ويُطَبَّقُ الإسلام في هذا، لا أنْ يشعر الفقراء بالحرمان.

كما يُفْتَحُ المجال للجمعيات الأهلية والخيرية، أو ما يُسَمَّى بالتطوعية للعمل في المجالات المختلفة؛ لتكون أيضًا رِدءًا مساعدًا للعمل الحكومي، لا أنْ يُنظرَ إليها أنَّها مُضَادَّة لها، وإنما لتكون معينة على ذلك، ولا مانع من مراقبتها، لكن لا أنْ يُتَّهَمَّ الناس في نياتهم قبل تحصيل الشيء.

فهذا مما يُكَرِّسُ العدالة الاجتماعية، ويؤدِّي إلى الاستفادة من المواهب، ويؤدِّي إلى تولية الأَكْفَاءِ، الذين يمتلكون الصفات القيادية في المواضع القيادية؛ وذلك حتى ينفعوا الأمة، ويُقْطَعَ الطريق على بعض الانتهازيين، أو الفاسدين المفسدين وأعوانهم؛ للتسلط على الأمة، ونهب ثرواتها، وإيقاع الظلم بغيرهم، نسأل الله العافية.

**العلاجُ التاسعُ: تطبيقُ الأحكامِ الشرعيةِ:**

وهذا مطلبٌ على كل مسلم، وهو أمرٌ ضروري، ويأتي على كل ما تقدَّم؛ فحكم الله تعالى هو الذي يُحَقِّقُ مصالح الناس، وهو الكفيل بالحرية؛ فأحكام الله تعالى عدلٌ كلها، ورحمةٌ كلها، وحكمةٌ كلها، ومصلحةٌ كلها، وأعجب مِمَّنْ يَدَّعِي الإيمان بالإسلام، وبحكم الله تعالى ومع ذلك يستبدل بشرع الله شرعًا آخر من الشرق، أو من الغرب، أو من تلقاء نفسه، فسبحان الله العظيم!!

فكلُّ أحد مطالب بتطبيق شرع الله تعالى في نفسه، وفي أهله، وولده قدر الطاقة إن لم تُلَبَّ هذه المطالب بتطبيق شرع الله في المجتمع.

وأيضًا أَرْمِي هنا إلى تطبيق شرع الله تعالى في هؤلاء الذين يتجرأُون على انتهاك الذات الإلهية، ويستهزئون بالذَّات العليَّة،

ويسخرون منها، أو بالنبي ﷺ، أو بالقرآن، أو بالأحكام الشرعية؛ فهؤلاء يجب أن يُوقَفُوا عند حدِّهم، فتارة قد يناقشون، كما يُقَالُ: يجابه الفكر بالفكر، ونحن نؤيِّدُ هذا.

ولكن إنْ تمـرَّدُوا، وواصَلُوا فيجب أنْ يوضع كلُّ واحد عند حدِّه، وأنْ يؤدَّب بالأدب الشرعي الذي يستحقه، أما أنْ يُطْلَقَ لهم العنان فإنَّ هؤلاء يفسـدون فـي الأرض ولا يصلحون، والعضو الفاسد إن لم يرجَ برؤه فإنَّه يُبْتَرُ؛ وإلَّا أدَّى إلى استفحال المرض في الجسد كله، وأدَّى إلى هلاكه والعياذ بالله تعالى.

والذي يُعْرِضُ عن حكم الله تعالـى يتوقَّعُ منه مثل هذا؛ فإنَّ الإلحاد إذا انتشـر سـيقضي على المجتمع كله، وسـيؤدِّي إلى الفسـاد، وإلى نهب الخيرات، وإلى كل ظلمٍ نتصوره؛ فضلًا عن استحقاق غضب الله تعالى ونقمته في الدنيا قبل الآخرة؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفـال: ٢٥]، وكما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

# خاتمة

لنعلم جميعًا أنَّ النصر من الله تعالى، والفتح بإذن الله تعالى قريب، وهذا وعد الله تعالى؛ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨]، وكما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢].

وقد ذَكَرَ شيخنا الخليلي في دروسه، ومحاضراته، وكما هو في كتابه **مصرع الإلحاد** كلماتٍ ذهبيةٍ للإمام أبي الأعلى المودودي، وذلك في كلمة قالها سنة ١٩٤٦م في بيشاور حينما خاطب أنصاره: سيأتي بلا شك اليومِ الذي تتحيَّر فيه الشُّيوعيَّة في موسكو نفسها من دون أي ملجأ، وتتعثَّر فيه الرأسمالية في واشنطن نفسها بدون أي منجأ، وتهيم فيه المادية في جامعات لندن وباريس، وتتلاشى فيه العنصرية حتى عند البراهمة والألمان، وإنما تبقى عبرة في التاريخ قصة مَنْ يحمل عصا موسى تحت إبطه وهو يخشى من الحبال والخشب!!.

فالمسلمون أعطاهم الله ﷻ القرآن، وكرَّمهم بهذا وشرَّفَهُم، فما بالهم يتركون هذا النورَ الرباني، ويعتمدون على

أفكار بشرية هزيلة، لأناس مرضى من الشرق والغرب، يستبدلون بأحكام الله تعالى هذه الأفكار والأعمال، التي لا تؤدِّي بهم إلَّا إلى الضعف والحرمان والمعاناة؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طـه: ١٢٤ ـ ١٢٧]، فما بالنا لا نأخذ بهذه الهداية الربانية.

خاصة أنَّ شيخنا الخليلي حفظه الله تعالى: ذَكَرَ بأنَّ العُمانيين كرَّمهم الله تعالى بأن كانوا أول أمة انتصرت، وكان لها الشرف أنْ ترد الكيد التنصيري المتمثل حينها بالبرتغاليين في القرن الحادي عشر الهجري، أو القرن السابع عشر الميلادي، وَتَتَبَّعُوا هؤلاء حتى أخرجوهم من ممالك الإسلام المختلفة، وتَتَبَّعُوهم إلى إفريقيا الشرقية، فقضوا على هذا الاستعمار البغيض.

وكذلك كان لهم الشرف على أن ينتصروا باعتبارهم دولة على الشُّيوعيَّة؛ فكانت أول دولة تقوم بذلك هنا ـ في عمان ـ والحمد لله، وذلك بتعاون السلطة الحكومية، وتعاون العلماء؛ فكان القضاء على الحراك الشيوعي في الجنوب، وكان ذلك سنة ١٣٩٥ للهجرة، أو ١٩٧٥ للميلاد. وقد احتفل قبل عدة أيام بهذا النصر؛ لأنَّه وافق هذه المناسبة ـ كما يقولون ـ تاريخ كما يقولون ١١ ديسمبر.

فإذن هناك إرثٌ حضاري، فليكن للعمانيين، وليكن أهل الاستقامة السبق في هذا المجال؛ حتى يكتمه الله تعالى.

نعم قد أكرم الله تعالى الأفغان أيضًا أنْ قاموا بدورٍ عظيمٍ في هذا، وسَجَّلَ هذا الأمر أيضًا شيخنا الخليلي، وغيرهم.

وسجَّل ذكرهم التأريخ: بأنْ وفَّقَهُم الله تعالى للانتصار على الشُّيوعيَّة في أفغانستان، واستطاعوا هزيمة إحدى أكبر القوى العظمي في هذا العصر، وهو الاتحاد السوفيتي؛ فرجعت خسيئة منكسرة، لكن ليتهم أكملوا هذا النصر، وفرحوا وسعدوا بهذا الأمر بدلًا من أن يصيبهم ما أصاب غيرهم من الفتنة الداخلية، والاقتتال الطائفي؛ حتى تسلَّط عليهم غيرهم.

نسأل الله تعالى الفرج القريب للجميع، فالنصر آت بإذن الله تعالى، وإنما علينا الاجتهاد في هذا.

## ۞ توصيةٌ

١ ـ ضرورة إنشاء عمل مؤسسي؛ ليقوم بما ذكرتُ من الأفكار، وبغيره ممَّا يُقْتَرَحُ، أو يأتي إن شاء الله تعالى، ويُرَى مصلحةً؛ ليكون عملنا غير مقتصر على فرد، وإنما هو عمل جماعي مُنَظَّمٌ، يقوم بوضع أهداف يُسْعَى لتحقيقها، وتكون واضحة، ويُتَرْجَمُ ذلك في خطة، وفي وقت معين، وتقوم على ذلك إدارة مؤهلة، وأتباع تُوَزَّعُ عليهم الاختصاصات، ويتكاملون، ويتعاونون، ويُخْلِصُونَ نياتهم لله ﷻ؛ حتَّى يصلوا إلى مبتغاهم بإذن الله تعالى.

ليس لها إلَّا التفاف قوة ... بقوة ومقتدٍ بمقتدى
ليس لها إلَّا نفوس طُفِئتْ ... أضغانها واشتعلت فيها التقى
يلمُّها الإيمان قلبًا واحدًا ... وجهته الله وحشوه الهدى
إذا رمت فقوسها واحدة ... وما رمت وإنَّما الله رمى

٢ ـ على هذه المؤسسات أنْ تقوم بدراسة الدعوة فيما يتعلَّق بهذا المجال، ومعرفة طرق الملاحدة، ووسائلهم، وتتبعهم، واكتشاف مواقعهم الإلكترونية، وفي وسائل الاجتماعي، والتحذير من كتبهم، وبعض رموزهم، والحصول على ملفات

أيضًا لبعض مَنْ تأثَّر بهم؛ حتى يُسْتَدْعَى، ويعالج بالكلمة الحسنة أولًا، وإنْ أصرَّ فإنَّه يُحَذِّرُ منــه، ويُعامَلُ بما يليق به، وذلك بعد إبلاغ السلطات المختصة.

٣ ـ يكون هناك تعــاونٌ بين هذه المجموعــة بعد أن تأخذ الصفة الرسمية أيضًا لها، وأنْ تُفْتَحَ أقسامٌ في الجهات المسؤولة عن هذا الأمر تختص بهذا، سواء كانت جهات أمنية، أو جهات ـ بين قوســين ـ أيضًا دعوية، مثــلًا فــي وزارات معيَّنة، أو في الإعلام؛ لكي تقوم بالتعاون بينها جميعًا في هذا المجال، ويكون هناك اجتماع، ويكون هناك لقاء؛ حتى تنتظم الجهود، وتتكامل.

وعسى الله تعالى أن يأتي بالخير، مع اللجوء إلى الله تعالى، لاســتمداد التوفيق، والرحمة منه؛ فإنما التوفيــق بيد الله تعالى، وليس بجهود البشــر؛ ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف: ١٧]، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]، فننطلق على هذا النحو مخلصين لله تعالى، متجرِّدين له، وعسى الله أن يأتينا بالخير؛ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ١٠].

## الأسئلة والمناقشات

**الإلحاد دينٌ يحارب الدِّين:**

الإلحاد الآن بصورته، هل أصبح مجرد ظاهرة أم أصبح دينًا يُعْتنقُ؟

هو مع أنَّه يحارب الدِّينَ إلا أنَّه أصبح دينًا؛ يَدِينُ به المرء، وهذا هو مفهوم الدِّينِ، أي: ما يعتقده، ولذلك هؤلاء يدينون بالإلحاد، أي: بالكفر بالله ﷻ.

لكن عندما نطلق عليه ظاهرة فذلك بمعنى أنَّه: بدأ يتفشَّى، وبأنَّ: هناك مَنْ ينتصر له.

ولكن لا شك أنَّ الأمر قد يَسْتَفْحِلُ والعياذ بالله إنْ لم يُوقَفْ في وجهه، ولأنَّه قد يتخذ مظاهر خادعة؛ لأجل الاحتيال على الناس.

وبغض النظر عن هذا وذاك؛ تجب محاربته، والوقوف أمامه؛ لنشر الحق إن شاء الله.

## علاقة مصطلح الإنسانية بالإلحاد:

**مصطلح «الإنسانية» الذي أصبح يُرَوَّجُ له بصورة واسعة الآن، هل له مدخل أو علاقة بـالإلحاد؟**

هذا المفهـوم خطيرٌ جدًّا، فهـو مظهر من مظاهـر الإلحاد والعياذ بالله تعالى؛ لأنَّه يَسْـتَبْعِدُ المرجعية الدِّينيَّة الحقَّة، ونعني بذلك دين الإسلام.

ربما يكون مفهوم الدِّينِ مغلوطًا، أو مُشوَّشًا عند الغربيين، أو الشـرقيين؛ لأنَّهم حرَّفُوا الدِّينَ، أو لأنَّه لـم يصلهم نقيًّا من كل شائبة، فالمفهوم الإنساني قد يكون مقبولًا لدى البعض؛ للرجوع إلى الفطرة والإنسانية.

ولكن بالنسـبة لنا نحن المسـلمين لدينا الدِّيـنُ الحقُّ، ولا يمكن أبـدًا أنْ نتنازل عـن الرجوع إلى مصدر التشـريع الأول، وهو القرآن، وإلى سنة النبي ﷺ، فهذا لا يمكن، وهو أمرٌ قطعي.

نعم، إنْ كان المراد تعاون المسـلم مع غيره فيما يتَّفقون فيه، وأولئك ينطلقون من مبدأ «الإنسـانية»، ونحن ننطلق من مبدأ الدِّينِ، ولكن كلُّنا نُعَظِّمُ شأن الإنسان كما أراد الله تعالى فلا مانع منه، أو أن نتعاون على ما اتَّفَقْنَا عليه لما فيه صلاح الإنسانية فلا مانع من ذلك؛ فنحن نعيش على أرضٍ واحدةٍ،

فهنـاك الأمم المتحـدة، تجتمع فيهـا الدول، ويتفـرَّعُ عنها مؤسسـات، ويلتقي فيها المسلم بغير المسـلم؛ لأجل القيام بمصالح تنفع الناس جميعًـا، فهذا لا مانع منه، بـل نُؤَيِّدُه، ونُشَجِّعُ عليه.

طبعًا إن كانت هذه المؤسسـة تقوم بذلـك كما في الأصل، أو كما يُدَّعَى، وإنْ كان قد اسـتعملتْ من قبل البعض؛ لتحقيق مصالح خاصة.

وكالتعاون في الكوارث الطبيعية كما في بعض الجمعيات، أو المنظمات الخيرية؛ كما في أطباء بلا حدود، والعناية بالأيتام، أوعـلاج مرضـى القلـب، أو السـرطان، أو العنايـة بالفقراء والمحتاجين على مستوى العالم.

فهذه مبادئ نحـن نُقِرُّها، وندعو إليها، ومـن صميم ديننا، ونتعاون مع البشر في ذلك.

لكنَّ المسـلم حين يتكلَّم يجب أنْ ينطلـق من دينه، وأنْ يقول قال الله، وقال الرسول، وأنا أقول هذا؛ لأنَّ ديني يأمرني بذلـك، ولأنَّ الله تعالـى يقـول لي ذلـك، فيوجـد تقاطع مع الآخرين.

لكن أنْ يقوم بعض المسـلمين بالتَّخلِّي عن ذلك؛ بدعوى مسايرة الآخرين فلا، والله تعالى المستعان.

**الفرق بين الإلحاد والكفر والشرك:**

هل هناك فرقٌ بين الكفر، والشرك، والإلحاد؟

الإلحاد: هو الميل عن الحق؛ اعتقادًا، أو قولًا، أو فعلًا؛ فعلى هذا معنى الإلحاد أوسع.

ولكن يغلب علينا في كلامنا استعمال هذه الكلمة بمعنى: إنكار ما هو معلومٌ من الدِّينِ بالضرورة، وهذا عُرْفٌ جرى عليه الاستعمال، وهذا الذي سلكناه؛ لأجل تحذير الناس من هذه الكبيرة، وبذلك يكون مرادفًا للشرك، سواء كان شرك جحود، أو شرك مساواة.

والكفر ينقسم إلى قسمين: كفر نعمة، وكفر أكبر، والكفر الأكبر شركٌ بقسميه.

وهناك مَنْ يقول: الكفر بمعنى المعصية مطلقًا.

وعندما نقول: كفر النعمة هو ارتكاب كبيرةٍ دون الشرك، سواء كان ذلك الفعل تهاونًا مع الاعتراف بحرمة ذلك الشيء، أو بترك واجب، أو فعل محرم، أو كان ذلك استحلالًا؛ بتأويل فهذه كبيرة أيضًا.

ولكن هو من كفر النعمة، ولا يصل إلى كفر الشرك؛ وذلك بأنْ يتمسَّكَ أحدٌ بشبهة يحسبها تأويلًا، فتدرأ عنه حكم الشرك،

باعتقاد حكمٍ بخلاف الشرع؛ بتحليل حرام، أو تحريم حلال، وكان بتأويل.

أما إذا كان بغير تأويل فهو الشرك، والشرك ينقسم: إلى جحود، ومساواة، فبينها تداخل في بعض الأحيان.

**الإلحاد لا يقوم على أي أساس علمي:**

هل هناك مشروعٌ قادمٌ؛ للحديث عن شبهات الإلحاد، وتفنيدها؟

إن شاء الله نحاول ذلك، وإنْ كنتُ لَا أُرَكِّزُ على بعض الشُّبَهِ التي يذكرُونها؛ لأنَّ هذا يحتاج إلى دروس كثيرة، ولأنَّ كل شبهة تستغرق وقتًا طويلًا، ولأني لا أشجع على ذلك كثيرًا.

وإن كنتُ أقولُ: بأنَّ هذا جهدٌ مشكورٌ، وقد انبرى لذلك شيخنا سيدي العلامة أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله تعالى في كتابه **برهان الحق**، وَفَنَّدَ طائفة من أهم شبهات هؤلاء الملاحدة.

لكني أؤكد: بأنَّ الإلحاد لا يقوم على أي أساس علمي؛ كما ذكر غير واحد من الكُتَّابِ الغربيين أنفسهم، وأنَّ ادِّعاءهم العِلميَّة هو مخالفة للحقيقة، وتجنٍ للعلم.

فليس هنـــاك أي دليل علمي يقوم عليـــه الإلحاد؛ إذ العلم صنو وطريق الإيمان، ولا يمكن أنْ يكـــون يومًا مضادًا للدِّينِ الحق، أو داعيًا للإلحاد؛ لأنَّ العلم إنما يُمَثِّلُ الحقيقة، والحقيقة هي هذا العالم الذي نعيشه بمَن فيه، وما فيه.

وكل الحقيقة إنما تـــؤدِّي إلى نتيجة واحـــدة، وهي أنَّ هذا الكون بمَنْ فيه وما فيـــه إنما هو خلـــقٌ لله ﷻ؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

**اعتقاد الشرك أو القول به أو فعله كله إثم:**

**الاعتقاد في حقيقته قد يكون اعتقادًا، أو قولًا، أو فعلًا، فهل أثر ذلك يتساوى؟ وهل يأثم فاعل ذلك؟**

ذلك يختلف حسب نوع التصرف؛ فبعض التصرفات أشد من بعض في الإثم، وفي الأثر.

ولا شك أنَّ الاعتقاد هو أشدها؛ ذلك لأنَّ الاعتقاد هو الذي يُوَجِّهُ السلوك؛ سواء كان قولًا، أو فعلًا.

وبالنسبة للقول، أو الفعل أيضًا قد يكون شركًا، وقد لا يكون شركًا، فالســـجود لصنم مع تعظيم ذلك الصنم يُعْتبرُ شركًا؛ كما ذهب إلى ذلك طائفة من أهل العلم.

وإنما الكلام لو سجد لصنمٍ بإرادته دون أنْ يكون ذلك إكراهًا، فهل يُعتبرُ ذلك شركًا أم لا؟

فبعض العلماء: حكم عليه بالشرك.

وبعضهم قال: إنَّه لا يشرك ما دام لم يقصد بذلك العبادة لذلك الصنم.

لكنه في النهاية هو مُحَرَّمٌ، وهذا من الفعل.

وقد يكون قولًا؛ وذلك بالنطق بكلمة الكفر بأيِّ وجه من الوجوه؛ كأن ينفي ألوهية الله تعالى، أو يعترف بالألوهية لأحدٍ مِنَ الخلق، أو غير ذلك مما يتعلَّق باستحلال ما حرَّم الله تعالى؛ فالأمر يختلف بحسب الفعل، أو القول الذي يقوله.

وإنْ وَسَّعْنَا مفهوم الإلحاد فيما يتعلَّق بالمعصية فهذا شيء آخر، والتي هي دون الشرك، سواء كانت كبيرة من الكبائر دون الشرك، أو كانت على قول بعض أهل العلم صغيرة من الصغائر؛ فكل شيء له حكمه، فالله تعالى قال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، فاعتبر الظلم في الحرم إلحادًا، والظلم كبيرةٌ من كبائر الذنوب ما دام صاحبها يعترف بحرمتها، أي: هذه المعصية معصية الظلم، ولم يستحلها، فهي كبيرة من الكبائر، ولكن لا ترقى إلى الشرك، ولها عقوبتها المقدرة المعروفة شرعًا.

**أهمية الزاد العلمي الكافي لمواجهة الإلحاد:**

**الإلحاد يَتَّخِذُ صورًا وأشكالًا عديدة، وله براهين متعددة، وقد يحاول الإنسان مواجهة شخص ملحد ولكنه لا يمتلك العدة الكافية، والبراهين التي يمكن أنْ يستدل بها؛ لمواجهة هذا الملحد، فما نصيحتكم للتزود بالزاد العلمي الكافي لمواجهة الإلحاد؟**

السؤال عن الواقع العملي؛ وذلك حين يتأثَّر بعض الناس بشيءٍ مِنْ هذا الفكر، فكيف تكون معاملته؟ وخاصة حينما يكون قريبًا.

الإنسان طبيب نفسه، ولِيُقَيِّم الواقعة التي يتعامل معها، وأول شيء هو اكتشاف هذا الأمر، وما دام هناك وعي فسيكتشف هذا الأمر؛ لأنَّ بعض هؤلاء الملاحدة قد يَدْعُون، أو يَبُثُّون ـ على الأقل ـ هذه الأفكار، ويُعْلِنُونَهَا، وبعض الناس بجهلهم قد لا يُدْرِكُون أنها منافية لشرع الله تعالى، أو أنَّها تُوقِعُ صاحبها في الإلحاد، فيتساهلون مع هذا الأمر، ولا ينكرونه.

فإذا اكتُشِفَ هذا الأمر فإنَّ هذا الشخص ينبغي أنْ يُدْرَسَ؛ ما الذي دفعه للقيام بذلك؟ هل هو مريض نفسيًا مثلًا؟ وهل هناك أسباب اجتماعية دفعته إلى ذلك؟ وهل هناك أسباب أخرى دفعته؛ كحبٍ مثلًا؟ طالما هو شاب مثلًا، فوقع في غرام فتاة

غربية، أو كافرة، أو بسبب دراسته في مكانٍ معينٍ، أو قراءته عن شخصية معينة، فَيُفْهَمُ ما سبب هذا الذي وقع فيه.

فبذلك إنْ شاء الله تعالى يُحَاوِلُ علاج هذا السبب؛ لأنَّ هذا الأمر في غالبيته لا يرجع إلى اقتناع العقل؛ وإنما هو مُكابرةٌ، وعنادٌ، أو تأثرٌ نفسي، أو اجتماعي؛ بسبب موقف من المواقف.

وقد يتخلَّى بعض هؤلاء ـ على الأقل ـ عن هذه الأفكار في لحظة واحدة، وذلك عندما يصلح ذلكم السبب، أو الخلل الذي هم فيه؛ فربما يكون هو قد أخذ موقفًا عن شخصية دينية يراها رمزًا وفعلت معه كذا وكذا، فيتنكر للدِّينِ، وحين يُجْلَسُ معه، ويُفَهَّمُ بأنَّ الدِّينَ ليس كما فهم، وإنما الدِّينُ كذا، ويُجَرِّمُ هذا الفعل يرجع للحق والإيمان.

مثلًا شاب ربما وقع عليه انتهاك عرض من قبل شخصية تتظاهر بالدِّينِ، فنفر من الدِّينِ، وقال: إذا كان الدِّينُ بهذه الصورة فهذا كذبٌ، وكأنَّه نوعٌ من الانتقام، ولكن بطريقة غير مباشرة، وذلك بمعارضة هذا الشخص المتدين، ومعارضة فكره، وتأليب الناس عليه، فيتقمص هذا الشيء، فيُبَيَّنُ له الحقيقة، ويُعَالَجُ نفسيًا واجتماعيًا، وإن شاء الله تعالى يرجع.

أو كان ذلك مثلًا بسبب الاغترار، فمثلا بعض الناس مُغرمٌ بالاشتراكية، وأنَّها تمثل الملكية الفردية والعدالة الاجتماعية،

فيسعى إلى تطبيق ذلك؛ لما يرى من الظلم الاجتماعي، ويرى من الفساد، فيقول: أحسن حل هو الاشتراكية؛ فيتمادى في الأخذ بالشُّيوعيَّة، ونبذ الدِّينِ؛ لأنَّهُ يُبيحُ الملكية الفردية.

فيُبَيِّنُ له ما معنى الملكية الفردية في الإسلام، وهل هناك أشياء جماعية؟ وهل تُقَدَّمُ المصلحة الجماعية على المصلحة الفردية تارة؟ أو دائمًا؟ أو العكس؟

ويُنَبِّهُ على الحقوق التي يفرضها الإسلام على العباد؛ حتى يكفل بعضهم بعضًا، ويُنَبِّهُ على أنَّ تطبيق النظام الاشتراكي لم يؤدِّ إلى ما كان يُعْجَبُ به الناس، بل أدَّى إلى الفقر، وإلى الحرمان، وإلى البؤس، وإلى التَّخلُّف، وإلى التَّسلُّط، وأنَّ النظام الحزبي كان هو المسيطر، كما في روسيا؛ فبعض الحفلات الخاصة كانت لستالين في قصره، وفي أولاده.

والخمور التي كانت تُقَدَّمُ، والفخامة التي كانت تُعْرَضُ بخلاف ما يُنَادَى بها أمام الناس، وكأنَّ الناس يلبسون لباسًا واحدًا، وليس لهم ملكية فردية، وإنما أصحاب الحزب هم المتحكمون فيه، ويعيشون عيشة رفاه وبذخ، فيُكشَفُ له مثل هذا الجواب، وهكذا.

وإذا كان عنده شبهة لا يستطيع هذا الشخص القريب المؤمن الرد عليها فليقرأ، وليتعلم، وليتصل بأحد العلماء؛ لكي يُبَيِّنَ له.

وإن رأى نفسه غير قادر على ذلك فلينصح هذا المتأثر بأن يأخذه إلى أحد هؤلاء العلماء؛ ليجلس معه، ولينصحه، وليناقشه مناقشـــة علمية هادئة هادفة؛ حتى يزول عنه هذا الغبش إن شاء الله تعالى.

وأُحَذِّرُ من التشــهير به، فلا يُشَــهَّرُ به؛ لأنَّ هذا التشهير قد يدفعه ـ انتصارًا لنفسه ـ إلى التمرد أكثر، وإلى عدم المبالاة.

وربما بعضهم يســعى إلى ذلك لنشر فكره، فلكل ساقطة لاقطة، فلربما يبحث بعــض الناس عنه ليجــدوه، فَيُكَوِّنُ له جماعــة أو فرقــة؛ ليؤثر على النــاس، ويعلن جهــرًا أفكاره ولا يبالي، فقَــدْرَ الطاقة لا يُشَــهَّرُ به في بدايــة الأمر، وإنما يحاول احتواؤه بالإغراء قدر الإمكان، وبالترغيب، ولكن إن أصر فيكــون الترهيب أيضًا؛ بمعنى: إن لم يســتجب فيُمْنَعُ، فيُمْنَعُ مثلًا مــن متابعة قناة معينة، ومــن متابعة وقراءة كتب معينة تؤدِّي إلى هذا الفكر، ومن ملاقاة أصحاب هذا الفكر، الذين يُلَوِّثُون فكــره، ومن متابعة بعض القنــوات الإباحية، بحيث يُمْنَعُ عنه المدد.

وربما أيضًا يُهَدَّدُ بالعقوبة إنْ تجــرَّأَ أكثر من اللازم، وذلك بالقدر الذي يســتطيعه طبعًا، ودون إحــداث فتنة في هذا الأمر، ويُعَامَلُ معاملة تعيده إلى طريق الحق إن شاء الله تعالى.

فإنْ أَبَى فيُرْفَعُ أمره إلى القضاء الشـرعي إن أصبح يُشَـكِّلُ تهديدًا وخطرًا على إخوته، وعلى أهلـه، وأصبحوا يتأثَّرون به؛ لأنَّ هذا أصبح عدوًا لله ﷻ، ما دام بالغًا عاقلًا مختارًا فيما يفعل، فلا يُجَامَلُ في دين الله، فإنَّ حقَّ مثل هذا أنْ يُعْتَبَرَ عدوًا لله ﷻ، ويُنْزَلَ حيث أنزل نفسه.

**مصادر ومراجع حول موضوع الإلحاد والوقاية منه:**

ما الكتب والمراجع التي تَنْصَحُ بهـا؛ للقراءة حول موضوع الإلحاد؟

حقيقة؛ أنـا أولًا أدعو الناس لقراءة كتـاب الله ﷻ، والتَّفقه فيه، فهذا أول شـيء؛ فإمعاننا في تدبر كتـاب الله ﷻ هو الذي يُعْطِينا العلم، والإيمان، والبراهين.

وكذلك ضرورة العناية بالأسلوب القرآني في غرس المفاهيم الإيمانية، وكذلـك في الرد على شـبهات الملاحـدة؛ فالقرآن متضمنٌ لكثيرٍ من الشبه مع الرد عليها، وبالأسلوب المقنع الذي يجمع بين الإقناع العقلي والتأثير العاطفي.

وكذلك دفع الإنسـان إلى الطاعة من خلال تعظيم الله ﷻ، فهذا مهم جدًّا، ودراسة سنة الرسول ﷺ.

وبعـد ذلـك الأمـر واسـع إن شـاء الله تعالـى، وكتاب

مصرع الإلحاد لشيخنا الخليلي تَضَمَّنَ جملةً من ذلك، وهناك كتبٌ في المراجع كثيرة عاد إليها الشيخ، ويمكن الرجوع إليها.

وأعترف: أنَّ بعض الأمور مستعصية؛ فهي تتكلَّم عن فلسفات، وتتكلَّم عن جدل منطقي، وما كل أحدٍ يُحْسِنُ هذا.

وعندما كُنَّا في بريطانيا في فترة الدراسة، كُنَّا نتصور أنَّ إقناع هؤلاء الغربيين من الصعوبة بمكان، وأنَّهم أصحاب فكر، وأنَّهم أصحاب ثقافة واسعة، وأنَّه لا ينفع معهم إلَّا الإعجاز العلمي، وكنتُ مملوءًا بمثل هذه الأفكار.

لكن تبيَّن لي من الواقع: بأنَّ هناك أفرادًا كثيرين هم من البساطة ومن قلة الثقافة لا يكاد يساوون الناس في مجتمعنا، أو هم أقل من ذلك بكثير، وأنَّ عَرْضَ الإسلام عليهم بصورته الواضحة البسيطة، وعرض مزاياه، وعرض حضارته كفيلٌ ـ بعد توفيق الله ـ بهدايتهم.

وَأَذْكُرُ أنَّ أحد الطلبة التقى بطالبة وهم يذهبون إلى الجامعة، وذلك في موقع انتظار الحافلة، فكلَّمَهَا عن الإسلام، وبعد عدة ساعات دخلت الإسلام، هكذا!! .

وكان بعض الناس يقف بطاولته ـ وهذا كان موجودًا في أكسفورد ـ يعرض عليهم المعروضات والمنشورات الإسلامية، من الأشرطة، وبعض الكتب البسيطة؛ للتعريف بالإسلام،

وموقف الإسلام من المرأة وكذا، وكذا، مع بعض المطويات، ويتكلَّمُ علنًا هكذا عن الإسلام، ويأتيه الناس ما شاء الله بكلِّ جرأة، ويسألونه عن الإسلام.

وقيل لي: بأنه يكاد في كل أسبوع هو يفعل هذا، فقط يوم الأحد في كل أسبوع، ويدخل بعض الناس الإسلام؛ فالمسألة بسيطة.

وكذلك في الهايد بارك في وسط لندن، وذلك فيما يسمى بالكورنر؛ فبعض الناس يتكلَّمُون عن الإسلام، ويُنَاظِرُون، فيدخل بعض الناس الإسلام، وبعضهم من مجرد المناقشة بين مسلم وغير مسلم يدخل الإسلام؛ فالمسألة يسيرة.

وإذا رأيناهم معاندين مصرين فلا نضيع وقتنا معهم؛ فهناك كثيرون ـ والحمد لله ـ يدخلون الإسلام من غير هؤلاء، وماذا نصنع بهم؟! والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

نسأل الله العافية، فأنْ نعتنيَ بأهلينا، وأولادنا ـ كما يقال: عصفور في يدي خير من عشرة عصافير في الشجرة ـ؛ لنثبتهم على الإسلام فهذا خير، ولندعو مَنْ يتقبل الإسلام وفي ذلك خير أيضًا.

والإسلام وكما هو معلوم الآن هو أسرع دين انتشارًا في العالم، وأكثر مَنْ يدخله من النساء، مع وجود هذه الحركة النِّسوية العالمية، واتخاذ أعداء الإسلام موضوع المرأة ثغرة للطعن في الإسلام، ولكن أكثر الناس إقبالًا على الإسلام إلى الآن في أوروبا وأمريكا من النساء.

وهذا الشيء شاهدته بنفسي، وتَذْكُرُهُ الإحصاءات، وقرأتُ عنه لكثير من الدعاة المسلمين، ويُقْبِلْنَ على الحجاب الشرعي، خِلَافًا لبعض البنات المسلمات، اللائي بدأن يظهرن في الشارع الآن للأسف بدون حجاب، أو مع كشف الرأس، أو كشف اليدين، أو يقمن بالخلوة بالرجال الأجانب، أو بالتَّخلِّي عن الآداب بالاختلاط بالرجال الأجانب؛ بدعوى سلامة القلب، حتى أنَّ بعض الإخوة أرسل إليَّ بأنَّ مسألة الفساد الخُلُقِي أو الجرائم لا تقتصر على المجتمع الغربي، بل هذا موجود في مجتمعاتنا، ولكن ليس بنفس الكثافة، أو بنفس الدرجة.

وللأسف توجد الآن جرائم خُلُقِيَّةٍ، وتفشٍّ للرذيلة في مجتمعاتنا المسلمة، وأصبحت بعض الأمراض تنتشر، وأصبحنا نسمع والعياذ بالله عن بعض الجرائم؛ كزنا المحارم أيضًا، وما كنا نسمعه من قبل.

فهذا موجـــود، ونحن لا نقول: بأنَّ المجتمـــع عندنا مجتمع ـ كما يقال ـ مَلَكِـــي؛ ليس فيه إثم، أو خطيئـــة، فهذا لم يتحقق حتى في عهد النبي ﷺ، فوُجِدَ مَنْ سرق وقُطِعَتْ يده، وَوُجِدَ مَنْ زنا فَجُلِدَ مائة جلدة؛ لأنَّه كان بِكرًا، وَوُجِدَ مَنْ زنا وكان محصنا فرُجِمَ بالحجارة حتى الموت، فَوُجِدَ أمثال هؤلاء، فهذا أمر طبعي في البشـــر، وإلَّا لما وُجِدَتِ الأحكام الشـــرعية، ولمـــا وُجِدَتْ الدولة، والقضاء، والمحاكم، إلى آخره.

ولما وُجِدَتْ حاجةٌ للدعاة أيضًا؛ للتَّحرك في الدعوة، والأمر بالمعـــروف، والنهي عـــن المنكر، فهذه طبيعة الإنســـان، ولكن نقول: ينبغي أنْ نُرَكِّزَ على الجانب الحســـن أيضًا، وأنْ نشغلَ به أنفســـنا أكثر من غيره، مع عدم إغفال دعـــوة أولئك، والله تعالى المستعان.

# فهرس المحتويات

ملحوظة ..... ٥

مقدمة ..... ٧

مدخل ..... ١١

• تعريفُ الإلحادِ ..... ١١

• جهودُ سماحةِ شيخنَا الخليليِّ فِي دفعِ الإلحادِ ..... ١٣

• تأريخُ ظهورِ الإلحادِ عمومًا ..... ١٣

• تأريخُ ظهورِ الإلحادِ فِي عمانَ خصوصًا ..... ١٧

• مِنْ جهودِ الغربِ فِي نشرِ الإلحادِ ..... ١٩

• عِظمُ خطرِ الإلحادِ ..... ٢١

مجزرةُ شعبِ الإيجورِ المسلمِ ..... ٢١

• عاقبةُ التساهلِ معَ هذَا الفكرِ ..... ٢٢

• أعظمُ ذنبٍ وأعظمُ معصيةٍ ..... ٢٥

**المحـور الأول: أسباب الوقوع في الإلحاد** ..... ٢٩

السببُ الأولُ: الغرورُ ..... ٣٠

السببُ الثَّاني: الجهلُ ..... ٣٣

السببُ الثالثُ: كفرُ النعمةِ ..... ٣٧

السببُ الرابعُ: كيدُ الأعداءِ ..... ٣٨

السببُ الخامسُ: الإغراقُ في الماديةِ ..... ٤٧

السببُ السادسُ: اتِّباعُ الهوَى ..... ٤٨

السببُ السابعُ: التَّنكُّرُ للفطرةِ ..... ٥٠

السببُ الثامنُ: الْحَمِيَّةُ الجاهليةُ ..... ٥٠

السبَبُ التاسعُ: التَّرَفْ ..... ٥١

السببُ العاشرُ: التَّطَرُّفْ ..... ٥٤

السببُ الحادِي عشر: تحريفُ الدِّينِ وتشويهِهِ ..... ٦٠

السببُ الثاني عشر: التشبيهُ والإرجاءُ ..... ٧٢

**المحـور الثاني: وسائل نشر الإلحاد ........................................ ٨٣**

الوسيلةُ الأولَى: الإعلامُ ........................................ ٨٤

الوسيلةُ الثانيةُ: الإغراءُ بالمالِ والجاهِ ........................................ ٨٩

الوسيلةُ الثالثةُ: بثُّ السُّعارِ الجنسيِّ والفسادِ الخُلُقِيِّ ........................................ ٩١

الوسيلةُ الرابعةُ: القهرُ والتَّسلطُ ........................................ ٩٧

الوسيلةُ الخامسةُ: التَّربيةُ والتَّعليمُ ........................................ ١٠٠

الوسيلةُ السادسةُ: تعميمُ اللغةِ والأدبِ ........................................ ١٠٣

الوسيلةُ السابعةُ: المسرحُ والسينمَا ........................................ ١٠٦

الوسيلةُ الثامنةُ: الصحفُ والمجلاتُ ........................................ ١٠٨

الوسيلةُ التاسعةُ: التَّشكيكُ في الدِّينِ وأحكامهِ ........................................ ١٠٨

الوسيلةُ العاشرةُ: انتهاكُ المقدساتِ ........................................ ١١٥

الوسيلةُ الحادية عشرةَ: قطعُ الصلةِ بحضارةِ الأمةِ وتأريخِهَا ...... ١١٦

الوسيلةُ الثانية عشرة: قطعُ الصلةِ برموزِ الأمَّة ومراجعِهَا .......... ١٢٠

**المحور الثالث: مظاهر الإلحاد ..... ١٢٥**

المظهرُ الأولُ: الشُّيوعيَّةُ ..... ١٢٥

المظهرُ الثَّاني: العِلْمانيَّةُ ..... ١٣٠

المظهرُ الثالثُ: الحَركاتُ القوميَّةُ ..... ١٣٥

المظهرُ الرابعُ: حركةُ تحريرِ المرأةِ، أو ما يُعْرَفُ بالنِّسوية العالمية ..... ١٣٩

المظهرُ الخامسُ: الحداثةُ والتجديدُ ..... ١٤٦

المظهرُ السادسُ: العقلانيَّةُ ..... ١٥٠

المظهرُ السابعُ: المؤتمراتُ المشبوهةُ ..... ١٥٨

المظهرُ الثامنُ: الحريةُ المطلقةُ، أو ما يُعرفُ بالديمقراطية ..... ١٦٩

**المحور الرابع: علاج الإلحاد ..... ١٧٧**

العلاجُ الأولُ: غرسُ المفاهيمِ الإيمانيةِ ..... ١٧٨

العلاجُ الثَّاني: التربيةُ علَى القيمِ والأخلاقِ ..... ١٨٠

العلاجُ الثالثُ: تعميقُ الانتماءِ للإسلامِ وحضارتهِ ..... ١٨١

العلاجُ الرابعُ: ترسيخُ العلومِ الشرعيةِ ..... ١٨٣

العلاجُ الخامسُ: فتحُ بابِ الاجتهادِ والتجديدِ بضوابطهِ الشرعيةِ ..... ١٨٤

العلاجُ السادسُ: التَّحصنُ من الغزوِ الفكريِّ ..... ١٨٦

العلاجُ السابعُ: إصلاحُ واقعِ الأمةِ سياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا، إلخ ..... ١٨٨

العلاجُ الثامنُ: تحقيقُ العدالةِ الاجتماعيةِ ..... ١٩٠

العلاجُ التاسعُ: تطبيقُ الأحكامِ الشرعيةِ ..... ١٩١

خـاتـمـة ..... ١٩٣

تـوصيـةٌ ..... ١٩٧

الأسئلة والمناقشات ..... ١٩٩

الإلحاد دين يحارب الدين ..... ١٩٩

علاقة مصطلح الإنسانية بالإلحاد ..... ٢٠٠

الفرق بين الإلحاد والكفر والشرك ..... ٢٠٢

الإلحاد لا يقوم على أي أساس علمي ..... ٢٠٣

اعتقاد الشرك أو القول به أو فعله كله إثم ..... ٢٠٤

أهمية الزاد العلمي الكافي لمواجهة الإلحاد ..... ٢٠٦

مصادر ومراجع حول موضوع الإلحاد والوقاية منه ..... ٢١٠

**فهرس المحتويات** ..... **٢١٥**